

حكم وأمثال شريعة

في ميزان التشريعة الإسلامية

Hekam-AMTHAL

:: بقلم ::

مكي عبد الله

■ نيل أبو الحسن القيسي
(أبو عبد الرحمن)

Nabil Abo Alhasan Alqisy



حكم وأمثال يومية
في
ميزان الشريعة الإسلامية



جَفَوْا طَعَجَ مَحْفُوطَةً

الدَّائِرَةُ الْعَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٢٧٥٤/٢٠٠٩م

الترقيم الدولي: 978-977-6326-57-6 I.S.B.N

الدَّائِرَةُ الْعَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٣١-٢١١١١ ش الصالحى- محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ / +٢ ٤٩٧٠٣٧٠ ٥٢٠٣ / تليفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

حكم وأمثال يومية في ميزان الشريعة الإسلامية

جمع وترتيب

أبو عبد الرحمن
نبيل بن أبي الحسن القيسي



دار العالم للكتاب



فُقِّدَتْهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأنعام: ٧٠-٧١].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

فهذا بابٌ من التأليف جامع لجملة كبيرة من الألفاظ، والمقولات، والأمثال والحكم الدائرة على الألسن قديماً، وحديثاً، المنهي عن التلفظ بها؛ لذاتها، أو لمتعلقاتها، أو لمعنى من ورائها، كالتيقيد بزمان، أو مكان، وما جرى مجرى ذلك من مدلولاتها، وجملة التراجم الجامعة لمشورها على ما يأتي: ألفاظ منهية عنها في جانب توحيد الله،

وأسمائه، وصفاته سبحانه وتعالى، ألفاظ منهي عنها في حق النبي ﷺ، في جانب الوحيين الشريفين: الكتاب والسنة، في حق الصحابة رضي الله عنهم ومن قفى أثرهم، واتبعهم بإحسان رحمهم الله تعالى، في أبواب الفقه كافة، من الطهارة وأركان الإسلام إلى الآخر.. في البيوع، والأنكحة، والحدود، والجنائيات، والأيمان، والنذور، والأقضية، والشهادات، والإقرار، في الأدعية والأذكار، في الرقاق والآداب، والمتفرقات، في السلام والتهاني، والأزمنة، والأمكنة، في الأسماء والكنى والألقاب، في اللغات الدخيلة، واللهجات والأساليب المولدة المعاصرة، في السلوك، والبدع، وذلك صيانة للتوحيد، وحماية له، وحماية لحماه، حفظاً للدين، والعرض، والشرف، وعماراً للتعايش بين العباد، وشد آصرة التآخي بينهم، سواء أكان النهي في ذلك للتحريم، أم للتنزه والورع، عدولاً إلى الأدب الحسن: إمّا في تحسين اللازم للمباني من المعاني التي تفسدها، وتؤثر على سلامة قصد اللفظ بها، كلفظ «راعنا»، إذ نهى الله عنه ؛ لما فيه من قصد الرعونة عند اليهود، فأبدله الله سبحانه بلفظ «انظرنا».

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَذِينٍ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعْ وَانظُرْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّمْ يَكْفُرْهُمْ اللَّهُ عَنْهُمْ لَسَوْفَ لَكُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٦].

وإمّا إرشاداً إلى الأدب الحسن في المباني، ورشاققتها، وخفتها على اللسان، وحلاوة النطق بها، وهكذا مما يسمى بالتحسين الثانوي، وسواء أظهرت علة النهي وبيان وجهها، أم كان غير ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [البقرة: ٦٥]، وسواء أكان بدلالة النص: من الكتاب، أو سنة، أو قول صحابي فمن بعد من سلف الأمة، أو كانت

الدلالة عليه بمقتضى النظر الصحيح، وأثر النهي عنه عن عالم بارع؛ طردًا لقاعدة الباب في الألفاظ المنهي عن التلفظ بها، وهي: «رعاية الشرع لسلامة المباني والمعاني، أو لسلامة أحدهما على ذلك الوجه» دائرة في ميزان الصدق والعدل.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾

[التوبة: ١١٩]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وإلا فإن الألفاظ ليس لها حد محدود تنتهي إليه، وأهمية هذا الكتاب من أهمية هذه الأداة «اللسان» لدى الإنسان، إذ على النطق بالشهادتين ينسب الدخول في الإسلام، وفي النطق بإنافيض لهما يكون الخروج منه، ولعظيم أمره جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: «وهل يحبُّ الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد السنتهم»^(١)، ولذا قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما على وجه الأرض شيء أحق بطول السجن من اللسان»^(٢)، وانظر إلى الرقابة المتنوعة على اللسان في نصوص القرآن الكريم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمَلَكُ الْأَيْمَنُ عَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ [قت: ١٧-١٨]، بل الله سبحانه وتعالى مع كل نجوى بعلمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْشُوتُ مِنْ شَيْءٍ تَلْنِي إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا خَافِيَهُمْ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٧]، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً، وانظر إلى كشف المخافة في القول: ﴿فَأَطِيعُوا أَمْرًا وَخُفُّوا﴾ [٢٢] أَنْ لَا يَدْخُلَنَّ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِنٌ ﴿٢٣﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، وقال شيخ الإسلام: «والكلمة أصل العقيدة. فإن الاعتقاد هو الكلمة

(١) «الداء والدواء» [٢١٦-٢١٨] ط. ابن رجب والحديث صحيح أخرجه الترمذي برقم [٢٦١٦] وابن ماجه برقم [٣٩٧٣]، وأحمد برقم [٢٢٠٣١] وصححه الألباني عند ابن ماجه.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» [٤٦٤٩] وابن المبارك في «الزهد» [٣٨٤].

التي يعتقدها المرء، وأطيب الكلام والعقائد كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله، وأخبث الكلام والعقائد كلمة الشرك: وهو اتخاذ إله مع الله، فإن ذلك باطل لا حقيقة له، ولهذا قال سبحانه: ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١)، وقال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بها فيها، وألستها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم؛ فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك، وَيَبَيِّنُ لَكَ طَعْمَ قَلْبِهِ اغتراف لسانه، أي كما تطعمم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام فتدرك العلم بحقيقته، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في القدور بلسانك.

ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقه وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب؛ وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول، وقد كان السلف يُجاسِبُ أحدهم نفسه في قوله: يوم حار، ويوم بارد، ولقد رؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فُسِّلَ عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها، قلت: ما أحوج الناس إلي غيث، فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

وقال بعض الصحابة لجاريته يوماً: هاتي السفرة نعبث بها، ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلم بكلمة إلا وأنا أخطئها وأزعمها إلا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام ولا زمام أو كما قال وأضرَّ حركات الجوارح: حركة اللسان، وهي أضرها على العبد، وفي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحداهما لم يَخْلُصْ من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس،

عاص لله، وراء مداهن إذا لم يخف على نفسه. والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة؛ فضلاً أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به.

وما ذاك مني بل من الله وحده بفتح وإمداد وفضل وانعم

فإن اك فيها مخطئاً او مغالطاً فمن ذات نفسي كل خطي وغلطتي

أتوب الى الرحمن من كل خطئة واستغفر الرحمن لي ولأخوتي

واسأله جل اسمه بصفاته واسمائه الحسنى قبول كتابي

وإني لأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني وجميع المسلمين لحفظ ألسنتهم وأن يجعلها سبباً في سعادتنا في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

نبيل بن أبي الحسن القيسي

عامله الله تعالى بفضله



البَابُ الْإِثْنَانُ

البَقْطَلُ الْإِثْنَانُ

حفظ اللسان وخطورة الكلمة في الإسلام

اعلم - أخي الكريم - أن اللسان شأنه عظيم وخطره جسيم، فهو سلاح ذو حدين، فقد يستخدمه العبد في الطعن وانتهاك الحرمات والخوض في الأعراض فيكون سبباً لهلاكه وتعاسته، وقد يستخدمه العبد في قراءة القرآن وذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون سبباً لنجاته وسعادته.

واللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذا لا يستين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم تناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء، واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب.

فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمده فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقیل عسير، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في

تحريره وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان.

واعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. واعلم أن للكلام شروطاً لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرَى من النقص إلا بعد أن يستوفيها وهي أربعة:

فالشرط الأول- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر. والشرط الثاني- أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته. والشرط الثالث- أن يقتصر منه على قدر حاجته. والشرط الرابع- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه أربعة شروط متى أحل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلة باقيها.

وهذه بعض أحاديث النبي ﷺ وبعض أقوال السلف رضوان الله عليهم التي جاءت في التحذير من خطر اللسان وفضل جماع غوائله فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

قلت: فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت له مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم، وقد قال الإمام الشافعي رحمته الله: «إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر».

(١) «الداء والدواء» [٢١٦-٢١٨ ط. ابن رجب، الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري برقم [٦٠١٨]، ومسلم برقم [٤٧].

وجاء أيضًا في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري قال: قلت يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١).

وجاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة»^(٢).

قال ابن بطال: «دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر».

وجاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»، وفي رواية البخاري: «أبعد مما بين المشرق»^(٣) من غير ذكر المغرب، ومعنى يتبين: يتفكر في أنها خير أم لا.

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفع الله تعالى بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»^(٤).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «إلا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا: ﴿تَنجَافُ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى

(١) أخرجه البخاري (١٢/١) ومسلم [٤٢].

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٧٤]، وأحمد (٥/٣٣٣)، والترمذي [٢٤٠٨].

(٣) أخرجه البخاري [٦٤٧٧]، ومسلم [٢٩٨٨]، وأحمد (٢/٢٣٦) [٧٢١٤] والترمذي [٢٣١٤].

(٤) أخرجه البخاري [٦٤٧٨]، والبخاري في «شرح السنة» (١٤/٣١٣).

بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «كُفَّ عَنْكَ هَذَا»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُوَاخِذُونَ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُ أَمُكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: قوله: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، إلى آخر الحديث. هذا يدلُّ على أَنَّ كَفَّ اللِّسَانَ وَضَبَطَهُ وَحَبَسَهُ هُوَ أَصْلُ الْخَيْرِ كُلُّهُ، وَأَنَّ مِنْ مَلِكٍ لِسَانَهُ، فَقَدْ مَلَكَ أَمْرَهُ وَأَحْكَمَهُ وَضَبَطَهُ.

وثبت أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان^(٢).

وقال أبي علي الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ عَدَدِ كَلَامِهِ مِنْ عَمَلِهِ قُلْ كَلَامَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الرَّبِيعِ: يَا رَبِيعُ، لَا تَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْكَ وَلَمْ تَمْلِكْهَا.

وقال عبد الله بن مسعود رَحِمَهُ اللَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطُولِ السَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مِثْلُ اللِّسَانِ مِثْلُ السَّبْعِ إِنْ لَمْ تَوْثِقْهُ عَدَا عَلَيْكَ.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي [٢٦١٦]، وابن ماجه [٣٩٧٣]، وأحمد (٢٣١/٥) والنسائي في «الكبرى» [١١٣٩٤] والبيهقي في «شرح السنة» (٢٥/١).

(٢) «الأذكار» للنووي (ص ٣٣٥).

وثبت عن الأستاذ أبي القاسم القشيري رَحِمَهُ اللهُ في رسالته المشهورة قال:
«الصمت سلامة، وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في
موضعه أشرف الخصال»، قال: سمعت أبا علي الدقاق رَحِمَهُ اللهُ يقول: «من سكت عن
الحق فهو شيطان آخرس».

ومما أنشدوه في هذا الباب:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه قد كان هاب لقاءه الشجعان
وقال زيد بن أسلم، عن أبيه: دخل عمر على بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يجيذ
لسانه، فقال عمر: مه، غفر الله لك! فقال أبو بكر: هذا أوردني الموارد.

وقال ابن بريدة: رأيت ابن عباسٍ آخذًا بلسانه وهو يقول: ويحك، قل خيرًا تغنم،
أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم، قال: فقل له: يا ابن عباس، لم تقول
هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان -أراه قال- ليس على شيء من جسده أشد حنقا أو غيظًا
يَوْمَ القيامة منه على لسانه إلا من قال به خيرًا، أو أملى به خيرًا.

وقال الحسن: اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئًا جنت، وإذا عف عفت.
وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدًا لسانه منه على بالٍ إلا رأيت ذلك صلاحًا في
سائر عمله.

وقال يحيى بن أبي كثير: ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا
فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله.

وقال المبارك بن فضالة، عن يونس بن عبيد: لا تجذ شيئًا من البرِّ واحدًا يتبعه البرُّ
كله غير اللسان، فإنك تجذ الرجل يصوم النهار، ويفطر على حرام، ويقوم الليل ويشهد

بالزور بالنهار - وذكر أشياء نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيُخالف ذلك عمله أبداً.

وقال عطاء كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن نقرأه أو أمرًا بمعروف، أو نهياً عن منكر أو أن تنطق في معيشتك بها لا بدّ لك منه.

وقال عبد الله بن المبارك «عجبت من اتفاق الملوك الأربعة كلهم على كلمة قال كسرى: إذا قلت ندمت وإذا لم أقل لم أندم وقال قيصر: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منّي على ردّ ما قلت وقال ملك الهند: عجبت لمن تكلم بكلمة إن هي رفعت تلك الكلمة ضرّته، وإن هي لم ترفع لم تنفعه، وقال ملك الصين: إن تكلمت بكلمة ملكتني وإن لم أتكلّم بها ملكتها.

وعن يحيى بن سعيد قال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام، لقي خنزيراً على الطريق فقال له: انفذ بسلام، فقبل له أتقول هذا للخنزير؟ فقال عيسى: «إني أكره وأخاف أن أعود لساني النطق بالسوء».

وقال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز وقد عزله: لم عزلتني؟ فقال: بلغني أنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.

وتكلّم ربيعة يوماً فأكثر الكلام وأعجبته نفسه وإلى جنبه أعرابيٌّ فقال له: يا أعرابي ما تعدّون البلاغة؟ قال: قلّة الكلام، قال: فما تعدّون السعي فيكم؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم.

وقال خالد بن صفوان: لرجل كثير كلامه: إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنّه إصابة المعنى والقصد إلى الحجة.

وقال بعض الحكماء: «الخير كله في ثلاث: السكوت، والكلام، والنظر، فطوبى لمن كان سكوته فكرة، وكلامه حكمة، ونظره عبرة».

وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: كان يقال من لم يبال ما قال ولا ما قيل له فهو ولد شيطان، وعن محمد بن الحجاج المصفر مثله إلا أنه قال: فهو لغير رشدة.

وقال الخلال: سألت ثعلباً النحوي عن السفلة فقال: الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل له.

وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صموت، وكلامه قوت.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مئونة الاعتذار.

وقال بعض الفصحاء: اعقل لسانك إلا عن حقٍّ توصّحه، أو باطلٍ تدحضه، أو حكمةٍ تنشرها، أو نعمةٍ تذكرها، وأخيراً اعلم أن الكلام ترجمانٌ يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بواده، ولا يقدر على ردّ شوارده، فحقٌّ على العاقل أن يحترز من الله بالإمساك عنه أو بالإقلال منه^(١).

لذلك جدير بكل مسلم وحرّي بكل مسلم أن يمسك لسانه؛ فإن كثرة الكلام تجلب سخط الرب عليه، إذا كان فيه تعلق بالأعراض وانتهاك للحرّمات.



البَصَلُ الثَّانِي

المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمثال والحكم

اعلم - علمني الله وإياك - أن الأمثال لغة: جمع مثل والمثل، هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً، فيجعل مثله، والأصل فيه التشبيه، كما في اللسان.

واصطلاحاً: حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تبلغ ما حاولت من حاجاتها في المنطق، وقد ضربها النبي ﷺ وتمثل بها هو ومن بعده من السلف.

وقال أبو عبيد: الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعاوض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكنائية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي ﷺ وتمثل بها هو ومن بعده من السلف.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وقأهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وقرّجوا به عن الكرب والمكرية، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأنّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المذّي في النقاسة، قال: والنادرة حكمة صحيحة تؤدّي ما يؤدّي عنه المثل، إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم تجر إلا بين الخواص، وليس بينها وبين المثل إلا الشيوخ وحده^(١).

وقال الجوهري: «المثل: ما يضرب به من الأمثال»^(٢).

وقال الشيخ الشعراوي: «المثل قول من حكيم شاع على الألسنة، وتناقله الناس كلما جاءت مناسبتة، ومثال ذلك الملك الذي أرسل امرأة تخطب له أم إياس بنت عوف

(١) «المزهر» (١/١٥٣) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي .

(٢) «الصحيح في اللغة» (٢/١٥٩).

ابن عسلم الشيباني، وكان اسمها (عصام)، فلما عادت من المهمة بادرها بقوله: ما وراءك يا عصام؟ فصارت مثلاً يُقال في مثل هذه المناسبة مع أنه قيل في حادثة مخصوصة، والمثل يقال كما هو، لا يغير فيه شيئاً، فنقول: ما وراءك يا عصام للمذكر وللمؤنث، وللمفرد وللمثنى وللجمع، ومن ذلك نُشِبَ الكريم بحاتم، والشجاع بعنتره.. الخ؛ لأن حاتم الطائي صار مضرب المثل في الكرم، وعنتره في الشجاعة، وفي المثل نقول لمن يواجه بمن هو أقوى منه: إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً، ونقول لمن لم يُعَدَّ للأمر عُدَّتْه: قبل الرماة تملأ الكنائن. إذن: المثل قول شبه مضربه الآن بمورده، سابقاً لأن المورد كان قوياً وموجزاً لذلك حُفِظَ وتناقلته الألسنة، والقرآن يسير على أسلوب العرب وطريقتهم في التعبير وتوضيح المعنى بالأمثال حتى يضرب المثل بالبعوضة، والبعض يأنف أن يضرب القرآن بجلاله وعظمته مثلاً بالبعوضة، وهو لا يعلم أن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ١٦٢] ^(١).

ويجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، فهو نهاية البلاغة،

١- إيجاز اللفظ. ٢- إصابة المعنى. ٣- حسن التشبيه. ٤- جودة الكناية.

ولذلك كان أكثر أدب القدماء وما دونه من علوم مشفوعاً بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسن الطير والوحش حتى يكون الخير، مقروناً بذكر عواقبه، والمقدمة موحية بنتائجها؛ لأن الكلام إذا جعل مثلاً كان أوضح للمنطق، وأوسع لشعوب الحديث، والأمثال لا تغير، بل تجري في القول كما جاءت، فإذا ورد المثل بالتأنيث، بقي على تأنيث في كل الأحوال، فقولك: الصيف ضيعت اللبن، هو في الأصل خطاب لامرأة ضيعت الأمر، ثم أرادت استدراكه فمنعت عنه، فإذا ضربته الآن لمفرد مذكر أو مثنى أو جمع، بقي على حاله بكسر التاء، ولا يغير عن صيغته التي ضرب

(١) «تفسير الشعراوي» صفحة [٣٣٩٢].

بها، والمثل السائر في كلام العرب كثير، نظماً ونثراً، وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدق، وقد وردت الأمثال في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وخرجت مخرج المثل السائر.

وقال العلامة المباركفوري: «الأمثال جمع المثل بفتحين وهو تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر»، قاله ابن القيم في الإعلام، وقال البيضاوي في تفسيره: أكثر الله تعالى في كتبه الأمثال، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء، والمثل في الأصل بمعنى النظر، يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا ما فيه غرابة، ولذلك حوفظ عليه من التغير، ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(١).

تعريف الحكمة: الحكمة مأخوذ من الحكمة - بفتح الكاف والميم - وهو ما يوضع للدابة كي يذلها راجبها فيمنع جراحها، ومنه اشتقت الحكمة قالوا: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل^(٢).

والحكمة في حقيقتها: وضع الأشياء في مواضعها، وقال ابن زيد: «كل كلمة وعظمتك أو دعيتك إلى مكرمة أو نهيتك عن قبيح فهي حكمة».

وأدق من هذا قول أبي جعفر محمد بن يعقوب: «كل صواب من القول ورث فعلاً صحيحاً فهو حكمة»، وفي تعريفات الجرجاني: «كل كلام وافق الحق فهو حكمة»^(٣).

يتبين من مجموع ما سبق أن الحكمة كلمة عامة تشمل الأقوال التي فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير، وإخبار بتجارب السعادة والشقاوة، وكليات جامعة لأصول

(١) «تحفة الأحوذى» (٧/ ١٧٨).

(٢) «المصباح المنير» [٥٦].

(٣) «التعريفات» (١/ ٣٠).

الآداب، فهي معرفة خالصة من شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وتهذيبهم وتوجيههم، إنها اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغير.

وقال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها.

والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، والمحكم: المجرب المنسوب إلى الحكمة.

قال طرفة: ليت المحكم والموعوظ صوتكما ... تحت التراب إذا ما الباطل انكشفاً
أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة^(١).

وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأنّ المعاني بها لائقة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها واثقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة. فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة.

ولها أربعة شروط:

أحدها- صحة التشبيه.

والثاني- أن يكون العلم بها سابقاً والكلّ عليها موافقاً.

والثالث- أن يسرع وصولها للفهم، ويعجل تصوورها في الوهم، من غير ارتباك في

استخراجها ولا كد في استنباطها.

والرابع- أن تناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً.

(١) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس مادة (حكم) جـ (٢ / ٩١).

فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة كانت زينة للكلام وجلالة للمعاني وتدبراً للأفهام^(١).

وكثيرة هي الأمثال التي ضربها الله ورسوله في الكتاب والسنة، مما يوحى بأهمية تلك الأمثال في بيان ما يلبس على الأذهان وإقامة الحجج والبراهين. وجل تلك الأمثال إنسا تناقش أصول العقيدة وتجليها فيتفع بها المؤمنون، ويعقلها العالمون، وأما غلاظ القلوب وأغبياء العقول فيزدادون جهلاً.

الحكمة من ضرب الأمثال،

المثل إذا ضُربَ فالمقصود به: تبين فكرة مجملة قد تلبس على الأذهان. إذا: المثل من باب الميّن، فالذي يعجز عن فهم المثل ينبغي أن يبكي على نفسه؛ لأن الميّن إذا لم يفهم فلن يُتعلّق شيء: فليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل، إنما يلبس على المرء ما أُجمل، فإقامة الصلاة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الأنعام: ٧٢] كلام مجمل، فلو سألت: كيف أقيم الصلاة؟ فأنا لا أدري كيفية إقامتها، كان معك الحق في هذا السؤال. لكن لو قلت لامرئ: الصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، فإذا لم يفهم عدد الركعات؛ فإنه ينبغي له أن يبكي على نفسه -إذا سأل: كيف ذلك؟- بعد هذا البيان. وقوله تعالى: ﴿ وَأَتُوا النَجْعَ وَالْمُزَّةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، مجمل، فإذا سأل امرؤ: كيف نحج؟ قلتُ له: افعل كذا وكذا، وقف هنا، وادع هنا ولا تقف هنا؛ فإذا سأل: كيف ذلك؟ فينبغي له أن يبكي على نفسه. فالأمثال إنما تُضرب لتقريب الفكرة، والله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [التكوير: ٤٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١]، ونقل ابن كثير رحمه الله في تفسيره عن بعض السلف أنه قال: إذا لم أفهم المثل في كتاب الله بكيت على نفسي. أما غلاظ الأكباد

والعقول، فلا يفهمون المثل وإن كان واضحاً جلياً، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ﴾ [البقرة: ٢٦]. ماذا أراد بضرب هذا المثل؟ فالذين كفروا هم الذين لا يفهمون الأمثال وإن كانت واضحة جلية، وقد أكثر الله عز وجل في كتابه من ضرب المثل، والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضر بها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجلية، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحته عباده على تعقلها وتدبرها، فيذلون جهدهم في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى.

ولهذا، أكثر ما يضر الله الأمثال في أصول الدين ونحوها، والأمثلة وضربها أسلوب تربوي بليغ التأثير، جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وذلك ضمن الأساليب المؤثرة التي تقرب المعاني، وتوضح الأمور، وقد عني بها القرآن، وعُنيت بها السنة المطهرة، وجاءت الأمثال كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حتى عدَّ بعض العلماء الأمثال التي وردت في القرآن فقط بثلاثة وأربعين مثلاً، كلها لتقريب المعنى؛ لأن المثل وسيلة إيضاح، والمُعَلَّم الناجح هو الذي يستطيع أن يستخدم وسائل الإيضاح لإيصال المعاني والمعلومات إلى أذهان الطلاب والتلاميذ، والأمثلة أفضل وسيلة توضح المراد والمعنى؛ لأنها نموذج تقرب المعنى إلى الذي يسمع، فيفهم بضرب المثل أكثر مما يفهم يسرد الكلام، ولو اشتمل السرد على أبلغ المعاني، وعلى أعظم الأساليب، إلا أن المثل يفهم سريعاً، ولذا كثرت الأمثال في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ.



البَطْنُ لِلثَلَاثِ

أمثال قرآنية من كلام رب البرية

إن ضرب الأمثال أسلوب تربوي بليغ التأثير عظيم النفع، ولأهمية هذه الأمثال في إيصال المراد فقد عُني بها القرآن وعُني بها السنة. وقد حث الله سبحانه وتعالى على النظر والتأمل في الأمثال التي ضربها، والتي لا يعقلها إلا العالمون. والأمثلة وَضَرَبُهَا أسلوب تربوي بليغ التأثير، جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وذلك ضمن الأساليب المؤثرة التي تقرب المعاني، وتوضح الأمور، وقد عُني بها القرآن، وعُني بها السنة المطهرة.

وجاءت الأمثال كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حتى عدَّ بعض العلماء الأمثال التي وردت في القرآن فقط بثلاثة وأربعين مثلاً، كلها لتقريب المعنى؛ لأن المثال وسيلة إيضاح، والمعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يستخدم وسائل الإيضاح لإيصال المعاني والمعلومات إلى أذهان الطلاب والتلاميذ، والأمثلة أفضل وسيلة توضح المراد والمعنى؛ لأنها نموذج تقرب المعنى إلى الذي يسمع، فيفهم بضرب المثال أكثر عما يفهم بسرد الكلام، ولو اشتمل السرد على أبلغ المعاني، وعلى أعظم الأساليب، إلا أن المثال يفهم سريعاً، ولذا كثرت الأمثال في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وسوف نقف مع بعض الأمثال في القرآن الكريم.

١. ضرب المثل بالرجل الذي فيه شركاء متشاكسون،

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ هذا الطرف الأول للمثل، الطرف الثاني: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أشقى رجل على وجه الأرض هو هذا الإنسان، عبدٌ فيه شركاء متشاكسون، أي أن كل واحد منهم يعاند الآخر، ينتظر أن يأمر الآخر بأمر حتى يأمر بضده، وهؤلاء المتشاكسون لهم عبدٌ واحد، إذا صادف العبد رجلاً منهم جره واستخدمه. فلنفترض مثلاً عشرة من المتشاكسين يكره بعضهم بعضاً، وكلما أمر أحدهم بأمر، أمر الآخر بضده، كنوع من العناد والمشاكسة، عناد، فقال الأول - مثلاً - لهذا العبد: اذهب إلى الجهة الفلانية واتني بكذا، واعلم أنك إذا لم تطع أمري عاقبتك. فبينما هذا العبد الشقي ذاهبٌ إلى الجهة التي أمره أن يذهب إليها السيد الأول إذ قابله في الطريق المالك الثاني: - إلى أين يا غلام؟

أمرني فلانٌ أن أذهب إلى جهة المشرق لآتي بكذا. - لا، اذهب إلى المغرب واتني بكذا. ذهب إلى المغرب. طبعاً لم يقض حاجة الأول. - يا غلام! لم لم تطع أمري؟! - والله لقد أمرني فلان. - أنا مالي وماله! تعال هنا. ويوقع به العقوبة، فبينما هو متوجه إلى المغرب قابله المالك الثالث: - إلى أين؟ - إلى كذا. - لا، تعال اذهب إلى الجهة الفلانية. - فيسأله الثاني: لم لم تفعل؟ - جرتي الثالث. - وأنا مالي! تعال! فيعاقبه، فلا هو محمودٌ عندهم جميعاً ولا يقضي لهم شيئاً جميعاً، وإذا استجار بواحدٍ منهم قال له: وهل فعلت لي شيئاً حتى تستجير بي؟!

أمرتكم فلم تمتثل، فمهما يقدم من عذرٍ لا يقبل منه! تعلمون على وجه الأرض أشقى من هذا العبد! فالذين يعبدون آلهة متكاثره أمثال هذا الإنسان: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزُّرَّاءُ: ٢٩] ليس له إلا مالك واحدٌ وأمر واحد، إذا أمره ابتدر أمره، ونَقَدَ مَا يريد، فيعرف له ذلك ويكافئه، وإذا اعتذر عذره، فمن المستريح؟ أنه هذا الرجل السالم. حسناً: يا جماعة! يا معاشر العقلاء! هذان الاثنان هل يستويان مثلاً؟ فلما كان المثل واضحاً غاية الوضوح ومع ذلك ضل عنه الذين كفروا! قال الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّرَّاءُ: ٢٩].

٢. ضرب المثل بيت العنكبوت:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢) وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿[التَّكْوِيْن: ٤١-٤٣].

المثل هنا: مضروب بيت العنكبوت، وأوهن البيوت هو بيت العنكبوت، وآية ذلك لو أن ابنك الرضيع الذي يحبو على الأرض صادف بيت عنكبوت، وجمعه يده لكان قادراً على ذلك! طفل رضيع يجمع بيوت العناكب في يده، فالذي يحتتمي بإله دون الله كالذي يحتتمي ببيت العنكبوت. قال ابن نوح عليه السلام له لما قال له: ﴿يَبْنَئُ أَرْكَبُ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (١١) قَالَ سَتَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴿هُوَ: ٤٢-٤٣﴾ جبل عالٍ سامق شامخ، أين الموج الذي يصل إلى الجبل؟! ﴿قَالَ سَتَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (٤٣) الجبل مخلوق وانظر! ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاوُثْنِهِر﴾ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴿[التَّنْزِيل: ١٢].

انظر إلى الإحاطة والقدرة: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاوُثْنِهِر﴾، ولم يقل: (وفجرنا عيون الأرض) إنما قال: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ صارت كلها عيوناً؛ لأن جملة (وفجرنا عيون الأرض) فيها إشعار أن هناك بعض مناطق الأرض لم يخرج منها ماء، إنما ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ أي: صارت الأرض كلها عيوناً تخرج الماء. ماءً من فوق، وماءً من تحت، ﴿فَالْفَقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُورَ﴾ [التَّنْزِيل: ١٢]، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هُوَ: ٤٣]، فهذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله إذا جاء ضرٌّ لا يدفعون عنكم شيئاً، فلماذا عبدتموهم مع وهاء بنيانهم؟! وقال بعض علماء العصر: إن بيت العنكبوت بيتٌ واه ضعيف؛ لأن أنثى العنكبوت تقتل الذكر بعد التلقيح، قالوا: فكان البيت الذي لا يحكمه رجلٌ وتحكمه امرأة من أوهى البيوت هذه محنة جسيمة عظيمة كبيرة! أوهى البيوت بيتٌ تحكمه

امرأة، ويمشي بتدبير امرأة! ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [التكوير: ٤١]، ثم نال عز وجل:
﴿وَلَئِكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [التكوير: ٤٣].

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (هذا مثل ضرب الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتقوي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتاً يقبها من الحر والبرد والآفات، ﴿وَلَئِنْ أَوْهَكَ الْبُبُوبُ﴾ أضعفها وأوهاها ﴿لَيَبْتَئَنَّ الْعَنْكَبُوتُ﴾، فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم، فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل.

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم؛ ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تَوَلَّاه عبده وتوكل عليه، كفاه مثونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله، ولَمَّا بَيْنَ نَهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أَسَاء سَمَّوْهَا، وظنون اعتقودها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَوْءٍ﴾ أي: إنه تعالى يعلم - وهو عالم الغيب والشهادة - أنهم ما يدعون من دون الله شيئاً موجوداً، ولا إلهاً له حقيقة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَعْجِلُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الذي له القوة جميعاً، التي قهر بها جميع المخلوقات، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي

أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس. ولكن ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب ﴿إِلَّا الْكَاسِيُونَ﴾ أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين. والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيذلون جهدهم في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها^(١).

٢. ضرب المثل بخلق الذباب،

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَوْعُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [البقرة: ٧٣-٧٤]، فانظر إلى هذا التعقيب! (قوي عزيز) بعد إثبات عجزهم أن يخلقوا أحسن حشرة موجودة، سمي الذباب ذباباً؛ لأنه كلما ذب أب، كلما دفعته رجع إليك، فضرب الله عز وجل المثل بهذا الذباب الخسيس. ولذلك استنكف المشركون من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، فقالوا: أما يستحيي رب محمد أن يضرب لنا المثل بالذباب والعنكبوت؟! فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٦٣١).

مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْفَهَا ﴿الْبَقَّةُ: ٢٦﴾ ﴿فَمَا قَوْفَهَا﴾ كالذبابة والعنكبوت فهذا مثل يفهمه العقلاء. ﴿يَكَايُهَا النَّاسُ﴾: وأداة النداء من معانيها أو من فوائدها: التنبيه والإيقاظ، (يا) فأنت تعطي أذنك كل النداء، ﴿يَكَايُهَا النَّاسُ﴾ لما سمعوا النداء أصاحوا بأذانهم، ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الْبَقَّة: ٧٣] ودائماً تضرب الأمثال في التوحيد، وليس في الأحكام الشرعية. ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الْبَقَّة: ٧٣].

وأصل الخلق الإيجاد من العدم؛ لكن إذا بنيت على موجود لا يقال: خلقت؛ لأن هناك مغالطة حصلت في هذا العصر في مسألة الاستنساخ. أول ما استنسخوا النعجة (دولي) قالوا: لقد استطاعوا أن يخلقوا نعجة! وكذبوا؛ لأنهم أتوا بخلية من كائن حي، والخلية هي من خلق الله عز وجل، فبنوا عليها فأين الخلق؟ لكنهم لبسوا على ضعاف العقول، وما أكثرهم! حتى قال قائلهم - وكفر بهذه المقالة -: إن ميلاد النعجة (دولي) أعظم من ميلاد المسيح! فزعموا أن العباد فعلوا ما لم يفعله ربهم! ومع ذلك أفتى علماءهم وأذكياؤهم: أن الاستنساخ تدمير للبشرية؛ لأن المستنسخ له نفس مواصفات الخلية، فلو أخذوا - مثلاً - خلية من إنسان عمره - مثلاً - أربعون سنة، عنده مرض السكر والضغط والسل - أو أي مرض من هذه الأمراض - واستطاعوا أن ينموا إنساناً من هذه الخلية، فسوف يكون عمر هذا الولد الرضيع أربعين سنة، وسوف يكون وهو رضيع مريض بالسل والضغط وبكل الأمراض التي في الخلية.

فتصور أن طفلاً رضيعاً به كل هذه الأمراض، وحين يصل إلى عمر عشر سنين سوف يمشي على عكاز! إذا فنتيت البشرية، أين طاقات الشباب وأين السواعد التي تبني الحضارات عندما يكون ابن عشر سنين عنده كل هذه الأمراض؟! فالاستنساخ تهديد للبشرية كلها، فهل يستطيعون أن يخلقوا الخلية؟! هذا هو المذكور في هذا المثل ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لا خلية الذباب ولا الذباب، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾، لا يوصف أحد بأنه

إله إلا إذا كان قادرًا على إمضاء أمره على غيره ولا يُغَلَّب، فإذا غُلِب لم يكن إلهًا، وإذا أمر فلم يَمْض أمره لم يكن إلهًا. فلو سلمنا جدلاً أن اهتكم -أيها المشركين- كلها اجتمعت بطاقتها ومواهبها وقدراتها جميعًا لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابًا، وليس هذا فقط، بل هناك مسألة أخط من ذلك لا يستطيعونها أيضًا ﴿وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ﴾، وكأنه سبحانه وتعالى قال: لا يستطيعون، وأنا سأدلل لكم على أنهم أحقر من أن يخلقوا بأن أذكر شيئًا تافهًا لا يستطيعونه أيضًا.

﴿وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ﴾ لا تكلفكم أكثر من طاقاتكم، ولن نقول: اخلقوا، عرفنا أنكم عجزاء؛ لكن هذا ذبابٌ مخلوقٌ لله، وقع في إناء أحدكم وأخذ رشفةً من الشراب الذي يشربه، هل يستطيع أن يرجع هذا الشراب الذي أخذه الذباب من إنائه؟! هذه مرحلة أخط وأدنى من الأولى، ومع ذلك لا يستطيعونها ﴿صَعَفَكَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [البخ: ٧٣] المطلوب: هو الذباب الضعيف، والطالب: هو هذا الكافر الذي ملأ الأرض فسادًا، وقال بعضهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، لكنه عاجز عن استنقاذ شيء من الذباب: ﴿صَعَفَكَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾، فإذا كان هؤلاء الذين تعبدونهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك، فهم لا يستوون مع الله، فلماذا فعلتم هذا، وساويتم بين الله وبين الآلهة التي لا تستطيع أن تخلق ذبابًا؟ يا حسرتاه. ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [البخ: ٧٣] إذ سواوا بينه وبين الذي لا يخلق ذبابًا! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [البخ: ٧٤].

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علمًا وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، ﴿صُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَوِعُوا لَهُ﴾ أي: ألقوا إليه أسماكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوبًا لاهية، وأسماعا معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: ﴿إِنَّكَ الْذَّيْبُ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، شمل كل ما يدعى من دون الله،

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بل أبلغ من ذلك لو ﴿يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْذُوهُ مِنْهُ﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز ﴿ضَعُفَكَ الظَّلَالُ﴾ الذي هو المعبود من دون الله ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين.

فهذا ما قدر ﴿اللَّهُ حَقٌّ قَدَرُهُ﴾ حيث سوى الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ومن كمال قوته، أنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه^(١).

٤ - ضرب المثل بالرجل الأبكم الذي هو كل على مولاه،

ثم ضرب مثلاً آخر عجيباً، أشد وضوحاً من الأول فقال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [الْبَنَاءُ: ٧٦] انظر إلى وضوح هذا المثل أكثر من الأول! ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [الْبَنَاءُ: ٧٦] أربعة أوصاف لهذا العبد المخدول: أبكم لا يتكلم، والكلام نعمة؛ ولذلك شنَّ علماء المسلمين الغارة على الجهمية حين زعموا أن الله لا يتكلم، فقال مفتريهم عند تفسير قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الشَّعَرَاءُ: ٧٦]، قال: إن الله لا يتكلم.

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/٥٤٦).

صفة الكلام صفة كمال، وعدمها صفة نقص عند المخلوقين، فكيف بالخالق عز وجل؟! فقال أهل السنة: هو متكلمٌ كان ولم يزل متكلمًا؛ لأن عدم الكلام نقص. فهذا رجلٌ أبكم، عاجز لا يقدر على شيء، ومن تمام عجزه أنه كلٌّ على مولاه. نحن نعبد الله لأسباب كثيرة: منها أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ومنها: أن يوصل النفع إلي، ويدفع الضرر عني، فأنا إذا احتجت أقول: يا رب. إذا: أنا الذي أحتاج، وإلهي هو الذي يمدني. تصور العكس: أن إلهك الذي تعبده يحتاج إليك! هذا الرجل كلٌّ على مولاه، المفروض أن مولاه اشتراه ليتفع به، لكن مولاه هو الذي يخدمه، وهو الذي يشتغل له، فهذا العبد كلٌّ على مولاه. ولو قال له مولاه: مللت منك وليس منك أي فائدة: اذهب إلى الجهة الفلانية، اثني بفلان، أو احضر لي كذا وكذا: (أيما يوجهه لا يأت بخير) إذا بعثه في معروف يأتي بمصيبة، لا ينطق، ولا يقدر على شيء، وأنا الذي أنفق عليه، فإذا أردت أن أستخدمه مرة جاءني بمصيبة! الطرف الأول من المثل ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [التكاث: ٧٦]، أجيبوني أيها العقلاء! هل يستوون؟ مثل في غاية الوضوح. وهذان المثالان ضربهما الله عز وجل لنفسه مع الآلهة من دونه. هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل؟ لا يأمر إلا إذا كان قادرًا على إمضاء أمره، ولا يأمر إلا إذا كان متكلمًا، إذا يأمر هي ضد ﴿ أَبْكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ أبكم: يعني لا يتكلم، في مقابله يأمر، لأنه لا يأمر إلا إذا كان متكلمًا، ثم لن يأمر إلا إذا كان قادرًا على إمضاء أمره، فهذا في مقابل: ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيَّتَمَّا يُوجِّهُ لَا يَأْت بِخَيْرٍ ﴾؛ لأن ذاك العبد الأبكم جاهل لا يعرف الخير من الضر ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ ولا يأمر بالعدل إلا إذا كان عالمًا بالفرق بين العدل والجور، فهذا في مقابل: ﴿ أَيَّتَمَّا يُوجِّهُ لَا يَأْت بِخَيْرٍ ﴾، لكن هذه الكلمة المجملة ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [التكاث: ٧٦] كانت كلها صفات في مقابل صفات النقص الأولى.

٥. ضرب المثل بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء؛

في سورة النحل قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٤-٧٣) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٣-٧٤]، ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلين؛ ليعين أنهم لا يعلمون؛ وأن واقعهم ينادي أنهم لا يعلمون حتى وإن ادعوا أنهم يعلمون، واقعهم ينادي بجهلهم، فهذا الجاهل الغبي كيف يضرب المثل لربه؟! وانظر إلى ترفق الله عز وجل بالعبد، وصبره على ضرب المثل له، وبسطه للعبارة! وهذا كله ينبئ بسعة حلمه على عبيده، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُفْنِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النحل: ٧٥] أي: لا يستون، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦] أربع صفات: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

نأمل هذا المثل ما أجمله وما أعجبه وأقواه في إقامة الحجة! مفتتح الآيات ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٣] الشيء العجيب كلمة ﴿شَيْئًا﴾ هذه! ما موقعها؟ مع أنها لو حذفت استقام السياق: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الكلام مستقيم، لكن جاءت كلمة: ﴿شَيْئًا﴾، هكذا منصوبة كأنها بدل، قال بعض النحاة: إنها بدل من ﴿رِزْقًا﴾؛ أي أنك تستطيع أن تضع البديل مكان المبدل منه وتصح العبارة، كأن تقول: (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم شيئاً) والرزق داخل في الكلام، لكن جاءت (رزقاً) ثم قال: (شيئاً). الرزق شيء، فكأن تقديم الرزق على الشيء من باب تقديم الخاص على العام، وهو عند علماء الأصول يفيد الاهتمام؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَشُكْرِي وَحَيَايَ وَمَنَافِيَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢]﴾، فالصلاة والنسك أخص، والمحيا أعم، لو قلت: (إن محياي لله) دخل فيه الصلاة والنسك وكل شيء، لكن تقديم الصلاة والنسك فيه دلالة على الاهتمام بالصلاة والنسك.

كما قال رحمه الله: «ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»، مع أن المرأة من الدنيا، فكان يمكن حذف المرأة ويقال: «ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١)، والمرأة من الدنيا، لكنه أفرد المرأة بالذكر بعد الدنيا إشعاراً بفتنتها وخطورتها. فبدأ الله عز وجل بذكر أن الآلهة من دونه لا يملكون للعباد رزقاً، وهذه قضية خطيرة وحيوية في حياة الناس. كم الذين داهنوا أعداء الله عز وجل، بل كانوا عوناً لهم بدعوى أكل العيش! كم الذين ارتكبوا المحرمات ولا يزالون يقول لك: أكل عيش! ماذا أفعل؟! المرتب الأولاد الأكل الشرب... فارتكبوا المحرمات بدعوى الأكل والشرب والرزق! فالله عز وجل ذكر هذه القضية الخطيرة الحيوية في حياة الخلق، بدأ بها: ﴿وَيَسْأَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ [الحج: ٧٣].

حسناً: هذا لا يملك لك رزقاً لماذا تعبده؟ واقعك في الدنيا يكشف أنك اتبعت كل جبارٍ عنيد من أجل الرزق ولقمة العيش، فلماذا خالفت هنا؟! ثم ضرب الله عز وجل مثلاً فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [الحج: ٧٥]، وهذا واقع في حياة العرب، كان عندهم عبيد، وكانوا يعلمون أن العبد المملوك لا يقدر على شيء أبداً، لذلك من العلماء من لم يميز شهادة العبيد لماذا؟ قال: لأن العبد في ملك سيده، فقد يدعى العبد للشهادة، فيقول له سيده: لا تذهب، فهو مسلوب الإرادة، ولا بد له أن يطيع سيده؛ فتضيع الشهادات وتضيع الحقوق؛ لذلك قال: هذا عبدٌ مملوك لا تناط به الشهادة، ولا يملك حل شيء ولا ربطه.

(١) أخرجه البخاري [١] «بده الوحي». وقال النووي: «وهو حديث مجمع على عظمتة وجلالته وهو أحد قواعد الدين وأول دعائمه وأشد أركانه وهو أعظم الأحاديث التي عليها مدار الإسلام».

فيا أيها العرب: عندكم عبيد، وأنتم تعلمون أنهم لا يملكون شيئاً، فنضرب المثل لكم بما تعلمون. وقال: (مملوكاً) حتى يظهر المعنى؛ لأنه لو قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ فقد تتصور أن المراد مطلق العبودية، التي تشمل الحر والمملوك؛ لكنه أراد أن يخرج الحر من ضرب المثل، وأن المثل مضروبٌ للمملوك. كلمة ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ معناها: أنه لا يقدر على شيء، لكنه أبان عن عجزه الكامل ودفع كل تأويل يُسأَلُ به فقال: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من باب التأكيد والبيان، كما قال تعالى في مفتتح هذا الربع في سورة النحل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا لِلنَّهْيَيْنِ آتَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، مع أنه مستقرٌّ عند جميع الناس أن الإلهين لا يكونان ثلاثة ولا أربعة ولا خمسة، إلهان: مثني، فهما اثنان، إنما جاء هذا للتأكيد، كما لو قلت: أنا رأيتك بعيني، مع أنك لا ترى إلا بعينيك، أو تقول: أنا سمعتك بأذني، مع أنك لا تسمع إلا بأذنك. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥]، هذا هو الشطر الأول من المثل، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ زَرَفْنَاهُ مِتًّا رِزْقًا حَسَنًا﴾: أي ضرب الله بالرجل الحر المثل، وتأمل كلمة ﴿مِتًّا﴾ هذه التي تفيد الإمداد الشخصي، ملك من المملوك يمد رجلاً يقول: أنا الذي أعطيتك، إمداد شخصي.

فالله عز وجل يقول: أنا الذي أمدّه، وأنا الذي أرزقه، وفيه عناية بهذا العبد. ﴿وَمَنْ زَرَفْنَاهُ مِتًّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: رجلٌ حر، ينفق ماله سرّاً وجهراً، يميناً وشمالاً، وعنده رافد ومعين لا ينضب، وهو: أن ملك المملوك - تبارك اسمه - هو الذي يمدّه، فهو رجل لا يخشى الفقر ولا الفاقة، فهو ينفق ببذخ وسخاء، بالله عليكم هل يستوون؟! انظر إلى وضوح المثل، فهو واضح جداً؛ ولذلك قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، حمد الله عز وجل نفسه أنهم لا يستوون في عقل أي عاقل، وحمد الله عز وجل نفسه أن الذين كفروا لا يعلمون، إذ لو علموا الشغبوا على الذين آمنوا؛ فليظل هؤلاء في جهلهم يرتكسون. وهكذا يحمد الله عز وجل نفسه أنه لا يوصل الخير إلى الذين ظلموا، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ

الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[البقرة: ٤٥]﴾، فحمد نفسه بعد إهلاك الذين ظلموا؛ لأن في إهلاكهم نجاة للذين آمنوا. وفي غيابهم أيضًا نجاة لحجج الذين آمنوا، قال النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن»^(١)؛ لأنه يضل الناس، منافق له لسان عذب يستطيع أن يقيم الحجج ويزين الكلام، فمع نفاقه لا يخلو كلامه من آية وحديث. فمع حسن العرض وتزين الكلام بالآية والحديث يظن الناس أنه من الحق؛ فيفتنوا، فهذا أخوف ما يخاف رسول الله ﷺ على الأمة: «منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن».

فإضلال الذين كفروا عن موضع الحجة نعمة؛ لذلك حمد الله نفسه عليها: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾؟ أي إنسان عنده مسكة من عقل يقول: لا يستون، فقال الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٦ - ضرب المثل بحال المشركين مع المؤمنين،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [البقرة: ٤٥]، قال ابن عاشور: «هذا مثل ثالث ضربه الله لحال المشركين مع المؤمنين وجعله تسلية لرسوله ﷺ بأن له أسوة بالرسول والأنبياء من قبله»^(٢).

٧ - ضرب المثل للدنيا والايما والنفس،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي الْإِنْفِقِ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

قال ابن عاشور: قال الماوردي: قيل هذا مثل ضربه الله، أي وليس بخبر. وفيما ضرب فيه المثل ثلاثة أقوال:

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد برقم [١٤٣ - ٣١٠] وصححه إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) «التحرير والتنوير» (١٠/ ٢٩١).

أحدهما - أنه مثل للدنيا يظن الناظر إليها أنها ثابتة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب، قاله سهل بن عبد الله التستري.

الثاني - أنه مثل للإيمان تحسبه ثابتاً في القلب، وعمله صاعد إلى السماء.

الثالث - إنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسير إلى العرش. وكأنهم أرادوا بالتمثيل التشبيه والاستعارة. ولا يخفى على الناقد البصير بعد هذه التأويلات الثلاثة لأنه إن كان ﴿الْجِبَالُ﴾ مشبهاً بها فهذه الحالة غير ثابتة لها حتى تكون هي وجه الشبه وإن كان لفظ ﴿الْجِبَالُ﴾ مستعاراً للشيء وكان مر السحاب كذلك كان المستعار له غير مصرح به ولا ضمنيًا. وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب، ولا توجيه التذليل بقوله تعالى ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق، ومعنى التأمل خليق، فوضعها أنها وقعت موقع الجملة المعترضة بين المجرى وبينه من قوله ﴿فَفَتَحَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَىٰ ذَخِيرٍ﴾ (٨٧) وَرَبِّ الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَائِدَةً وَهِيَ تُمَرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَتْحٍ يَوْمَئِذٍ بَاطِنُونَ ﴿[النَّازِعَاتِ: ٨٧-٨٩]، بأن يكون من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد إدماجاً وجمعاً بين استدعاء للنظر، وبين الزواجر والنذر، كما صنع في جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلًا لَّيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٨٦] الآية. أو هي معطوفة على جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلًا لَّيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٨٦]، الآية وجملة ﴿وَيَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٨٧]، معترضة بينهما لمناسبة ما في الجملة المعطوف عليها من الإيحاء إلى تمثيل الحياة بعد الموت، ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة. وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم.

كما كان معجزة للبلغاء من جانبه التنظيمي، فإن الناس كانوا يحسبون أن الشمس تدور حول الأرض، فينشأ من دورانها نظام الليل والنهار، ويحسبون الأرض ساكنة. واهتدى بعض علماء اليونان إلى أن الأرض هي التي تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضي تقريباً وضياء النصف الآخر وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار، ولكنها كانت نظرية مرموقة بالنقد وإنما كان الدال عليها قاعدة أن الجرم الأصغر أولى بالتحرك حول الجرم الأكبر المرتبط بسيره، وهي علة إقناعية لأن الحركة مختلفة المدارات، فلا مانع من أن يكون المتحرك الأصغر حول الأكبر في رأي العين وضبط الحساب وما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي «غاليلي» الإيطالي.

والقرآن يدمج في ضمن دلائله الجمة وعقب دليل تكوين النور والظلمة دليلاً رمزياً إليه رمزاً؛ فلم يتناوله المفسرون أو تسمع لهم ركزاً. وإنما ناط دلالة تحرك الأرض بتحرك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية فظهور تحرك ظلها متناقصة قبل الزوال إلى متتهى نقصها، ثم أخذة في الزيادة بعد الزوال. ومشاهدة تحرك تلك الظلال تحركاً يحاكي ديبب النمل أشد وضوحاً للرصد، وكذلك ظهور تحرك قممها أمام قرص الشمس في الصباح والماء أظهر مع كون الشمس ثابتة في مقرها بحسب أرصاد البروج والأنواء. ولهذا الاعتبار غير أسلوب الاستدلال الذي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُونَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٨٦]، فجعل هنا بطريق الخطاب ﴿وَرَى لَيْجَالٌ﴾؛ والخطاب للنبي ﷺ تعليماً له لمعنى يدرك هو كنهه، ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم كما عمو قوله ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُونَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٨٦]، في هذا الخطاب وادخاراً لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة الدقيقة.

فالنبي ﷺ أطلعه الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض كما أطلع إبراهيم عليه السلام على كيفية إحياء الموتى، اختص الله رسوله ﷺ بعلم ذلك

في وقته واثمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه وجد أهل القرآن ذلك حقاً في كتابه فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه . وهذا التأويل للآية هو الذي يساعد قوله ﴿ وَزَيَّ الْجِبَالِ ﴾ المقتضي أن الرائي يراها في هيئة الساكنة، وقوله: ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ إذ هذا التأويل بمعنى الجامدة هو الذي يناسب حالة الجبال إذ لا تكون الجبال ذاتية. وقوله ﴿ وَهَيَّ تَرُّ ﴾ الذي هو بمعنى السير ﴿ مَرَّ السَّحَابِ ﴾، أي مرّاً واضحاً لكنه لا يبين من أول وهلة. وقوله بعد ذلك كله ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، المقتضي أنه اعتبار بحالة نظامها المؤلف لا بحالة انخرام النظام لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن ولكنه يوصف بالأمر العظيم أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور.

و ﴿ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ مصدر مبين لنوع مرور الجبال، أي مروراً تنتقل به من جهة إلى جهة مع أن الرائي يخالها ثابتة في مكانها كما يخال ناظر السحاب الذي يعم الأفق أنه مستقر وهو يتقل من صوب إلى صوب ويمطر من مكان إلى آخر، فلا يشعر به الناظر إلا وقد غاب عنه. وبهذا تعلم أن المر غير السير الذي في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَزَيَّ الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧]، فإن ذلك في وقت اختلال نظام العالم الأرضي. وانتصب قوله ﴿ صُنِعَ اللَّهُ ﴾ على المصدرية مؤكداً لمضمون جملة ﴿ تَرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ بتقدير: صنع الله ذلك صنعاً. وهذا تمجيد لهذا النظام العجيب إذ تتحرك الأجسام العظيمة مسافات شاسعة والناس يحسبونها قارة ثابتة وهي تتحرك بهم ولا يشعرون. والجامدة: الساكنة، قاله ابن عباس^(١).

٨ - ضرب المثل للتأسي بالأنبياء السابقين،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ۚ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۚ ﴾ [ص: ٤١، ٤٢].

قال ابن عاشور: «هذا مثلٌ ذُكر به النبي ﷺ أسوة به في الصبر على أذى قومه والالتجاء إلى الله في كشف الضر»^(١).

٩ - ضرب المثل في اغواء الشيطان للإنسان والتبرأ منه،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَشَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٦، ١٧]، قال ابن عاشور: «هذا مثل آخر لمثل آخر، وليس مثلاً منضماً إلى المثل الذي قبله؛ لأنه لو كان ذلك لكان معطوفاً عليه بالواو، أو ب (أو) والوجه: أن هذا المثل متصل بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥]، كما يفصح عنه قوله في آخره: ﴿فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الآية، أي مثلهم في تسيبهم لأنفسهم عذاب الآخرة كمثل الشيطان إذ يوسوس للإنسان بأن يكفر ثم يتركه ويتبرأ منه، فلا يتفجع أحدهما بصاحبه ويقعان معاً في النار. فجملة ﴿كَشَلِ الشَّيْطَانِ﴾ حال من ضمير ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥]، أي في الآخرة والتعريف في ﴿الشَّيْطَانِ﴾ تعريف الجنس وكذلك تعريف «الإنسان».

والمراد به الإنسان الكافر ولم تُرد في الآخرة حادثة معينة من وسوسة الشيطان لإنسان معين في الدنيا، وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، وهل يتكلم الشيطان مع الناس في الدنيا فإن ظاهرة قوله: ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ أنه يقوله للإنسان، وإما احتمال أن يقوله في نفسه فهو احتمال بعيد. فالحق: أن قول الشيطان هذا هو ما في آية ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ

وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِينَ^{٢٢} إني كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴿[البقرة: ٢٢]﴾، والمعنى: إذ قال للإنسان في الدنيا: اكفر، فلما فر ووافى القيامة على الكفر قال الشيطان يوم القيامة: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾، أي قال كل شيطان لقرينه من الإنس: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ طمعاً في أن يكون ذلك منجيه من العذاب. ففي الآية إيجاز حذف حذف فيها معطوفات مقدرة بعد شرط ﴿لَمَّا﴾ هي داخله في الشرط إذ التقدير: فلما كفر واستمر على الكفر وجاء يوم الحشر واعتذر بأن الشيطان أضله قال الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ الخ. وهذه المقدرات مأخوذة من آيات أخرى مثل آية سورة إبراهيم وآية سورة ق: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ﴾ الآية. وظاهر أن هذه المحاجة لا تقع إلا في يوم الجزاء وبعد موت الكافر على الكفر دون من أسلموا.

وقول: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ من تمام المثل. أي كان عاقبة الممثل بهما خسرانها معاً. وكذلك تكون عاقبة الفريقين الممثلين أنها خائبان فيما دبرا وكادا للمسلمين. وجملة ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ تذييل، والإشارة إلى ما يدل عليه ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ من معنى، فكانت عاقبتهم سواء والعاقبة السواء جزاء جميع الظالمين المعتدين على الله والمسلمين، فكما كانت عاقبة الكافر وشيطانه عاقبة سوء كذلك تكون عاقبة الممثلين بهما وقد اشتركا في ظلم أهل الخير والهدى^(١).

١٠ - ضرب المثل بحال الكافر والمؤمن،

قَالَ اللَّهُ تَبٰرَكَ ﴿أَمَنْ يَتَّبِعِ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَتَّبِعِ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ٢٢]، قال ابن عاشور: (هذا مثل ضربه الله للكافرين والمؤمنين أو لرجلين): كافر ومؤمن، لأنه جاء مفرعاً على قوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقوله: ﴿بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [المائدة: ٢١]، وما اتصل ذلك به من الكلام الذي سبق مساق الحجة عليهم بقوله: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ [المائدة: ٢٠] ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْفُكُهُ﴾

﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [التَّالِك: ٢١]، وذلك مما اتفق عليه المفسرون على اختلاف مناحيهم ولكن لم يعرج أحد منهم على بيان كيف يتعين التمثيل الأول للكافرين والثاني للمؤمنين حتى يظهر وجه إلزام الله المشركين بأنهم أهل المثل الأول مثل السوء، فإذا لم يتعين ذلك من الهيئة المشبهة لم يتضح إلزام المشركين بأن حالهم حال التمثيل الأول، فيخال كل من الفريقين أن خصمه هو مضرب المثل السوء. ويتوهم أن الكلام ورد على طريقة الكلام المنصيف نحو ﴿وَلَوْ أَنَّ أَزْيَاكُم لَعَلَىٰ هَذَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يُنَبِّئ: ٢٤].

بذلك ينبو عنه المقام هنا لأن الكلام هنا وارد في مقام المحاجة والاستدلال وهنالك في مقام التاركة أو الاستنزال. والذي انقدح لي: أن التمثيل جرى على تشبيه حال الكافر والمؤمن بحالة مشي إنسان مختلفة وعلى تشبيه الدين بالطريق المسلوكة كما يقتضيه قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فلا بد من اعتبار مشي المكب على وجهه مشياً على صراط مُعْجٍ، وتعين أن يكون في قوله: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ استعارة أخرى بتشبيه حال السالك صراطاً معوجاً في تأمله وترشمه آثار السير في الطريق غير المستقيم خشية أن يضل فيه، بحال المكب على وجهه يتوسم حال الطريق وقرينة ذلك مقابلته بقوله: ﴿سَوِيًّا﴾ المشعر بأن ﴿مُكِبًّا﴾ أطلق على غير السوي وهو المنحني المطاطيء يتوسم الآثار اللاتحة من آثار السائرين لعله يعرف الطريق الموصلة إلى المقصود. فالمشرك يتوجه بعبادته إلى آهة كثيرة لا يدري لعل بعضها أقوى من بعض وأعطف على بعض القبائل من بعض، فقد كانت ثقيف يعبدون اللات، وكان الأوس والخزرج يعبدون مناة، ولكل قبيلة إله أو آهة فتقسموا الحاجات عندها واستنصر كل قوم بأهتهم وطمعوا في غنائها عنهم، وهذه حالة يعرفونها فلا يمترون في أنهم مضرب المثل الأول، وكذلك حال أهل الإشراف في كل زمان، ألا تسمع ما حكاها الله عن يوسف عليه السلام من قوله: ﴿مَآزِيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يُونُس: ٣٩].

ويُتَوَرَّع هذا التفسير أنه يفسره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٨]؛ فقابل في الآية الأولى الصراط المستقيم المشبه به الإسلام بالسُّبُل المتفرقة المشبه بها تعداد الأصنام، وجعل في الآية الثانية الإسلام مشبهًا بالسبيل وسالَّكُه يدعو ببصيرة ثم قابل بينه وبين المشركين بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٨]، فالآية تشتمل على ثلاث استعارات تمثيلية فقوله ﴿أَمَّنْ يَمُوتُ مِثْلًا عَلَى وَجْهِهِ﴾ تشبيهه لحال المشرك في تقسُّم أمره بين الآلهة طلبًا للذي ينفعه منها الشاك في انتفاعه بها، بحال السائر قاصدًا أرضًا معينة ليست لها طريق جادة فهو يتبع بنايات الطريق الملتوية وتلبس عليه ولا يوقن بالطريقة التي تُلْغى إلى مقصده فيبقى حائرًا متوسِّمًا يتعرف آثار أقدام الناس وأخفاف الإبل فيعلم بها أن الطريق مسلوكة أو متروكة.

وفي ضمن هذه التمثيلية تمثيلية أخرى مبنية عليها بقوله: ﴿مِثْلًا عَلَى وَجْهِهِ﴾ بتشبيه حال المتحير المتطلب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض. وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمُوتُ سَوِيًّا﴾ تشبيهه لحال الذي آمن بربٍّ واحد الوائق بنصر ربه وتأنيده وبأنه مصادف للحق، بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلا إلى اتجاه وجهه فهو مستوفى في سيره. وقد حصل في الآية إيجاز حذف إذ استغني عن وصف الطريق بالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابله بالاستقامة في التمثيل الثاني، والفاء التي في صدر الجملة للتفريع على جميع ما تقدم من الدلائل والعبر من أول السورة إلى هنا، والاستفهام تقرير. والمكِب: اسم فاعل من أكَب، إذا صار ذا كَب، فالهمزة فيه أصلها لإفادة المصير في الشيء مثل همزة: أقشع السحاب، إذا دخل في حالة القشع، ومنه قولهم: انفض القوم إذا هلكوا، وأرملوا إذا فني زادهم، وهي أفعال قليلة فيها جاء فيه المجرد متعديًا

والمهموز قاصراً. ﴿وَأَهْدَى﴾ مشتق من الهدى، وهو معرفة الطريق وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة لأن الذي يمشي مكباً على وجهه لا شيء عنده من الاهتداء فهو من باب قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ النَّبِيُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يُونُس: ٣٣]، في قول كثير من الائمة. ومثل هذا لا يخلو من تهكم أو تلميح بحسب المقام. والسوي: الشديد الاستواء فاعيل بمعنى فاعل قال تعالى: ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [نَجْم: ٤٣]؛ و (أم) في قوله: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ حرف عطف وهي (أم) المعادلة لعمزة الاستفهام. و (مَنْ) الأولى والثانية في قوله: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكْبًا عَلَى﴾ أو قوله: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ موصولتان ومحملهما أن المراد منهما فريق المؤمنين وفريق المشركين، وقيل: أريد شخص معين أريد بالأولى أبو جهل، وبالثانية النبي ﷺ أو أبو بكر أو حمزة عليه السلام. (١)

١١ - ضرب المثل لأهل مكة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

قال العلامة الشنقيطي: قال بعض أهل العلم: «إن هذا مثلٌ ضربه الله لأهل مكة»، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحكاها مالك عن الزهري رحمهم الله، نقله عنهم ابن كثير، وهذا الصفات المذكورة التي اتصفت بها هذه القرية - تتفق مع صفات أهل مكة المذكورة في القرآن. فقولُه عن هذه القرية ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ قال نظيره عن أهل مكة. كقولُه: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [التقص: ٥٧] الآية، وقولُه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا

ءَامِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿[التَّكْوِيْنُ: ٦٧]﴾ الآية، وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ﴿قُرَيْشٍ: ٤﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ ﴿الْأَنْعَامُ: ٩٧﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ﴿الْأَنْعَامُ: ١٢٥﴾ الآية، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ قال نظيره عن أهل مكة أيضًا كقوله: ﴿يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿الْقَصَصُ: ٥٧﴾، وقوله: ﴿لَا يَلْبِسُ قُرَيْشٍ ① لِأَنَّهُمْ رَحَلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ③﴾ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ﴿قُرَيْشٍ: ٤١﴾، فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، وكانت تأتيمهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق.

ولذا أتبع الرحلتين بامتنانه عليهم: بأن أطعمهم من جوع . وقوله في دعوة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ﴿البَنَاءُ: ١٢٦﴾ ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ﴿الْبَنَاءُ: ٣٧﴾، الآية وقوله: ﴿فَكَفَرْتَ بِاتِّمَامِ اللَّهِ﴾ ذكره نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة. كقوله: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا بَيْعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿الْبَنَاءُ: ٢٨﴾، وقوله: ﴿فَآذَنَّا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعُ وَالْخَوْفُ يَمَّا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وقع نظيره قطعًا لأهل مكة. لما لجوا في الكفر والعناد، ودعا عليهم رسول الله ﷺ، وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»^(١)؛ فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والعلhez. (وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه)، وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن. وذلك الخوف من جيوش رسول الله ﷺ، وغزواته وبعوثه وسراياه . وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض التفسيرات^(٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٠٦ - ٢٩٣٢ - ٦٣٩٣) ومسلم برقم [٦٧٥١] وابن ماجه [١٢٤٤]

وابن خزيمة [٦١٥].

(٢) «أصواء البيان» (٣/ ٨٢).

١٢ - ضرب المثل للكفار بصممهم عن سماع ما ينتفعهم دون غيره.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَذْبِئِينَ﴾ [التَّحْكُمُ: ٨٠]؛ قال العلامة الشنقيطي: «المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسباح المنفي في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ﴾ خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، لكن لا يسمعون سماع قبول بفقته واتباع كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَبْعُثُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٧١] فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفي عنهم جميع أنواع السماع كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير جزم به واقتصر عليه العلامة أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

١٣ - ضرب المثل لتشبيه اليهود بالحميز.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا لِلْزُورَةِ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَآلِهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٥]؛ قال العلامة الشنقيطي: «هذا مثل ضربه الله لليهود، وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بها فيها بأسفار أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة: بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بها في التوراة من العلوم النافعة لأنهم كلفوا باتباع محمد ﷺ وإظهار صفاته للناس، فخانوا وحرفوا وبدلوا فلم ينتفعوا ما في كتابهم من العلوم ووجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد ﷺ.

وقد أوضح الله تعالى هذا في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٤٦]، فقد

جحدوا رسالة محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلم ينفعهم علمهم به، وهذه الآية أشد ما ينبغي الحذر منها، وخاصة لطلاب العلم وحملته، كما قال تعالى: ﴿يَسْ مَثَلُ الْفُورِ﴾ [الْبَيْتَةِ: ٥]، أي تشبيههم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف. والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن أكثر المفسرين يجعله من قبيل التشبيه المفرد، وأن وجه الشبه فيه مفرد وهو عدم الانتفاع بالمحمول، كالبيت الذي فيه:

كالعيس في البَيْدَاءِ يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والذي يظهر والله تعالى أعلم، أنه من قبيل التشبيه التمثيلي لأن وجه الشبه مركب من مجموع كون المحمول كتباً نافعة، والحامل حمار لا علاقة له بها بخلاف ما في البيت، لأن العيس يمكن أن تنتفع بالماء لو حصلت عليه، والحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه، وفيه إشارة إلى أن من موجبات نقل النبوة عن بني إسرائيل كلية أنهم وصلوا إلى حد الإيأس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعمل، فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها^(١).

١٤. ضرب المثل بإخراج الله تعالى أوليائه من ظلمة الجهل إلى نور العلم،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْنِي، وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي، وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِينَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: لما ذكر الله تعالى ولايته لأوليائه وأنه مؤيدهم وناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر مثالا لذلك وهو محاجة النمرود لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ﴾ إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحاناً له، فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فبيناً إنه لأمر عجب. إذ قال له إبراهيم: ربي الذي

يحيي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت، فقال: أنا أحيي وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلاً: ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب، فاندesh وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر، فهذا مثال لإخراج الله تعالى أوليائه من ظلمة الجهل إلى نور العلم^(١).

١٥ - ضرب المثل على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْيَى هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[البقرة: ٢٥٩].

قال العلامة ابو بكر جابر الجزائري: «هذا مثل آخر معطوف على الأول الذي تجلت فيه على حقيقتها ولاية الله لإبراهيم حيث أیده بالحجة القاطعة ونصره على عدوان النمرود قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ فارغة من سكانها ساقطة سقوفها على مبانيها فقال المار بها مُستبعداً حياتها مرة ثانية: كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه، وسأله: كم لبثت؟ قال: حسب عادة من نام في يوم واستيقظ فيه فإنه يرى أنه نام يوماً أو بعض يوم؛ فأجابه مُصَوِّباً فهمه: بل لبثت مائة عام.

ولكي تقتنع بها أخبرت به فانظر إلى طعامك وكان سلة من تين، وشرباك وكان عصيراً من عنب فإنه لم يتغير طعمه ولا لونه وقد مر عليه قرن من الزمن، وانظر إلى حمارك فإنه هلك بمرور الزمن ولم يبق منه إلا عظامه تلوح بيضاء فهذا دليل قاطع على

موته وفنائه، لمرور مائة سنة عليه، وانظر إلى العظام كيف نجمعها ونكسوها لحماً فإذا هي حمارك الذي كنت تركبه من مائة سنة ونمت وتركته إلى جانبك يرتع.

وتجلت قدرة الله في عدم تغير الذي جرت العادة أنه يتغير، وفي تغير الذي جرت العادة أنه لا يتغير إلا في عشرات الأعوام، وهو الحمار. كما هي ظاهرة في موت صاحبها وحياته بعد لبثه على وجه الأرض ميتاً لم يعثر عليه أحد طيلة مائة عام. وقال له الرب تبارك وتعالى بعد أن وقفه على مظاهر قدرته: فعلنا هذا بك لنريك قدرتنا على إحياء القرية متى أردنا إحياءها ولنجعلك في قصتك هذه آية للناس، تهديهم إلى الإيمان وتوحيدنا في عبادتنا وقدرتنا على البعث الآخر الذي لا ريب فيه لتجزي كل نفس بما كسبت. وأخيراً لما لاحت أنوار ولاية الله في قلب هذا العبد المؤمن الذي أثار تعجبه خراب القرية فاستبعد حياتها قال: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهذا مصداق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ﴾ (١).

١٦ - ضرب المثل بثبوت عقيدة الحياة الثانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطْمَنِينَ قُلِّي قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرَهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ بِأَتَيْنَكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: «هذا مثل ثالث يوجه إلى الرسول والمؤمنين حيث تتجلى لهم ولايته تعالى لبعاده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى مجرد ظلمة باستبعاد شيء عن قدرة الله تعالى، أو تطلع إلى كيفية إيجاد شيء ومعرفة صورته. فقال تعالى: اذكروا ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾. سأل إبراهيم ربه أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم هل هي جارية على نواميس معينة أم هي مجرد قدرة يقول

صاحبها للشيء كون فيكون، فسأله ربه - وهو عليم - : به أقول الذي تقول ولم تؤمن؟ قال إبراهيم: بلى أنا مؤمن بأنك على كل شيء قدير، ولكن أريد أن أرى صورة لذلك يطمئن لها قلبي ويسكن من التطلع والتشوق إلى معرفة المجهول لدي. فأمره تعالى إجابة له لأنه وليه؛ فلم يشأ أن يتركه يتطلع إلى كيفية إحياء ربه الموتى، أمره بأخذ أربعة طيور وذبحها وتقطيعها أجزاء وخلطها مع بعضها بعضاً ثم وضعها على أربعة جبال على كل جبل ربع الأجزاء المخلوطة، ففعل، ثم أخذ برأس كل طير على حدة ودعاها فاجتمعت أجزاءه المفرقة المختلطة بأجزاء غيره وجاءه يسعى فقدم له رأسه، فالتصق به وطار في السماء وإبراهيم ينظر ويشاهد مظاهر قدرة ربه العزيز الحكيم. سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه^(١).

١٢ - ضرب المثل فيمن يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ دَعُوهُ لَمُفٍّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَاذِبِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ۝ [الرَّحْمَةُ: ١٣، ١٦].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: «هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء، فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا دَعَا الْكَاذِبِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: بطلان وخسران، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾، أي: الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾، أي: من مؤمن يسجد طوعاً، ومنافق أي: يسجد كرهاً، ﴿وَيُظِلُّهُمْ﴾ أيضاً ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ أوائل

النهار، ﴿وَالْأَصَالُ﴾ أو آخر النهار، ومعنى الآية الكريمة: إذا لم يسجد الكافرون إن لم يتقادوا لعبادة الله وحده تعالى.

فإن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والأنس المؤمنون يسجدون طائعين، والكافرون يسجدون إذا أكرهوا على السجود، والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم متقادون لقضاء الله تعالى وحكمه فيهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال، فهو الذي خلقهم وصّورهم كما شاء ورزقهم ما شاء ويميتهم متى شاء فأبي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا؟ وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما؟ وأمر رسوله أن يسبقهم إلى الجواب ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إذ لا جواب لهم الا هو، وبعد أن أقروا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخاً مقررّاً ﴿أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضرا، فضلا عن أن يملكوا لكم نفعا أو يدفعون عنكم ضرا؛ فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ﴾؟ والجواب قطعاً لا.

إذا فكيف يستوي المؤمن والكافر، وكيف يستوي الهدى والضلال، فالؤمن يعبد الله على بصيرة على علم أنه خالقه ورازقه يعلم سره ونجواه إذا دعاه أرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقاً من مخلوقات الله لا تملك لنفسها، فضلاً عن عابديها نفعا ولا ضرا، لا تسمع نداء ولا تحيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع له من عبادات وبما طلبت منه من طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك الغي في الحياة.

وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي، بل جعلوا لله شركاء، فخلقت تلك الشركاء خلقاً كخلق الله؛ فتشابه الخلق على المشركين، فعبدوها ظناً منهم

أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق، ولا تستطيع خلق ذبابة، فضلاً عن غيرها إذا فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئاً، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئاً قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مثل، القهار لكل جبار، والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة، الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال^(١).

١٨ - ضرب المثل للأعمال الصالحة والأعمال الطالحة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۖ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَاذُ يُسِيفُهُ ۖ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۚ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۖ ﴿١٧﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ [الزمر: ١٥، ١٦، ١٧].

قال العلامة ابو بكر جابر الجزائري: هذا آخر حديث ذكر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بني إسرائيل، قال تعالى في الإخبار عنهم: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾؛ أي: واستفتح الرسل أي طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم بنصر على أعدائه واستجاب الله لهم، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، أي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله، وقوله ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾، أي أمامة جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء، فتسقيه الزبانية ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾، أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قيع ودم وعرق، ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾، أي يتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته ﴿وَلَا يَكَاذُ يُسِيفُهُ﴾ أي يدخله جوفه الملهب عطشاً لقبحه ومنتنه ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، أي ويأتي هذا

الجبار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظمأ، فيسقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسبابه وتوفرها من كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، وما هو بميت، لأن الله تعالى لم يشأ ذلك قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ وقال: ﴿لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [طه: ٢٦]، ومن وراء ذلك العذاب الذي هو فيه ﴿عَذَابٌ﴾، أي لون آخر من العذاب ﴿عَلِيظٌ﴾، أي شديد لا يطاق، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمًا إِسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [الزمر: ١٤]، أي شديد هبوب الريح فيه ﴿لَا يَقْدِرُونَ مَتَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ١٨]، أي من أعمال في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر، والطالحة كالشرك والكفر وعبادة غير الله مما كانوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشددة في يوم عاصف شديد هبوب الريح فيه، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّكْلُ الْأَبِيدُ﴾، أي ذلك الذي دل عليه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين^(١).

١٩ - ضرب المثل للمغرورين بالمال والسلطان.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦].

قال العلامة ابوبكر جابر الجزائري: هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخدعتهم، فصرفتهم عن الله تعالى ربهم، فلم يذكره ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه. قال تعالى: في خطاب رسوله محمد ﷺ: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ﴾، أي لأولئك المغرورين بالمال والسلطان ﴿مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، أي صفتها الحقيقية

(١) «أيسر التفاسير» (٢/ ٢٦١).

التي لا تختلف عنها بحال ﴿كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، فزها وازدهر واخضر وأنضر فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه.

وفجأة أتاه أمر الله بريح لاجفة، محرقة، ﴿فَأَصْبَحَ هَيْشَمًا﴾، أي يابسًا متهشمًا متكسرًا ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾، هنا وهناك ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾، أي قادرًا كامل القدرة، فأصبح أهل الدنيا مبلسين آيسين من كل خير؛ وقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآٰلِيقِيْنَتُ الصَّٰلِحِيْنَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، إنه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها، فأوردتهم موارد الهلاك، أخبر بحقيقة أخرى يعلم فيها عباده ليتفعوا بها، وهي أن ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾، أي الأولاد ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، لا غير أن يتجمل بها ساعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بها، بحيث يصبحان همَّ الإنسان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال، هذا جزء الحقيقة في هذه الآية، والجزء الثاني هو أن ﴿وَالْآٰلِيقِيْنَتُ الصَّٰلِحِيْنَ﴾، المراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي هذه ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾، أي جزاء وثأرًا، يجنيه العبد من الكدح المتواصل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة، ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ يأمله الإنسان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله^(١).

٢٠ - ضرب المثل بأعمال المؤمنين والكافرين،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَرِيمٌ يَفْقَهُوْنَ بِحَسَبِ الظَّنِّ مَاءٌ حَرَّةٌ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْحًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعُوْهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ أَوْ كَظُلُمْتُمْ فِي بَحْرِ لُجِّي يَفْشِلُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَعَابٌ ظَلُمْتُمْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ كَيْدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرِيهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النُّور: ٣٩، ٤٠].

(١) «أيسر التفاسير» (٢/ ٣٨٦).

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾، لما بيّن تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفّاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون، وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يُرى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿يَقِيعُ﴾، أي بقاع من الأرض وهو الأرض المنبسطة ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾، أي يظنه العطشان ماء وما هو بهاء ولكنه سراب خادع ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، لأنه سراب لا غير.

فيا للخيبة، خيبة ظمآن يقتله العطش، فرأى سراباً فجري وراءه يظنه ماء، فإذا به لم يجد الماء، ووجد الحق تبارك وتعالى؛ فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخر خسراناً مبيناً، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم. هذا مثل تضمنته الآية الأولى «٣٩»، ومثل آخر تضمنته الآية الثانية «٤٠» وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر، ظلمة العمل والاعتقاد الباطل، وظلمة الجهل بربه وما يريد منه، وما أعدّه له قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَنْتُمْ فِي بَحْرِ نُجْحِي﴾، أي ذي لجج من الماء ﴿يَتَّسِنُهُ﴾، أي يعلوه ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾، أي من فوق الموج موج آخر ﴿مِّنْ فَوْقِهِ مَحَابُّ﴾، والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ظَلُمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا﴾، لشدة الظلمة، هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، أعلم تعالى عباده أن النور له ويده، فمن لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله^(١).

٢١ - ضرب المثل للتمييز بين الموحّد والمشرِك:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾
 ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[النُّور: ٢٧-٢٩]﴾.

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ يخبر تعالى بما من به على العرب لهدايتهم حيث جعل لهم في القرآن الكريم من أمثال الأمم السابقة في إيمانها وتكذيبها، وصلاحها وفسادها ونجاتها وخسرتها وكل ذلك بقرآن عربي لا عوج فيه، أي لا لبس ولا خفاء ولا اختلاف، فعَلَّ ذلك لهم لعلهم يتذكرون أي يتعظون، فيؤمنون ويوحدون، فينجون من العذاب ويسعدون .

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾، إلى آخر الآية، هذا مثل من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلهم يتذكرون وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة. والموحد الذي لا يعبد غير الله، فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من الرجال من ذوي الأخلاق الشرسة، والطباع الجافة، فهم يتنازعونه هذا يقول له تعالى والآخر يقول له اجلس والثالث يقول له قم، فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل واحد أمره وناهيه واحد هل يستويان أي الرجلان .

والجواب لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي الثناء بالجميل لله، والشكر العظيم له سبحانه وتعالى على أنه رب واحد وإله واحد لا إله غيره ولا رب سواه. وقوله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي بل أكثر المشركين لا يعلمون عدم تساوي الرجلين، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم^(١).

٢٢ - ضرب المثل بعدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن وعدم تضمر المؤمن بقرابة الكافر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ تُوْج وَأَمْرَأَتٌ كَانَتْ تَحْتِ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيْنَ ۝١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتٌ فِرْعَوْنُ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي

عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَيَجْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَيَجْنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا
الْقِسْمَيْنِ ﴿التَّحِيَّاتُ: ١٠، ١٢﴾.

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: ضرب الله مثلاً في عدم انتفاع الكافر بقرابة
المؤمن منها كانت درجة القرابة عنده. وهو امرأة لوط وامرأة نوح؛ إذ كانت كل واحدة
منهما تحت نبي رسول، فخانتاهما في دينهما، فكانتا كافرتين، فامرأة نوح تفشي سر من
يؤمن بزوجها وتُخبر به الجبارة من قوم نوح حتى يبطشوا به، وكانت تقول لهم إن زوجها
مجنون، وامرأة لوط كانت كافرة وتدل المجرمين على ضيوف لوط إذا نزلوا عليه في بيته،
وذلك في الليل بواسطة النار، وفي النهار بواسطة الدخان.

فلما كانتا كافرتين لم تُغن عنهما قرابتهما بالزوجة شيئاً. ويوم القيامة يقال لهما: ادخلا
النار مع الداخلين من قوم نوح وقوم لوط. ومثل آخر في عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر
ولو كانت القرابة الزوجية وما أقواها، وهو - المثل - امرأة فرعون الكافر الظالم آسيا
بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى مع من آمن، فلما عرف فرعون إيمانها أمر بقتلها، فلما
علمت بعزم الطاغية على قتلها قالت في مناجاتها لربها: (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) الذي هو الكفر والظلم حتى لا أكون كافرة بك ولا ظالمة
لأحد من خلقك، ونجني من القوم الظالمين أي من عذابهم، فُشِدت أيديها وأرجلها
لتلقى عليها صخرة عظيمة إن هي أصرت على الإيمان، فرفعت بصرها إلى السماء،
فراحت بيتها في الجنة، ففاضت روحها شوقاً إلى الله وإلى بيتها في الجنة وقد رأتها، فوصلت
الصخرة إليها بعد أن فاضت روحها فَنَجَّاهَا اللهُ من عذاب القتل الذي أرادها لها فرعون
وعصابته الظلمة الكافرون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، عطف تعالى مريم على آسيا
ليكون المثل مكوّناً من امرأتين مؤمتين، كالمثل الأول كان مكوّناً من امرأتين كافرتين،

فقال عز وجل: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، عن الرجال في الوقت الذي عمّ البغاء والزنا ديار بني اسرائيل، كما هي الحال اليوم في ديار اليهود وأمثالهم قد لا تسلم امرأة من الزنا بها، فلم يضر ذلك مريم لما كانت عفيفة طاهرة، بل أكرمها الله لما أحصنت فرجها بأن أرسل إليها روحه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمره أن ينفخ في كم درعها، فسرت النفخة بقدرة الله تعالى في جسمها، فحملت بعيسى الذي كان بكلمة الله -كن-، فيكون في ساعة وصول أهواء النفخة وولده للفور^(١) كرامة من الله للتي أحصنت فرجها خوفاً من الله وتقرباً إليه، وما ضرها أن العهر والزنا قد انتشر حولها ما دامت هي طاهرة كما لم يضر كفر فرعون آسيا الطاهرة.

وكما لم ينفع إيمان وصلاح نوح ولوط امرأتهما الكافرتين الخائنتتين قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط، وهو كما قال فوالله ما زنت امرأة نبي قط، لولاية الله تعالى لأنبيائه، فكيف يخزيهم ويذلهم حاشاه تعالى أن يخزي أوليائه أو يذلهم، فالمراد من الخيانة المذكورة في قوله تعالى فخانتاهما الخيانة في الدين وإفشاء الأسرار.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾، أي بشرائه وبكتبته التي أنزلها على رسله، ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْقَتِيلِينَ﴾، أي المطيعين لله تعالى الضارعين له المخبتين^(٢).

٢٣ - ضرب المثل لرجل غنى عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق عمله؛

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

(١) الراجح غيره وهو قول الجمهور أنها ولدت بعد حمل تسعة أشهر كما نص عليه ابن كثير رحمه الله تعالى.

(٢) «أيسر التفاسير» (٤ / ٢٨٤)

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: «قال ابن عباس: ضربت مثلاً لرجل غني عمل بطاعة الله. ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق عمه. وروى ابن أبي مليكة أن عمر تلا هذه الآية وقال: هذا مثل ضربه الله للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل العمل السيئ»^(١).

٢٤. ضرب المثل للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيَةِ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّيهِ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هُوَهُ فَنَسْلُهُ كَسَلٍ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٧٥، ١٧٧].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: قال صاحب المنار: هذا مثل ضربة الله تعالى للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ وهو مثل من آتاه الله آياته، فكان عالماً بها حافظاً لقواعدها وأحكامها قادراً على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفاً تمام المخالفة لعلمه؛ فسلب هذه الآيات، لأن العلم الذي لا يعمل به لا يلبث أن يزول فأشبه الحية التي تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتركه على الأرض، أو كان في التباين بين علمه وعمله كالمنسلخ من العلم التارك له، كالثوب الخلق يلقيه صاحبه، والثعبان يتجرد من جلده حتى لا تبقى له به صلة على حد قول الشاعر:

فكانهم خلقوا وما خلقوا

خلقوا وما خلقوا لكرمة

فكانهم رزقوا وما رزقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد

فحاصل معنى المثل: أن المكذبين بآيات الله المنزل على رسوله مع إيضاها بالحجج والدلائل كالعالم الذى حُرِّم ثمرة الانتفاع من علمه، لأن كلاً منها لم ينظر فى الآيات نظر تأمل واعتبار وإخلاص.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا﴾، أى: أقرأ على قومك يا محمد ليعتبروا ويتعظوا خبر ذلك الإنسان الذى آتيناه بأن علمناه إياها، وفهمناه مرامها، فانشخ من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة، أو الحية من جلدها. والمراد أنه خرج منه بالكلية بأن كفر بها، ونبذها وراء ظهره، ولم يتنفع بما اشتملت عليه من عظات وإرشادات.

وحقيقة السليخ كسط الجلد وإزالته بالكلية عن المسلوخ عنه، ويقال لكل شىء فارق شيئاً على أتم وجه انسليخ منه؛ وفى التعبير به مالا يخفى من المبالغة وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾، أى: فلهقه الشيطان وأدركه فصار هذا الإنسان بسبب ذلك من زمرة الضالين الراسخين فى الغواية، مع أنه قبل ذلك كان من المهتدين: وفى التعبير بقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، مبالغة فى ذم هذا الإنسان وتحقيره، جعل كأنه إمام للشيطان والشيطان يتبعه، فهو على حد قول الشاعر:

وكان فتى من جند إبليس فارتقى به الحال حتى صار إبليس من جنده

قال الجمل: أتبعه فيه وجهان:

أحدهما - أنه متعدد لواحد بمعنى أدركه ولحقه، وهو مبالغة فى حقه حيث جعل إماماً للشيطان.

وثانيهما - أن يكون متعدياً لاثنتين لأنه منقول بالهمزة من تبع، والمفعول الثانى محذوف تقديره: فأتبعه الشيطان خطواته، أى جعله تابعا لها.

وقوله ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾، كلام مستأنف مسوق لبيان ما ذكر من الانسلاخ وما يتبعه. والضمير في قوله ﴿ لَرَفَعْنَاهُ ﴾ يعود إلى الشخص المعبر عنه بالاسم الموصول ﴿ الَّذِي ﴾ والضمير في قوله : ﴿ بِهَا ﴾ يعود إلى الآيات، ومفعول المشيئة محذوف.

أي: ولو شئنا رفعه بسبب تلك الآيات إلى درجات الكمال والعرقان ﴿ لَرَفَعْنَاهُ ﴾ لأننا لا نستعصي على قدرتنا شيء، ولكننا لم نفعل ذلك لأن ستننا جرت أن نرفع من عنده الاستعداد لذلك أما الذين ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾، فنذرهم في ضلالهم يعمهون، هذا والذي ذهب إليه المحققون من العلماء أن هذه الآيات الكريمة المثل فيها مضروب لكل إنسان أوتي علماً ببعض آيات الله، ولكنه لم يعمل بمقتضى علمه، بل كفر بها ونبذها وراء ظهره وصار هو والجاهل سواء ^(١).

٢٥ - ضرب المثل لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها وهم أحوج ما كانوا إليها،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ ﴾ [الزُّمَرُ: ١٨].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: وقال الإمام ابن كثير ما ملخصه: هذا مثل ضربة الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها وهم أحوج ما كانوا إليها... كما قال - تعالى - ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الْقَارَن: ٢٣]، وكما قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [الزُّمَر: ١٧].

واسم الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾، يعود إلى ما دل عليه التمثيل من بطلان أعمالهم، وذهاب أثرها. أى: ذلك الحبوط لأعمالهم، وعدم انتفاعهم بشيء منها، هو الضلال البعيد. أى: البالغ أقصى نهايته، والذي ينتهى بصاحبه إلى الهلاك والعذاب المهيّن. ووصف - سبحانه - الضلال بالبعد، لأنه يؤدي إلى خسران لا يمكن تداركه، ولا يرجى الخلاص منه ^(١).

٢٦ - ضرب المثل لمن نقض العهد.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ أَفْئِدَتُهُ لِيَمْنَكُمُ دَخَلًا يَمْنُكُمْ أَنْ تَكُونُوا أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الْحَجَّال: ١١٧].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: قال مجاهد وقتادة وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده؛ وهذا أرجح وأظهر سواء أكان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا. والمعنى: كونوا - أيها المسلمون - أوفياء بعهودكم، ولا تنقضوها بعد إبرامها، فإنكم إن نقضتموها كان مثلكم كمثل تلك المرأة الحمقاء، التي كانت تقتل غزلها فتلاً محكماً، ثم تنقضه بعد ذلك، وتتركه مرة أخرى قطعاً منكوثة محلولة) وقوله - سبحانه - ﴿نَتَّخِذُوكَ أَيْمَنَكُمُ دَخَلًا يَمْنُكُمْ أَنْ تَكُونُوا أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ إبطال للأسباب التي كان يتخذها بعض الناس ذرائع ومبررات لنقض العهود) والمعنى: ولا تكونوا مشبهين لامرأة هذا شأنها، حالة كونكم متخذين أيمانكم وأقسامكم وسيلة للغدر والخيانة، من أجل أن هناك جماعة أوفر عددًا وأكثر مالاً من جماعة أخرى ^(٢).

(١) «التفسير الوسيط» (١/ ٢٤٢٢).

(٢) «التفسير الوسيط» (١/ ٢٥٦٤).

٢٧ - ضرب المثل لكفار قريش،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْتُمُوهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَيْتِ إِذْ أَسْمُوا بِصِرْمَتِهَا مُصْبِرِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٨﴾ طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِرِينَ ﴿١١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿١٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَغَدَا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصَاوِرُ ﴿١٦﴾ بَلْ عَنَ غُرُومُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْ قُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَنْزِلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنُوا يَعْلَمُونَ ﴿الْقَلْعَةُ: ١٧، ٢٢﴾.

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: هذا مثل ضربة الله - تعالى - لكفار قريش، فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بعثه محمداً ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والمحاربة^(١).

٢٨ - ضرب المثل للمنفقين أموالهم على وجه تزكوا عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَلَيَحْسَبَنَّ أَنفُسُهُمْ كَمَثَلِ جَذَمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكْثَلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ^٢ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿الْبَقَرَةُ: ٢٢٣﴾.

قال العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (هذا مثل المنافقين أموالهم على وجه تزكوا عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: قصدتهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه ﴿وَلَيَحْسَبَنَّ أَنفُسُهُمْ كَمَثَلِ جَذَمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكْثَلُهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: صدر الإنفاق على وجه منشرة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمداً الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء

سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتاً من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء ﴿كَمْثَلٍ جَكَمٍ﴾.

أي: كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة ﴿بَرْيَوتَ﴾ أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، فـ ﴿أَصَابَهَا﴾ أي: تلك الجنة التي بربوة ﴿وَابِلٍ﴾، وهو المطر الغزير ﴿فَتَأْت أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها ﴿فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ أي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والنمي لها هو الذي أرحم بك من نفسك، الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتنا وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيوان، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجدد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو يقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيوان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء^(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ١١٤).

٢٩ - ضرب المثل بقبح الشرك،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٨].

قال العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي:-

هذا مثل ضربَه الله تعالى لِقُبْح الشرك وتهجينه مثلاً من أنفسكم لا يحتاج إلى حلٍ وترحال وإعمال الجمال. ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ أي: هل أحدٌ من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشارككم في رزقكم وتروُن أنكم وهم فيه على حد سواء. ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسمه واختصاص كل شيء بحاله؟ ليس الأمر كذلك، فإنه ليس أحدٌ مما ملكت أيما نكم شريكاً لكم فيما رزقكم الله تعالى.

هذا، ولستم الذين خلقتهم وهم ورزقتهم وهم أيضاً ممالككم، فكيف تَرْضَوْنَ أن تجعلوا الله شريكاً من خلقه وتجعلونه بمنزلته، وعديلاً له في العبادة وأنتم لا ترضون مساواة ممالككم لكم؟ هذا من أعجب الأشياء ومن أدل شيء على «سفه» من اتخذ شريكاً مع الله وأن ما اتخذَه باطل مضمحل ليس مساوياً لله ولا له من العبادة شيء. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ بتوضيحها بأمثلتها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الحقائق ويعرفون، وأما من لا يعقل؛ فلو فَصِّلَتْ له الآيات وبينت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين ولا لُبَّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام ويوجه الخطاب^(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٦٤٠).

٣٠ - ضرب المثل بذكر المنافقين وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الإسلام:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يَخْطُفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

قال العلامة: محمد جمال الدين القاسمي: قال الإمام العلامة ابن القيم في كتابه «إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»: في هذه الآية شبه سبحانه أعدائه المنافقين، بقوم أوقدوا نارا لتضيء لهم، ويتنفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق - بعد أن كانوا حيارى تائهين - فهم كقوم سَفَرُوا ضَلُّوا عن الطريق، فأوقدوا النار لتضيء لهم الطريق فلما أضاءت لهم - فأبصروا وعربوا - طَفِقَتْ تلك الأنوار، وتبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سُدت عليهم أبواب الهدى الثلاث - فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: ما يسمعه بإذنه، ويراه بعينه، ويعقل بقلبه.

وهؤلاء قد سُدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئا، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها وقيل: لما لم يتنفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم نزلوا بمترلة من لا سمع له، ولا بصر، ولا عقل، والقولان متلازمان. وقال في صفتهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ لأنهم قدرأوا في ضوء النار، وأبصروا الهدى، فلما طَفِقَتْ عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: ذهب نورهم، وفيه سرٌ بديع: وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة - التي هي للمؤمنين - من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، و: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

فذهب الله بذلك النور: انقطاع المعية - التي خص بها أوليائه - فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم - بعد ذهاب نورهم - ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا من: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ

رَبِّ سَيِّدِينَ ﴿[النَّارُ: ١٥٣]﴾. وتأمل قوله تعالى: ﴿أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾، كيف جعل ضوءها خارجاً عنه، منفصلاً، ولو اتصل ضوءها به، ولا بسه، لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه، وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كلُّ منهما إلى أصله اللاتق به: حجة من الله قائمة، وحكمة بالغة، تعرّف بها إلى أولي الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوْرِهُمْ﴾ ولم يقل بنارهم، لطابق أول الآية، فإن النار فيها إشراق وإحراق؛ فذهب ما فيها من الإشراق - وهو النور - وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق - وهو النارية - وتأمل كيف قال: ﴿يَنْوْرِهُمْ﴾ ولم يقل: بضوئهم مع قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ - لأن الضوء هي زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء، كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته، وأيضاً فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضاً فإن الله تعالى سمى كتابه: نوراً، ورسوله ﷺ: نوراً، ودينه: نوراً، وهُداة: نوراً، ومن أسمائه: النور، والصلاة: نور. فذهابه سبحانه بهم: ذهابٌ بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذه المثل - لما تقدمه من قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]؛ كيف طابق هذه التجارة الخاسرة، التي تضمنت هول الضلالة والرضاء بها، وبدل الهدى في مقابلتها، وهول الظلمات - التي هي الضلالة والرضاء بها - بدلاً عن النور - الذي هو الهدى والنور - فبدّلوا الهدى والنور، وتعوّضوا عنه بالظلمة والضلالة، فبها لها من تجارة ما أخسرها، وصفقة ما أشدَّ غبنها.

وتأمل كيف قال تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوْرِهُمْ﴾ فوحده ثم قال: ﴿وَرَزَقَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ فجمعها. فإن الحق واحد: هو صراط الله المستقيم - الذي لا صراط يوصل إليه سواه -

وهو عبادته وحده لا شريك له، بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا بالأهواء، والبدع، وطرق الخارجين عما ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة. ولهذا، يُفَرَّد - سبحانه - الحق، ويجمع الباطل، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٥٣]، فجمع سُبُل الباطل، ووحد سبيل الحق، ولا يناقض هذا قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]؛ فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم: إن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد، وسبيل واحد، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها.

وقد قيل: إن هذا مثل للمنافقين، وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الإسلام، ويكون بمنزلة قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]. ويكون قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَثُورِهِمْ﴾ مطابقاً لقوله تعالى: ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ويكون تخييرهم، وإبطال ما راموه، هو: تركهم في ظلمات الخيرة، لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه، ولا يبصرون سبيلاً، بل هم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾. وهذا التقدير - وإن كان حقاً - ففي كونه مراداً بالآية نظر؛ فإن السياق إنما قصد لغيره، ويأباه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾، وموقد نار الحرب لا يضيء ما حوله أبداً، ويأباه قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَثُورِهِمْ﴾ وموقد نار الحرب لا نور له، ويأباه قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ وهذا يقتضي أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة، إلى ظلمة الشك والكفر.

قال الحسن رحمه الله: هو المنافق أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر. ولهذا قال: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي: لا يرجعون إلى النور الذي فارقه. وقال تعالى في حق الكفار: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ

عُنِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»، فسلب العقل عن الكفار - إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان - وسلب الرجوع عن المنافقين - لأنهم آمنوا ثم كفروا - فلم يرجعوا إلى الإيمان.

ثم ضرب الله سبحانه، لهم مثلاً آخر مائياً، فقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي مَآذِنِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]. فشبّه نصيبهم - مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب المستوقد النار التي طُفِئَتْ عنه أحوج ما كان إليها وذهب نوره، وبقي في الظلمات حائراً، تائهاً، لا يهتدي سبيلاً، ولا يعرف طريقاً، وبنصيب أصحاب الصيب - وهو المطر الذي يصبوب؛ أي: نزل من علو إلى أسفل - فشبّه الهدى - الذي هدى به عباده - بالصيب، لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من هذا الهدى، بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق، ولا نصيب له - فيما وراء ذلك - مما هو المقصود بالصيب - من حياة البلاد، والعباد، والشجر، والدواب، وأن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد، والبرق، مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب.

فالجاهل - لفرط جهله - يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد، وتعطيل المسافر عن سفره، وصانع عن صناعته ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام. وهكذا شأن كل قاصر النظر، ضعيف العقل، لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب، وهذه حال أكثر الخلق، إلا من صحت بصيرته - فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب، والمشاق، والتعرض لآتلاف النفس، والجراحات الشديدة، وملامة اللوام، ومعاناة من يخاف معاداته - لم يقدم عليه، لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون.

وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام، فلم يعلم - من سفره ذلك - إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن، ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر هذا السفر، ومآله، وعاقبته فإنه لا يخرج إليه، ولا يعزم عليه. وحال هؤلاء، حال الضعيف البصيرة والإيمان، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد. والزواج والنواهي، والأوامر الشاقة على النفوس التي تطفمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات - والقطام على الصبي أصعب شيء، وأشقّه - والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحق علماً، وعَمَلًا، ومعرفةً، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب، وما فيه - من الرعد والبرق والصواعق - ويعلم أنه حياة الوجود^(١).

٢١ - ضرب المثل لبدا أمر الإسلام، وترقيته في الزيادة،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ حَمَّذَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [التَّحْقِيقُ: ٢٩].

قال العلامة: محمد جمال الدين القاسمي؛ قال الزمخشري: هذا مثل ضربه الله لبدا أمر الإسلام، وترقيته في الزيادة، إلى أن قوي واستحكم؛ لأن النبي ﷺ قام وحده، ثم قواه الله بمن آمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع، ما يحتف بها عما يتولد منها حتى يعجب الزراع. وهذا ما قاله البغوي من أن الزرع: محمد، والشطء: أصحابه والمؤمنون؛ فجعلوا التمثيل للنبي ﷺ وأمه، وأما القاضي فجعله مثلاً للصحابه فقط. وعبارته: وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابه، قلوا في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، فترقى أمرهم، بحيث أعجب الناس^(٢).

(١) «محاسن التأويل» (١/ ٢٦).

(٢) «محاسن التأويل» «تفسير سورة الحجرات» [آية رقم ٢٩].

٢٢. ضرب المثل لتقريب الصورة،

قال الله جل جلاله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [مُحَمَّدًا: ١٥].

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي: «هذه ليست الجنة.. ولكن هذا مثل يقرب الله سبحانه وتعالى لنا به الصورة بأشياء موجودة في حياتنا.. لأنه لا يمكن لعقول البشر أن تستوعب أكثر من هذا.. والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ومن هنا؛ فإنه لا توجد أسماء في الحياة تعبر عما في الجنة.. وقرأ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَكُونُ﴾ [الزُّمَرُ: ١٧].

فإذا كانت النفس لا تعلم.. فلا توجد ألفاظ تعبر عما يوجد في الجنة.. والمثل متى شاع استعماله بين الناس سمي مثلاً.. فأنت إذا رأيت شخصاً مغتراً بقوته.. وتريد أن تفهمه أنك أقوى منه تقول له.. إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً.. ولا توجد ريح ولا إعصار فيما يحدث بينكما.. وإنما المراد المعنى دون التقيد بمدلول الألفاظ»^(١).

٢٣. ضرب المثل لتضعيف الثواب لمن أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته؛

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٦١].

قال الحافظ ابن كثير «هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال سعيد بن جبير: في طاعة الله. وقال مكحول: يعني به: الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: الجهاد والحج، يضعف الدرهم فيهما إلى سبع مائة ضعف؛

(١) «تفسير الشعراوي» ج [٢].

ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَشَلْ حَبَّةَ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَائِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمئة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة^(١).

٢٤- ضرب المثل لمن أطاع الشيطان، وعمل في الأرض بالمعصية، وجار عن الحق وضل عنه،

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُفِّرْ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْنَا قُلْ لَكُمْ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

قال الحافظ ابن كثير: «قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى الله، عَزَّ وَجَلَّ، كمثل رجل ضل عن طريق تائها ضالاً إذ ناداه مناد: «يا فلان بن فلان، هلم إلى الطريق»، وله أصحاب يدعونه: «يا فلان، هلم إلى الطريق»، فإن اتبع الداعي الأول، انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وإن أجاب من يدعو إلى الهدى، اهتدى إلى الطريق.

وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان، يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهلكة والندامة. وقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾، هم الغيلان، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده، فيتبعها وهو يرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هلكة، وربما أكلته - أو تلقيه في مضلة من الأرض، يهلك فيها عطشاً، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تُعْبَدُ من دون الله، عَزَّ وَجَلَّ وقال مجاهد: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ قال: رجل حيران يدعو أصحابه إلى الطريق، وذلك مثل من يضل بعد أن هُدِيَ. وقال ابن عباس، قوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾، هو الذي لا يستجيب لهدى الله،

وهو رجل أطاع الشيطان، وعمل في الأرض بالمعصية، وجار عن الحق وضل عنه، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى، ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى، يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس، يقول الله: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾؛ والضلال ما يدعو إليه الجن ثم قال: وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه إلى الضلال، ويزعمون أنه هدى. قلت: وهذا خلاف ظاهر الآية؛ فإن الله أخبر أن أصحابه يدعونه إلى الهدى، فغير جائز أن يكون ضلالاً وقد أخبر الله أنه هدى.

وهو كما قال ابن جرير، وكان سياق الآية يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، وهو منصوب على الحال، أي: في حال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة، وله أصحاب على المحجة سائرون، فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى. وتقدير الكلام: فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم، ولو شاء الله لهداه، ولرد به إلى الطريق؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾^(١).

٣٥ - ضرب المثل لمن أحيا الله قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الحافظ ابن كثير: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي: في الضلالة، هالكاً حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله. ﴿وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، أي: يهتدي به كيف يسلك، وكيف يتصرف به. والنور هو: القرآن، كما رواه العوفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وقال السُّدِّي: الإسلام. والكل صحيح. ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، أي: لا يهتدي إلى منفذ، ولا مخلص مما هو فيه^(٢).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٨٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٣٠).

٣٦. ضرب المثل للإيمان والكفر والتوحيد والشرك.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (١) تُوْقُّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤، ٢٥].

قال الحافظ ابن كثير: «الظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي: كاملاً حسناً كثيراً طيباً، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦]. هذا مثل كفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات، وشبه بشجرة الحنظل (١).

وقال ابن القيم: «فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله عز وجل ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أصلها ثابت قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء» وقال الربيع بن أنس: «كلمة طيبة هذا مثل الإيمان، والإيمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله»؛ والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل

الباسقة الفرع في السماء علواً التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل رفع العمل الصالح حين. وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء.

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفة بحقيقتها، وقيامه بحققها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فيعرف حقيقة الهيئة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه؛ ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله عز وجل وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يتغني القلب سوى معبوده الحق بدلاً، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كثيراً طيباً كلما يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [قَطَا: ١٠]. فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لفائدها كل وقت عملاً صالحاً كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً متصفاً بموجبهائهما قائماً بقلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثبات راسخ في قلبه وفروعها متصلة مثل النخلة والمؤمن بالسماء، وهي خرجة لثمرتها كل وقت وقال عطية العوفي في: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ﴾، قال ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله.

وقال الربيع بن أنس: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له قال: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أصل عمله ثابت في الأرض قال: ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، قال ذكره في السماء ولا اختلاف بين القولين؛ فالمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة، فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك ومن قال من السلف إنها شجرة في الجنة، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة. وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق ويقتضيه علم الذي تكلم به سبحانه وحكمته.

فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به، فعروقه العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل المرضي؛ فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحاً مطابقاً لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقاً لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله، صلوات الله وسلامه عليهم، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر والهدى والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان الأمر بالعكس، علم أن القائم بالقلب إنما هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، ومنها أن الشجرة لا تبقى حية إلا بآبادة تسقيها وتنميتها، فإذا انقطع عنها السقي أو شك أن تيسر، فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكير والتفكير على التذكر وإلا أو شك أن تيسر، وبالجملة فالغرس إن لم يتعاهده

صاحبه أو شك أن يهلك ومن هنا يعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات وعظيم رحمته وتما نعمة وإحسانه إلى عباده بأن وضعها عليهم وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

ومنها: إن الغرس والزرع النافع؛ قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه، فإن تعاهده ربه ونقاؤه وقلمه كمل الغرس والزرع واستوى وتم نباته وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى، وإن تركه أو شك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له أو يضعف الأصل، ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة، بحسب كثرته وقلته، ومن لم يكن له فقه يقيس في هذا ومعرفته به، فإنه يفوته ربح كثير وهو لا يشعر، فالمؤمن دائم سعيه في شيئين سقي هذه الشجرة وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم وتنقية ما حولها تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم ولعلها قطرة من بحر؛ بحسب أذهاننا الواقعة، وقلوبنا المخبطة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله تعالى. لشاهدنا من معاني كلام الله عز وجل وأسراره وحكمه ما تضمنه عند العلوم وتلاشى عنده معارف الحق؛ وبهذا يعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم ~~في شئ~~ وإن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته.

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشيها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت ولا فرع عال، ولا ثمرة زاكية، ولا ظل، ولا جنى، ولا ساق قائم، ولا عرق في الأرض ثابت مغدق، ولا أعلاها موتق ولا جنى لها ولا تعلو بلى تعلو. وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطاياهم وكتبهم وجده

كذلك؛ فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه، قال الضحاك: ضرب الله مثلاً للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يقول ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة كذلك الكافر ليس يعمل خيراً ولا يقوله، ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة.

وقال ابن عباس: ومثل كلمة خبيثة وهي -الشرك- كشجرة خبيثة يعني الكافر اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله عمل المشرك ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء يقول ليس له عمل صالح في السماء، ولا في الآخرة.

وقال الربيع بن أنس: مثل الشجرة الخبيثة مثل التشبيه بالقول الصالح، الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء.

وقال سعيد عن قتادة: في هذه الآية إن رجلاً لقي رجلاً من أهل العلم، فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة قال لا أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة وقوله اجتثت أي: استؤصلت من فوق الأرض؛ ثم أخبر سبحانه عن فصله وعدله في الفريقين أصحاب الكلم الطيب، والكلم الخبيث. فأخبر أنه ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت فأضل هؤلاء، بعدله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضلهم لإيمانهم، وتحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٢٧].

كنز عظيم من وقف عليه وأحسن استخراجِه، واقتناءه وأنفق منه فقد غنم ومن حرمه فقد حرم وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفه عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانها، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله:

﴿ وَلَوْلَا أَن نَّبْتَنتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقال تعالى:
﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِكَةِ أُنِ مَعَكُمْ فَتُنِوُا إِلَيْهِمْ ءَامِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقال تعالى
لرسوله: ﴿ وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَرْسُلِ مَا نَحْنُ بِذِي قُوَادِكِ ﴾ [هود: ١٢٠].

فالخلق كلهم قسمان: موفق بالثبوت، ومخذول بترك الثبوت، ومادة الثبوت
وأصله ومنشأه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد فيها بثبت الله عبده، فكل ما كان
أثبت قولاً وأحسن، فعلاً كان أعظم ثبوتاً قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا
أَنفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَهُ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ [النساء: ٦٦].

فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً والقول الثابت هو القول الحق والصدق وهو ضد
القول الباطل الكذب، فالقول نوعان ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول
كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عباده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى
الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس، وأخيبهم وأكثرهم
تلوياً وأقلهم ثباتاً.

وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاختبار وشجاعته
ومهابته، ويعرفون كذب الكاذب، بضد ذلك ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة،
وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به، فقال والله ما فهمت منه شيئاً إلا أني سمعت
لكلامه صولة، ليست بصولة مبطل، فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت
ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم^(١).

٣٧ - ضرب المثل بالبلد الطيب (المؤمن) والبلد الخبيث (الكافر).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَجَسًا ﴾
كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٨].

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: «هذا مثل ضربه الله عز وجل للمؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب، يصيبه المطر فيخرج نباته بإذن ربه، ﴿وَالَّذِي حَبَّتْ﴾ يريد الأرض السبخة التي ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباتها، ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسراً قليلاً بعناء ومشقة»

فالأول- مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به.

والثاني- مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين

أثر المطر فيه ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نيينها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾^(١).

وقال الخازن أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي: قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾، يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والإيمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على إنعامه عليهم بالهداية، وحيث جتبه سبيل الضلالة، وإنما خص الشاكرين بالذكر، لأنهم هم الذين انتفعوا لسامع القرآن^(٢).

٢٨ - ضرب المثل لقلوب بني آدم.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّدَةٌ وَجَعَتْ مِنْ أَعْتَبٍ وَزَرْعٌ وَنَجِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَبَرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِلٍ وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَنْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ٤٤].

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: «قال مجاهد: كمثل بني آدم، صالحهم

وخبيثهم، وأبوهم واحد، وقال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، ويقول: كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل، فسطحها، فصارت قطعاً

(١) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٩).

(٢) «لباب التأويل في معاني التنزيل» (٣/ ٤٥).

متجاوزة، فينزل عليها المطر من السماء، فتخرج هذه زهرتها، وشجرها وثمرها ونباتها، وتخرج هذه سبَخَها وملحها وخبيثها وكل يُسقى بهاء واحد.

كذلك الناس خلقوا من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع، وتقسو قلوب فتلهو، وقال الحسن أيضًا: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِّأَيُّهَا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

٣٩. ضرب المثل للمنافقين والكافرين والمؤمنين،

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧].

قال ابن عباس: «هَذَا مَثَلُ صَرْبِ اللَّهِ لِلْمُتَنَافِقِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَرِضُونَ بِالإِسْلَامِ، فَيَنَاصِحُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَيَقَاسِمُوهُمْ الْفَيْءَ، فَلَمَّا مَاتُوا سَلَبَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْعِزَّ كَمَا سَلَبَ صَاحِبَ النَّارِ ضَوْؤَهُ.

وقال عطاء الخراساني، في قوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ قَالَ: هَذَا مَثَلُ الْمُنَافِقِ يُبْصِرُ أَحْيَانًا ثُمَّ يُدْرِكُهُ عَمَى الْقَلْبِ، وَرُؤْيٍ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَالسُّدِّيَّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ نَحْوُ قَوْلِ عَطَاءِ الْخُرَاسَانِيِّ (٢).

٤٠ - قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصَرِ ﴾ [هزذ: ٢٤].

قال قتادة: «هَذَا مَثَلُ صَرْبِ لِّلْكَافِرِ، وَالْمُؤْمِنِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَاصْصَمَ عَنِ الْحَقِّ، فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَعْقِلُ، وَلَا يَسْتَعِيضُ بِهِ» (٣).

(١) «معالم التنزيل» (٤/ ٢٩٥).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٤١).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ١٥٣).

٤١ - قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الفتح: ٣١].

قال قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه^(١).

٤٢ - تشبيه الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور والضالين وهم أصحاب السراب والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النَّبَأ: ٣٥، ٣٨].

قال ابن القيم: «تضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور والضالين وهم أصحاب السراب والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة والله أعلم؛ فالمثل الأول من المثليين لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع، فأولئك أصحاب العمل الباطل وهؤلاء أصحاب العمل الذي لا ينفع، والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق.

ولهذا مثل حال الفريق الثاني في تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه وأنها أمواج متراكمة من فوقها سحب مظلم وهكذا أمواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٧٨)

الغبي والهوى والباطل، فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثليين يعرف عظمة القرآن وجلاله وأنه تنزِيل من حكيم حميد؛ وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أنه لم يجعل لهم نورا، بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها، فلم يخرجهم منها إلى النور، فإنه سبحانه: ﴿وَلِئْلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة، فمن أراد هدايته جعل له نورًا وجوديًا يحى به قلبه وروحه كما يحى بدنه بالروح التي ينفخها فيه، فهي حياتان؛ حياة البدن، بالروح وحياة الروح والقلب بالنور، ولهذا سمي الله الوحي روحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الشك: ٢]؛ وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فجعل وحيه روحًا ونورًا فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورًا منه فهو في الظلمات ماله من نور^(١).

٤٣ - تشبيه المعرض عن قبول الهدى والانقياد له بالأنعام،

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال ابن القيم: «شبه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضل سبيلًا من الأنعام؛ لأن البهيمة يهديها سائقها، فتهدى وتتبع الطريق، فلا تحيد عنها يمينًا ولا شمالًا، والأكثر يهدونهم الرسل ويهدونهم السبيل، فلا مثل الشرك بالله يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم، والأنعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق، فتجنبه وما

(١) «أمنال القرآن» (١٢/٢).

ينفعها فتؤثره، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبا تعقل بها، ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء، ثم لم ينتفعوا بها جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسباع والأبصار فهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدي إلى الرشd وإلى الطريق مع الدليل له أضل وأسوأ حالا من لا يهتدي حيث لا دليل معه ^(١).

٤٤ - تشبيهه من أعرض عن كلام الله تعالى وتدبره بالحرر الوحشية.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ ^(١) كَانَهُمْ حُرٌّ مُسْتَنْفِرَةٌ ^(٢) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٣) [التكوير: ٤٩، ٥١].

قال ابن القيم: «شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن، بحرر رأت الأسد والرماة ففرت منه، وهذا من بدیع التمثيل، فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله، كالحرر فهي لا تعقل شيئاً، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحرر عما يهلكها ويعقرها، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً وحضه على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد، فكأنها تواصلت بالنفور وتواطأت عليه ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى أن القسورة استنفرها وحملها على النفور بياسه وشدته» ^(٤).

وقال ابو بكر الجزائري: «وقوله تعالى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾، أي فما هؤلاء المشركين المكذابين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يُذَكَّرُونَ بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين، إنه أمر عجيب أي شيء يجعلهم يعرضون عنها هارين منها فارين ﴿كَانَهُمْ حُرٌّ﴾، وحشية ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ^(٥) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٦)، أي فرت هاربة أشد الهرب من

(١) «أمثال القرآن» (٢/ ١٣).

(٢) «أمثال القرآن» (٢/ ٢١).

أسد من أسود الصحراء الطاغية، إن فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس عن قصور في أدلتها وضعف في حجتها، بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى كتاباً من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع محمد ﷺ وهذا هو العناد والمكابرة وصاحبها غير مستعد للإيمان بحال من الأحوال^(١).

وقال العلامة السعدي: قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِ مُعْرِضِينَ﴾، أي: صادين غافلين عنها. ﴿كَانَهُمْ﴾ في نفرتهم الشديدة منها ﴿حُمْرُ مُسْتَنْفِرَةٍ﴾، أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضاً، فزاد عدوها، ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾، أي: من صائده ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار^(٢).

٤٥ - تشبيه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه المسلم الميت.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [النَّجْم: ١٢].

قال ابن القيم: «وهذا من أحسن القياس التمثيلي فانه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان، بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه، بالموت لما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه تعزف، بنفسه بكونه غائباً عن ذمه، كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الدم والعيب والظعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانيته

(١) «أسر التفسير» (٤/ ٣٣٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٨٩٨).

والذب عنه، ولما كان المغتاب متفكها، بغيبته وذمه متحلياً بذلك شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محباً لذلك معجباً به شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتاً ومحبة لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل أخباره عنهم بكرة أكل لحم الأخ ميتاً ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها أن يجب مثل أعمال الكفار أحدهم ذلك فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره، فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم، وهم أشد شيء نفرة عنه فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه وبالله التوفيق^(١).

٤٦ - تشبيه من ينفق ماله في غير طاعة الله ومرضاته بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد فأهلكته .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿[الزُّن ١١٦-١١٧].

قال ابن القيم: «هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه؛ ليصدقوا به عن سبيل الله، واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جداً

يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والشمار، فأهلك ذلك الزرع وأبيسته واختلف في الصر، فقليل البرد الشديد، وقيل النار قاله ابن عباس، وقال الأنباري: وإنما وصفت النار أنها صر لتصريتها عند الالتهاب، وقيل الصر الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها، والأقوال الثلاثة متلازمة فهو برد شديد محرق يبيسه للحرث كما تحرق النار وفيه صوت شديد.

وفي قوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلك زرعهم وأبيسته فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها^(١).



البطلان بالزنا

بعض أمثال العرب ومقارنتها مع أمثال القرآن الكريم وسنة النبي العظيم

أيها الإخوة: كم من الأمثال تدور على ألسنة الناس! ولكن في القرآن وفي السنة ما هو أبلغ وأعمق منها: وهذه هي بعض الأمثلة.

(أ) قول العرب: «القتل أنفى للقتل»: هذا مثال عربي، معناه: أن إقامة الحدود وقتل القاتل تقضي على القتل. لكن القرآن جاء بعبارة أعظم وأبلغ من هذا المثل، فقال عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ أَدْنَىٰ لِّمَلَكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، في القصاص! فهل في الموت حياة؟! كيف يجتمع النقيضان؟ الموت موت، والحياة حياة، فكيف يكون في القصاص حياة؟! نعم. في القصاص حياة، لكنها حياة لمن؟ حياة ليس لمن يُقتل منه، بل حياة للمجتمع؛ لأن القاتل حين يعلم أنه إذا قُتِلَ قُتِلَ تَوَقَّفَ وارتدع عن القتل، فيحصل بتوقفه وامتناعه عن القتل حياة للأنفس الأخرى؛ لكن القاتل الذي يعلم أنه لا يُقْتَلُ يتهادى في الطغيان، وينتهك، ويسفك الدماء؛ لأنه يعرف أنه لن يحصل له شيء، ولذا يقول الله في القصاص من الجنة حياة لبقية الناس، وصدق الله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ أَدْنَىٰ لِّمَلَكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

(ب) قول العرب: «من جهل شيئاً عاداه»: هذا مَثَلٌ واقعي، فالذي لا يعرف السلعة لا يقدرها. وكما يقول العوام: «إلّي ما يعرف الصَّقر يشويه» يظنه حمامة، وهو صقر لا يؤكل؛ لأنه من ذوات المخلب؛ لكنه لا يعلم هل هذا صقر أم حمامة، فيشويه. وكذلك من يجهل الشيء لا يعرف قيمته، بل ربما يتصدى لمعاداته. ولكن في القرآن الكريم ما هو أبلغ من هذا المثل، وهو قول الله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، لما جهلوا دين الله، وجهلوا شريعة الله، وجهلوا حقيقة هذا الدين العظيم، كذبوه لعدم إحاطتهم بالعلم به، وإلا لو علموه لما عادوه، ولهذا إنما تقع الخشية لله عز وجل من

العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [قَالَ: ٢٨] «ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف» ولو أجريت استقراء لمن تقع منه المعاصي والذنوب والمخالفات تجد أنها تقع من الذين لا يعرفون الله، أما كل من استقرت معرفة الله في قلوبهم فتجد في قلوبهم مثل النار من خشية الله عز وجل. ف«مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ» ولكن القرآن يقول: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ [يُونُسَ: ٣٩].

(ج) قول العرب: «ما تزرع تحصد»: فالذي تزرعه تحصده، والشخص الذي يزرع بُرًا ماذا يخرج له؟ بُرٌّ، أليس كذلك؟ والذي يضع بَعْرًا، أخرج له بُرٌّ؟! لا. سياتي ويتظر، ثم يكشف الطين ويرى البعر؛ إن كان جيدًا لقيه، وربما قد تلف، وحتى إنه لن يلقاه، فما تزرع تحصد. لكن المثال في القرآن الكريم جاء ببلاغة أعظم، يقول الله عز وجل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزَ بِهِ﴾ [النَّازِعَاتِ: ١٢٣].

ويقول عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ عَامِنُونَ﴾ (٨٨) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[النَّازِعَاتِ: ٨٩، ٩٠]. شخص يزرع طوال حياته السوء، ويزرع الشر والفساد، ويعمل الإجرام، ويهتك الأعراض، ويسفك الدماء، ويعتدي على الحرمات، ويعاند الجبار، ويترك أوامر الله، ويقع فيما حرم الله، هذا ماذا يلقي؟ هل يتصور أنه يلقي حسنات على هذا الفعل؟! لا؛ لأنه يعمل سوءًا، والذي يعمل السوء يجد السوء، والذي يعمل الحسن يجد الحسن، يقول الله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٣١].

ويقول عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهُهُمْ قَمَرٌ وَلَا ذُلٌّ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩١) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴿[يُونُسَ: ٢٦، ٢٧]. يعمل طوال ليله ونهاره ويكسب، وسمَّى الله جمع السيئات كسبًا، وإلا فهو ليس بكسب؛ لكنه على سبيل التهكم، والشخص الذي يجمع السيئات، كاسب أم خاسر؟! خاسر؛ لكن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ ماذا يحصل؟! ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْلُغُهَا﴾، أم أنه يتوقع

صاحب السيئات أنه يجد على السيئة حسنة! هل هذا معقول؟! لا. أبداً. فيقول الله عز وجل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

(هـ) قول العرب: «لا تلد الحية إلا حية»: الحية لا يأتي ولدها أو ابنتها إلا مثلها حية، لا تتوقع أن يأتيك شيء لطيف من حية. ولكن القرآن جاء بأبلغ من هذا في قوله تبارك وتعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ بِيُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. متى قال نوح هذا؟ ما قاله ابتداءً، فنوح من أولي العزم، عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام، وهو من الخمسة أصحاب الفضيلة والمقام الرفيع، دعا إلى الله مدة قدرها (ألف سنة إلا خمسين عاماً) مازس شتى الأساليب، وأخذ بجميع الأنواع: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]، كان يدعو ليلاً ونهاراً، نحن كم ندعو؟

إذا ألقى أحدنا درساً في الأسبوع قال: والله إني تعبت، وإذا جلس مع شخص يتكلم بكلمتين، قال: الحمد لله نحن نعمل لهذا الدين ليلاً ونهاراً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا﴾ ١ ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصِيعَةً فِي عَادَاتِهِمْ وَأَسْتَفْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْعَجَاكَ﴾ ٧ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ [نوح: ٥، ٨]، دعوة علنية ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩]، دعوة سرية وبعد هذا العمر الطويل والجهد العظيم يوحى الله إليه ويقول له: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، كم عددهم؟ في أصح الروايات أنهم (اثنا عشر رجلاً)، ثمرة (تسعمائة وخمسين سنة).

يقول الله: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]؛ آمن معه (اثنا عشر رجلاً)، مع هذا العمر الطويل والجهد المكثف، والأساليب المتنوعة، لم يستجيبوا ولم يدع نوح عليهم؛ لكن لما أوحى الله إليهم أنهم لن يؤمنوا، دعا الله عليهم؛ لأنه لا فائدة، ومادام أنه لن يؤمن أحد

منهم، فلماذا يقولون؟! فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ [نوح: ٢٦]، لماذا؟! قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِجًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، أحد احتمالين:

الأول - إمّا أن يضلوا هؤلاء (الاثني عشر) الذين هم عندنا الآن؛ لأن تأثيرهم سيكون بليغاً، والكثرة تغلب.

الثاني - أنهم إذا لم يُضِلُّوا الذين آمنوا؛ فإن أولادهم الذين يأتون منهم فجرة وكفرة: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِجًا كَفَّارًا﴾ و(لا تلد الحية إلا الحية) كما تقول العرب، إذا لا معنى لبقاتهم، دمرهم يا رب عن بكرة أبيهم؛ فاستجاب الله دعوته. لماذا استجاب الله دعوة نوح؟ لأنه استنفذ جميع جهده، فالإنسان لا يعتمد على دعائه لله وينام! لا بل إن نوحاً عَمِلَ وَعَمِلَ وَعَمِلَ، وعدّد، ونوّع، وبذل كل ما عنده، ولما عرف بواسطة الوحي أنه لن يؤمن أحد، إذاً فما معنى أن يقولوا أحياء وهم لم يؤمنوا، فلا بد من التدمير، فدعا الله، وقال: ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [التين: ١٠].

فاستجاب الله له الدعوة، وقال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [التين: ١١]. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [التين: ١٢]، ليس فقط مكاناً معيناً، بل الأرض كلها تحولت إلى ينابيع وإلى ماء، حتى موقد النار (التنور) الذي يتوقع أن الماء في كل مكان إلا هو ليس فيه ماء بل فيه نار؛ لكن فار التنور، والأرض كلها صارت ماءً ﴿فَالْنِّعَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء على ماء الأرض ﴿فَالْنِّعَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [التين: ١٢]، أي: أحكم من قبل الرب تبارك وتعالى، وحمله الله عز وجل على السفينة ذات الألواح والدُّسُر أي: المسامير ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [التين: ١٤]، تجري برعاية الله.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [التين: ١٤]، أمره الله أن يحمل فيها أهله ومن آمن معه، فظن نوح عليه السلام أن الأهلية هنا أهلية النسب، فقال لما رفض ولده أن يركب: ﴿رَبِّ إِنِّي أَبْتِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]، أنت قلت: يركب أهلي، وهذا ابني أبي أن يركب،

فلا تغرقه، قال الله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْآجِنِينَ﴾ [هؤلا: ٤٦]، انظروا القوة في العبارة، لكن الأنبياء يعرفون الله، فنزه الله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيْ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هؤلا: ٤٧]، ينزه الله ﴿وَلَا تَعْفُرْ لِيْ وَتَرَحَّمْ﴾، لا إله إلا الله! يستغفر ويطلب الرحمة من سؤاله الله أن ينجي ابنه، رغم أنه لم يسأل بدافع الأبوة، ولا الحنان، وإنما بدافع الوعد من الملك الديان، أنه من أهله، فظن أنه يركب باعتباره من الأهل. فصحيح الله نظرة نوح بَعْلِيْنَا لِلْإِسْلَامِ.

وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، الأهلية هنا هي: أهلية العقيدة، وأهلية الملة والدين، وما دام كافراً، فليس من أهلك. ففي هذا إشارة إلى أن العلاقة التي تربط الناس بعضهم ببعض هي علاقة العقيدة بالدرجة الأولى، ثم تأتي بعد ذلك الروابط الأخرى؛ لكن إذا انتفت علاقة العقيدة فلا علاقة قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [الحآلة: ٢٢]، لا إله إلا الله! وأمثال القرآن -أيها الإخوة كما ذكرت لكم - كثيرة، ولا يعقلها - كما قال الله في كتابه - ولا يعلمها ولا يفهمها ﴿إِلَّا الْقَلِيلُونَ﴾ [التآكيد: ٤٣]، وفي هذا دعوة لطلاب العلم، وحث على النظر.

والتأمل ومعرفة تلك الأمثال، ومعرفة مراد الله منها، حتى يُحسب من يتأملها ويعرفها عند الله من العالمين، وفيه إشارة إلى أن من لا يعقل أمثال القرآن أنه محسوب في زمرة الجاهلين، وإن كان يحمل شهادة عليا، أو كان في نظر الناس من المثقفين أو من الواعين؛ لكنه لم يع أمثال القرآن، فالله ينفي عنه العلم، ويثبت له الجهل، ويعدده من زمرة الجاهلين. وقد اخترت هنا بعض الأمثال من كتاب الله عز وجل التي تقرب المعاني، وأكتفي بثلاثة أمثال.

المثال الأول- مثل مَنْ يُعرض عن دين الله عز وجل: يُدعى إلى الله، وتوضح له الطريق التي يسلك بها طريق النجاة، وتوضع له المعالم والأنوار والإضاءات التي تدله على الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، فَيَصُمُّ أذنيه، ويعمي عينيه، ويعرض عن طريق الهداية، بل يرفض ويهرب، فهذا ضرب الله عز وجل له مثلاً في كتابه الكريم من أسوأ الأمثلة، وشبهه الله عز وجل بالحُمُر الوحشية، فاحْمُر منها حُمُر أهلية، ومنها حُمُر وحشية، ويجمعها لفظ (الحُمُر) أي: حمير، والأهلية: هي التي تُسْتخدم، وهي التي تُركب ومعروفة عند الناس.

والحُمُر الوحشية من فصيلة الحمير؛ ولكنها غير مستأنسة، ولا يألفها الناس ولا تألفهم، وهي متوحشة، تعيش في البراري والقفار، هذه الحمير من طبيعتها أنها تعيش في حالة عظيمة من الرهبة والخوف إذا رأت الأسد أو السبع، جميع الحيوانات تخاف من الأسود ومن السباع؛ لكن بعض الحيوانات تملك رباطة جأش، وتملك قوة صراع، وإمكانية دفاع، إلا حمار الوحش، من حين يرى الأسد أو السبع على مسافة بعيدة يهرب هروباً يكاد يموت، ويتكسر ظهره، بل وربما لم يره بعد؛ لكن فقط من مجرد الشم.

ويذكر هذا العلماء في كتبهم أنه يفر فراراً عنيفاً، أحياناً يتكسر من كثرة جريه، يحسب أن الأسد قد صار على ظهره، وبينهما مسافة طويلة. فقد سَبَّه الله عز وجل مَنْ يكره العلماء، ويكره الدعاة، وينفر من مجالس العلم، ولا يحب سماع كلام الله، ولا كلام رسول الله ﷺ بأنهم كالحُمُر، يقول الله عز وجل: ﴿فَمَا لَمْ يَنْتَهِ عَنْ التَّذَكُّرِ مُعْرِضِينَ﴾ [التكوير: ٤٩]؟! سؤال استنكاري! لأي شيء يعرضون عن ذكر الله؟! لأي شيء يتجاهلون داعي الله؟! لماذا؟! أليس يعنيه؟!!

وما الذي يعنيه في الأرض غير هذا؟! إن أول ما ينبغي التركيز عليه في اهتمامات العبد: أن يسأل لماذا وجد؟! ولن يخبره لماذا وجد إلا الذي خلقه، ولم يترك الله الإنسان يسأل، بل أرسل الرسل ليبينوا للناس لماذا خُلِقُوا؛ لكن الناس الذين أعرضوا لا يريدون،

ولهذا يقول الله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿١٥﴾ كَانَهُمْ حُرُثُ شَتَاٍ مُّثْقَرَةٍ ﴿١٦﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿١٧﴾ [الذِّكْر: ٤٩، ٥١]، القسورة في لغة العرب: الأسد، والسبع.

فهؤلاء في إعراضهم إذا رأوا الداعية، أو العالم، أو مجلس العلم، أو دعاهم أحد إلى شيء يفرون، ومن قبل كانوا يفرون بأقدامهم كما تفر الحمير بأقدامها، والآن يفرون بسياراتهم! لماذا؟ قال: جاء (المطوَّع). (المطوَّع) هذا يطوَّعك، و(المطوَّع): اسم فاعل، أي: يطوَّعك الله، يريدك بدل أن تكون مطوَّعًا للشيطان تكون مطوَّعًا لله؛ لأنك إما أن تكون طائعًا لله، أو طائعًا للشيطان، فهذا يطوَّعك ويجعلك طائعًا، وصفة الطائع صفة كريمة.

قَالَ الْحَكَمِيُّ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩]، فلماذا تفر منه؟! إن فرار الإنسان من أهل العلم، وإعراض الإنسان عن الدعاة، ورغبته في غير مجالس الذكر، دليل على أن عقليته عقلية الحمير، وأن مرتبته مرتبة البهائم، بل هو أعظم وأذل وأخس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الزَّكَاة: ٤٤]، لماذا أضل سبيلاً؟ لأن الأنعام سارت فيما سخرها الله عز وجل وخلقها من أجله، أما هؤلاء فهم أضل سبيلاً من الأنعام؛ لأنهم لم يسيروا في الطريق الذي رسمه الله لهم، ولا حققوا الغرض والهدف الذي من أجله خلقهم الله عز وجل.

والإعراض عن الدين قضية صعبة في حياة الإنسان، بل عده العلماء والمحققون من أهل السنة والجماعة ضمن أنواع الكفر الخمسة، الكفر هو: الجحود، وقد قسمه العلماء إلى خمسة أقسام:

القسم الأول- كفر التكذيب. القسم الثاني- كفر الشك. القسم الثالث- كفر الجحود. القسم الرابع- كفر الإباء والاستكبار. القسم الخامس- كفر الإعراض.

وقالوا عن كفر الإعراض هو: أن يعرض عن الدين، فلا يتعلمه، ولا يهيمه أمره، معرض، قد يصل به إعراضه ورفضه إلى أن يكفر بالله وهو لا يشعر، والله عز وجل سباه: ظالمًا، بل لا أظلم منه! بصيغة أفعال التفضيل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أي: لا أظلم ﴿وَمَنْ ذَكَرَ بِثَابِتٍ رَيْدٍ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الكهف: ٥٧]، أكنة أي: أغطية، مغطاة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أي: لثلا يفقهوا دين الله ﴿وَقَدْ آذَيْنَاهُمْ وَفَرَّ﴾، أي: مخرومة لا تسمع ﴿وَأِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ ثَابِتٍ رَيْدٍ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِبُونَ﴾ [التوبة: ٢٢]، لا أظلم ممن يدكر بالله ويعرض، هذا نوع من الاستخفاف، وعدم الاهتمام، كيف تعرض عن الله؟! لو قام المذكر وقال: أيها الناس! أنا سألقي عليكم موعظة؛ والذي يجلس إلى آخرها سوف أعطيه (مائة ريال أو جنيه) هل سيقوم أحد؟! لا. بل الكل سيزحف ويقرب من أجل أن يصل إلى الصف الأول ليستلم (المائة) ولن يقوم أحد، حتى ولو كان عنده عمل فإنه يقول: أقضيه فيما بعد، والذي ولده بجانبه يريد أن يقوم فإنه يجلسه، وإذا قال له: أريد أن أقوم، فإنه يقول له: لا. اجلس إنها (مائة ريال). لكنك إذا أقبلت على الله وجلست في بيوت الله أتأتيك (مائة ريال)؟! لا.

ما يأتيك شيء من هذا، بل أتيتك رحمة، ويأتيك غفران، وذكر عند الرحمن، هل هناك أعظم من أن يذكرك الله فيمن عنده؟! يقول عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)^(١) هل يوجد أعظم من هذه الأربع في الدنيا؛ أن تغشاك الرحمة، وأن تنزل على قلبك السكينة، وأن يباهي بك الله عند الملائكة، وأن تحفك الملائكة؟! لا يوجد أعظم من هذا؛ لكن من الذي يشعر بهذا؟! الذي قلبه حي. أما المعرض فلا يحس، لماذا يعرض أصلاً؟! لأنه لا

(١) أخرجه مسلم [٢٦٩٩]، والترمذي [٢٩٤٥]، وابن داود [١٤٥٥]، وابن ماجه [٢٢٥] من حديث أبي هريرة.

يهمه، (مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ) لا يعرف ﴿بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَيْهِ﴾ [يُونُسُ: ٣٩]، فلما كذبوا بهذا أعرضوا عنه، يقول الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [التَّحْضُّنُ: ٥٥].

فهؤلاء إذا سمعوا الذكر أعرضوا عنه ﴿كَانَتْهُمْ حُمُرٌ مُسْتَفِيرَةٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥٠]، لا يريدونه؛ لأنهم يعيشون بعقلية الحمير، التي لا يهمها إلا الشهوات، فلو أتيت تذكّر قطيعاً من الحمير وقمت تقرأ القرآن، ما رأيك؟! أيسمع الحمار أم يمشي؟! الحمار لا يعقل، ولا يدري مَنْ تُذَكَّر، وإذا رأى أنثى رفع مسامعَه وجرى وراءها، وكذلك إذا رأى علفاً هم العلف والشهوات؛ لكنه لا يستمع إلى الذكر، فما الفرق بين الحمار البشري المُعْرِض عن ذكر الله، وبين الحيوان الذي لا يسمع ذكر الله؟! لا شيء، بل ذاك أضل؛ لأنه يعرف ويُعْرِض، أما هذا فلا يعقل.

والإعراض عن ذكر الله له صور: إعراض مكاني: بحيث لا يجلس في مكان الذكر.

إعراض قلبي: بحيث يكره الذكر، حتى ولو جلس فهو -أيضاً- كاره، كأنه في سجن، أو قفص، مثل الطير يريد أن يطير، يريد أن ينفك.

١. إعراض عملي، ٢. إعراض دَعَوِي، ٣. إعراض شعوري، كل هذه تسمى إعراضاً عن الله، وعن ذكر الله، وعن دين الله وفي الحديث المتفق عليه: كان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث، فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «إلا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فاوَى إلى الله فاواه الله، وأما الآخر، فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» (١).

(١) أخرجه البخاري [٦٦]، ومسلم، [٢١٧٦]، والترمذي [٢٧٢٤]، والبخاري في «شرح السنة» (٢٩٩/١٢).

وهذه هي النتيجة الحتمية؛ أن تعرض عن الله، وماذا تريد إذا أعرضت عن الله؟! أيتوجه الله إليك؟! لا. يقول الله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] يقول: ﴿أَصْرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، لكن أقبل على الله؛ فإن الله عز وجل يُقبل عليك يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَهْلَكُونَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ماذا يصير لهم؟! ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ [مجادل: ١٧] جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم»، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب الله إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى الله ذراعاً تقرب الله إليه باعاً، ومن أتى إلى الله مشياً أتى الله إليه هرولة» إذاً: حتى تكون أهلاً لمحبة الله، ولرحمة الله، ولتوفيقه، أقبل على الله، أما أن تعرض وتدبر وتستهر ولا يهملك أمر الله هذه ليست عقليات أهل الإيمان، إنها عقليات البهائم، وبالتالي تكون مصيبة من أعرض عن دين الله عز وجل عظيمة وكبيرة.

وهذا المثال ضربه الله عز وجل للذين يعرضون عن ذكر الله، يقول الله عز وجل وهو يوصي النبي ﷺ في ألا يطيع هؤلاء، هذه النوعية منكوسة الفطر، عندها خلل في التصورات، يقول عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِيشِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، من أغفل الله قلبه عن ذكره، وترك الدين، وأعرض عنه فاحذر منه؛ لأن أمره فُرُطٌ، أمره ليس ملموماً ولا مجموعاً، بل انفرطت عليه جميع أموره فغفل عن الله وعن دين الله عز وجل. هذا هو المثال الأول الذي ضربه الله عز وجل للمعرضين عن دين الله عز وجل، وفي هذا تنبيه لكل عاقل ألا يعرض مهما كان الأمر، هذا خير ساقه الله لك، بل أقبل وابحث عن الذكر.

المثال الثاني- مثال لمن يسمع ولا يعرض: يسمع ما شاء الله، ويشتري الشريط، ويسمع الكلام- ولكنه لا يعمل؛ لأن ثمرة السماع هي العمل، نحن لا نريد من الناس أن

يسمعوا بمجرد قضاء الأوقات ولمجرد المتعة والتعليقات، وفلان والله ما شاء الله خطيب، وفلان يقول كلامًا وكلامًا! لا. ليس هذا هو الغرض، وإنما الغرض الحقيقي من وراء الدعوة، ومن وراء الذكر، وحلق العلم، ومن وراء كل هذا أن نحمل الأمة على العمل بالعلم.

فإذا سمعت ولم تعمل فكأنك لم تعمل شيئًا، علم، بلا عمل كشجر بلا ثمر، ما رأيك في شجرة في فناء منزلك من أشجار الزينة، ما شاء الله طيبة؛ لكنها ليست مثمرة، وأنت تموت جوعًا، ماذا تعمل بها؟ لا تنفعل بشيء، فهي شجرة خضراء؛ لكن ليس فيها ثمر.

تذلك من الناس من عنده علم لكن ليس عنده ثمرة، وليس عنده عمل، ولهذا مصيبة الأمة اليوم -أيها الإخوة- ليست في عدم العلم، بل مصيبتها في عدم العمل، وإلا فإن العلم يقدم من أول مرحلة دراسية، من السنة الأولى والولد يُعَلَّم: مَنْ ربك؟! ما دينك؟! مَنْ نبيك؟! وفي السنة الثانية يُعَلَّم: الأصول الثلاثة، وفي السنة الثالثة يُعَلَّم: المسائل الأربع، وفي السنة الرابعة يُعَلَّم: التوحيد وأنواعه، وفي السنة الخامسة ما بعدها من المسائل، فلا ينجح إلى السنة السادسة إلا وهو -ما شاء الله- قد عرف دروس العقيدة كاملة، وأساسياتها، وعرف الفقه، وأساسياته، وعرف الحديث الأربعين حديثًا النووية وعرف التفسير في المتوسط وفي الثانوي.

لكن أين العمل؟! لأنه أخذَ بنية غير نية العمل فلم يُعْمَل به، النية من العلم الشهادة، فإذا أُخِذَت الشهادة نُسِيَ العلم، يحفظ هذه النصوص الميتة في نظره، إلى أن تأتي ورقة الامتحان ويتقيأ بها على الورقة، واسأله عنها بعد أسبوع تجده لا يعرف كلمة، انتهى غرضه منها، فهو حفظها ووضعها في الورقة؛ لكي يأخذ ورقة زور، شهادة، اسمها شهادة زور، ما دام لا يُعْمَل بها فيها. إن الذي يعلم ولا يعمل ضرب الله له مثلاً من أسوأ الأمثلة، مثل الذي قبله، قال الله عز وجل -والحكاية عن اليهود؛ ولكنها تعم كل من

سار على شاكلتهم:- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوَارِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الْبَنَجَات: ٥] الذي عنده علم ولا يعمل به مثله في كتاب الله، كمثل حمار حَمَلَتْهُ أسفار العلم، حَمَلَتْهُ فتح الباري، وصحيح البخاري، وتفسير ابن كثير، وتنتقل من مكان إلى مكان، وتعال عنده واسأله:

ماذا قال البخاري يا حمار! ماذا يقول لك؟! يقول: هات علفًا - بلسان حاله - يقول: عندك علف ائت به، فلا يهيمه إلا العلف، فلا يعرف ما الذي فوق ظهره. فهذا الذي عنده علم لكنه لم يعمل به، ما الفرق بينه وبين هذا الحمار؟! لا شيء، ولذا فإن هذا مثل واضح ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوَارِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الْبَنَجَات: ٥] وهذا التذليل في الآية مناسب لمعناها، فإن هذا الظالم لنفسه الذي حمل العلم ولم يعمل به جعل بهذا الظلم عَقَبَةً وسدًا بينه وبين الهداية، فلا يهديه الله، كيف يهديه الله وقد أصبح العلم عنده؟

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

العلم معه؛ لكنه ليس مستعدًا أن يعمل به، إذا كيف يهديه الله؟! ما دام أنه هو نفسه رافض أن يهتدي، وهذه مصيبة المصائب. إن على طالب العلم أن يأخذ العلم بنية العمل، وبنية القربى إلى الله، والنجاة من عذاب الله، وبنية أن يعبد الله بهذا العلم، وإلا فإن قد جاء في الحديث عَنِ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ يُجَارِي بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(١).

(١) حسن أخرجه الترمذي [٢٦٥٤]، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق ابن يحيى بن طلحة ليس بذلك القوي عندهم، نُكَلِّمُ فِيهِ مِنْ قَبْلِ حَفْظِهِ. وقال الألباني: حسن انظر حديث رقم: [٦٣٨٣]، في «صحيح الجامع».

وفي حديث ابن عمر عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ يُبَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُصْرِفُ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ»^(١)، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ يُبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُبَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيُصْرِفُ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ»^(٢)، نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء - ليباري به السفهاء، ليجاري به العلماء، ليتغني به عرضاً من الدنيا، يريد وظيفة فقط، لم يرح رائحة الجنة، أي: يلقي هذه؛ لكن ليس له هناك شيء؛ لأنه لم يعمل من أجل الجنة، ولم يطلب العلم من أجل الجنة، بل طلب العلم من أجل أن يأخذ شهادة، فأخذ الشهادة وانتهى الأمر؛ لكنه لو طلب العلم من أجل الله، ومن أجل أن يعرف طريق الله. ولكي يعبد الله على بصيرة وعلى نور، فقرأ كتاب الله، وقرأ سنة رسول الله، ولم يُبَاهِ، ولم يُجَارِ، ولم يُبَارَ، ولم يستعلِ، ولم يتكبر، وإنما تواضع، وهذا شأن علماء السلف رحمهم الله، كانوا قمعاً في العلم، ومع هذا فهم متواضعون إلى أبعد درجات التواضع، وبعض الناس تجده صفراً في العلم؛ ولكنه مغرور، يظن أنه على شيء، وهو ليس على شيء، وإن علم فإنما يعلم نصوصاً فقط، وهذه النصوص ليست هي العلم، العلم هو العمل، والخشية، والخوف، العلم الرغبة فيما عند الله، إما أن تكون عالماً ولا تخاف الله، عالماً وتجترئ على حدود الله، عالماً وتصنع أوامر الله؟! فلا.

جاءني أحد الإخوة يوماً من الأيام، وكان مؤذناً في أحد المساجد، وهو رجلٌ أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب؛ لكنه يخاف الله، عنده في قلبه خوف من الله، جاءني وهو يشتعل غضباً، قال: يا شيخ! كيف هذا الكلام؟! قلت: نعم. ماذا هناك؟! قال: أنا مؤذن المسجد الفلاني، وحول المسجد عمارة فيها أربع شقق، يسكنها أربعة (دكاترة) يقول: منذ أن سكنوا إلى

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه [٢٥٣]، وقال الألباني: حسن انظر حديث رقم: [٦٣٨٢]، في «صحيح الجامع».

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه [٢٦٠]، وقال الألباني «صحيح» انظر حديث رقم: [٦١٥٨]، في «صحيح الجامع».

الآن لم يدخلوا المسجد، يقول: وكنتُ أتصور عندما أسمع مَنْ يقول: يا (دكتور)! كنتُ أحسب أنهم (دكاترة) في (المستشفى).

فقلت: هذا ليس غريباً؛ لكني الآن علمتُ أنهم (دكاترة) في كلية الشريعة، يقول: من حين سكنوا إلى نصف السنة ما دخلوا المسجد، أحدهم يدرس تفسيراً، والثاني يدرس الفقه المقارن، والثالث يدرس الأصول، والرابع يدرس اللغة العربية، (دكاترة) يدرسون القضاة ويخرّجون القضاة؛ لكنهم لا يصلون في المسجد، إذًا: فما قيمة العلم عند هؤلاء؟! ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَتَحَوَّلُ أَسْفَارًا﴾ [الْبَيْئَاتِ: ٥]، هذا المثل لا يحتاج توضيحاً.

يقول الشاعر:

إذا لم تستفد بالعلم هدياً فليتك ثم ليتك ما علمته

العلم يرفعك إلى الله، ويقربك إلى طاعة الله؛ لكنك إذا كنت تتعلم وتزداد ضلالاً ويُعدّأ عن الله، فإن هذا مصيبة، والعياذ بالله! فهذا المثل الثاني للذين يتعلمون ولا يعملون، وهذا المثل سعي، كمثل الحمار، والحمار -والعياذ بالله- من الحيوانات التي تضرب بها الأمثال في البلادة والجهل، و-أيضاً- فيه خصلة ذميمة وهي نكارة الصوت، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [الْقَتَاتَانِ: ٣١]، وفعلًا أي صوت من البهائم تسمعه لا تشمئز منه؛ لكن دع حماراً ينهق بجانبك، يكاد يفجر أذنك، ثم إنه صوت قبيح وخبيث.

فكذلك من يحمل العلم ولا يعمل به مثل الحمار، وإذا تكلم فمثل نهيق الحمار، يضرب به المثل في كراهية الصوت، والعياذ بالله! وأيضاً يضرب به المثل في الجهل، إذا رأوا جاهلاً قالوا: أجهل من حمار أهله.

ويقال في المثل العربي: «أخزى الله الحمار مالا لا يُزكّي ولا يُدكّي» الذي عنده حمار، لا هو يُدكّي إذا مات، ولا عليه زكاة، فلا مصلحة منه لا في حياته ولا في موته،

ويقولون: أخزى الله الحمار مالا لا يُزكى - تُدفع عليه زكاة - ولا يُدكى - فيؤكل - وإنما ليس منه مصلحة، لكنه يزكى في حالة واحدة وهي: إذا كان عرضاً من عروض التجارة، إذا كان هناك شخص يتاجر في الحمير، فإن عليه إخراج زكاتها؛ لأن عروض التجارة كلها تشملها الزكاة، لكن لو لم يكن لديه تجارة وإنما يهوى جمع الحمير، وعنده (مائة) حمار فليس فيها زكاة، فيقولون: «أخزى الله الحمار مالا لا يُزكى ولا يُدكى».

وايضاً يقال فيه: إنه من ضلاله عنده قياس؛ لكنه يستعمل القياس بطريق الجهل، ولذا إذا رفعت يدك لضربه يخفض برأسه، يحسب أن يدك سوطاً، يقيس كل شيء عنده بالسوط؛ لأنه يخاف من العصا، ويخاف من الضرب، فأى شيء ترفعه، فإنه يظن أنه سوط لضلاله وجهله. فما ضرب الله عز وجل بهذا المثل لمن لا يعمل إلا على سبيل التبكي، وعلى سبيل التشيع والتنفير، حتى لا يصير الإنسان مثل الحمار، حينما يكون له علم ولا يعمل به.

المثال الثالث - وهو يأتي ثمرة للثاني: مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ؛ لكنه لم يثبت تشبيه الله للذين لا يثبتون على الدين بالكلب لقد تَعَلَّمَ العلم، ثم استجاب للعلم بالعمل وسار في العمل؛ لكنه سار في العمل فترة ثم انتكس، وترك دين الله، هذا ضرب الله له مثلاً من أبشع ومن أسوأ الأمثلة، وهو مثل الكلب - والعياذ بالله - الذي لا يثبت على الدين ولا يستمر عليه إلى أن يموت، هذا لا ينتفع منه؛ لأن العبرة دائماً بالخواتيم، وكان النبي ﷺ يسأل الله ويقول: «اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها، واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة^(١)». والعبرة دائماً في حياتك أنت بما تحتم به حياتك، ولهذا قال ﷺ والحديث في السنن: «إذا أحب الله عبداً استعمله، قالوا: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه»^(٢) يوفقك لعمل صالح تستمر عليه ثم تموت وأنت عليه.

(١) أخرجه أحمد [١٧٦٦٥] والطبراني في «الكبير» [٣٣/٢] وابن حبان [٩٤٩] وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد [١٢٠٥٥]، والترمذي [٢١٤٢]، وابن حبان [٣٤١] وانظر «صحيح الجامع» [٣٠٥].

فلهذا يحبك الله؛ لكن توفق لعمل صالح ثم تتركه وتتكس وتموت على غير العمل الصالح فلا عبرة بما عملت، فلو صليت العشاء أربع ركعات إلى ما قبل السلام بلحظة، ثم انتقض وضوؤك؛ فالصلاة باطلة رغم أنك صليت أربع ركعات سليمة وليس فيها شيء؛ لكنك ما أكملتها، ولو ما أكملت دقيقة واحدة، بطلت صلاتك. ولو صمت في رمضان من الفجر إلى قبل غروب الشمس بدقائق ثم أفطرت، فصيامك باطل، بالرغم من أنك صائم (اثنتي عشرة) ساعة؛ لكنك ما أكملت، وكذلك مَنْ عَبَدَ الله طوال حياته، ثم ترك في آخر لحظة من حياته خُتِمَ له بالنار، وهذا معنى حديث النبي ﷺ: «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (١).

وفي هذا الحديث حث للأمة على أن تتشبث وتمسك بالعمل الصالح إلى أن تموت، لا تقل: لا والله سأعمل هذه ثم أتوب، فربما لن تتوب، ربما تموت عليها، وليس في هذا مفهوم للسذج والبسطاء الذين يقولون: ما دام أنها هكذا، أنا سوف أعمل بعمل أهل النار، وإذا لم يكن بيني وبين الجنة إلا ذراعاً عملت عمل أهل الجنة! يريد أن يضحك على الله، فلا يصلح هذا، ولا ينفع.

أيها الإخوة: الذين يتكسون ولا يشبّون على دين الله حتى الممات، هؤلاء ضرب الله لهم بمثال سيئ في كتابه الكريم، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَلَهُ الْكَلْبُ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٧٥، ١٧٦]، هذه الآية وإن كانت نزلت في رجل من بني

إسرائيل اسمه بلعام بن باعوراء، إلا أنه كما يقول المحققون من أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والله أمر رسوله ﷺ أن يخبرنا ويقول: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أخبر أمتك يا محمد! بنياً ذلك الرجل الذي آتيناه آياتنا، آتيناه العلم، وآتيناه الآيات والدلالات الواضحات على عظمة الله، فبدل أن يعمل بها ويستمر عليها انسلخ منها، والانسلخ عن الشيء هو: تركه مع عدم الرغبة في العودة إليه، إنك إذا خلعت ثوبك تخلعه من أجل أن يُنظف وتلبسه مرة أخرى، ولذا إذا خلعته ماذا تقول؟

تقول: أنا فسختُ ثوبي أو خلعتُ ثوبي، ولا تقول: سلختُ ثوبي، لكن إذا سلختُ جلد الشاة ماذا تقول؟ تقول: خلعتُ جلدها؟ أو فسختُ جلدها، أو سلختُ جلدها؟! سلختُ جلدها، لماذا؟ لأنه لن يعود جلدها عليها، هل حصل أن عاد جلد شاة عليها؟ أبداً مستحيل! وكذلك هذا الرجل لما انسلخ من الدين انسلخ بنية ألا يعود إليه، قال عز وجل: ﴿فَانْسَلْخْ مِنْهَا﴾، فماذا حصل لما انسلخ؟ قال عز وجل: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ حين كان يعمل بآيات الله كان في حرز، ولم يكن للشيطان عليه سلطان، وما كان الشيطان يستطيع عليه؛ لأنه محفوظ بآيات الله، محفوظ بدين الله؛ لكن بمجرد أن تخلى عن حرزه، وترك حصنه، وانسلخ عن آيات ربه، تسلط عليه الشيطان.

وهذا معنى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿[الحج: ٩٩، ١٠٠]﴾. فإذا أردت أن تبقى في حصن حصين، وفي منعة من الشيطان الرجيم فاعمل بطاعة الله، إذ لا سلطان للشيطان على من أطاع الله، يقول الله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿[الجن: ٤٢]﴾، فسلطان الشيطان على من اتبعه؛ لكن من يتبع الله ويعبد الله لا سلطان للشيطان عليه، ولهذا حينما لعنه الله وطرده وقال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ﴿١٥﴾

قَالَ فِيمَا آغْوَيْنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْهُورًا مَذْهُورًا لَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿[الْإِنْفِرَات: ١٢، ١٨]﴾. أنت والذي وراءك في جهنم: ﴿يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿[الْإِنْفِرَات: ١٩]﴾، إلى آخر الآية. إذا: متى يتبع الشيطان الإنسان؟! إذا تخلى عن طاعة الرحمن، أما إذا كان الإنسان ملازمًا لطاعة الله، فإنه في حصن وحماية ووقاية من الشيطان.

وهذا معنى قول الله عز وجل في هذه الآية: ﴿فَأَنسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿[الْإِنْفِرَات: ١٧٥]﴾، فإذا أتبعه الشيطان ماذا يكون نتيجه؟ ﴿مِنَ الْفَآوِيتِ﴾. الذي يتبعه الشيطان هل يمكن أن يدلّه الشيطان على طريق الهداية؟! أم أنه يدلّه على طريق الغواية؟! يدلّه على طريق الغواية بدون شك، وما دام الشيطان معه فإنه يزيّن له الباطل، ويزيّن له الشر، ويكرّه إليه الطاعات، ويكرّه إليه العمل الصالح، ويزيّن له كل شر، ويكرّه إليه كل خير؛ لأنه غاوي ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَآوِيتِ﴾، ثم يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ﴿[الْإِنْفِرَات: ١٧٦]﴾، لو شاء الله تبارك وتعالى لقصّره وجعله مسلوب الإرادة، وصار ألياً؛ لكن الله أكرمه وأعطاه هذه القدرة على أن يسير في طريق الخير، فأخلد إلى الأرض ﴿وَلَنَكْنُهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ﴿[الْإِنْفِرَات: ١٧٦]﴾، إلى شهواتها، ومتّعها، ولذا نذها ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾، ولم يتبع أمر مولاه، واتباع الهوى من أعظم ما يصدّ عن دين الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ ﴿[الْبَنَات: ٢٣]﴾.

قال عز وجل: ﴿فَنَلَّهُمْ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ما هو اللهث؟ اللهث هو: إخراج اللسان من الفم عند العطش، وفي حالة التعب، فالكلب يخرج لسانه، إن حملت عليه بالضرب يخرج لسانه، وإن تركته ورحته يخرج لسانه ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ بِأَيِّتِنَا فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الْإِنْفِرَات: ١٧٦]﴾.

والكلب ضُرب به المثل في هذا لسوئه، فإن فيه من السوء ما لا يعلمه إلا الله، ضُرب الله عز وجل لمن يتكسر ويترك الإسلام والدين ويرجع إلى طريق الغواية مثلاً بالكلب، وفي الكلب من السوء الشيء الكثير: أولاً: من سوء الكلب أنه إذا سَمَّته وأطعمته أكلك، وإذا أجعته وضربته تبعك: ولهذا قالت العرب: (سَمَّنْ كلبك يأكلك، وأجع كلبك يتبعك) إذا أجعته وأهنته بقي في خدمتك، وإذا سَمَّته وأكرمه رجع ليأكلك، وهذا سيئ، والعياذ بالله!

ثانياً- يُضْرَب به المثل في اللؤم والطمع: تقول العرب: (الأم من كلب على جيفة) لو أن هناك جيفة جمل وجاء كلب لوحده، تراه يأكل وينبح، يخاف ألا يأتيه كلب ثانٍ، والجيفة تكفيه وتكفي (مائة) كلب معه؛ لكنه لثيم، لا يريد أن يأكل إلا هو. ولذا فالذي يترك الدين لثيم، فيه من لؤم وحقارة ودناءة الكلب ما فيه؛ لأن الله هو الذي ضرب المثل له: ﴿فَقُلْهُ كَسَلٌ أَلْكَلٌ﴾، حينما ينسلخ الإنسان من الدين، ويترك هذه الكرامة وهذه العزة وهذا السؤدد والمجد لأهل الإيمان والعمل الصالح، فإنه يعيش درجةً أسوأ ما يمكن وهي درجة الكلاب والعياذ بالله! ثالثاً: الكلب من سوئه: أنه يكره المطر: لا يحب المطر، والسبب كما قال العلماء.

لأن الكلب إذا غرق أتن ريجهُ، فإذا ابتل ظهره وصار الماء عليه ظهرت له رائحة كريهة، ولذا أكره شيء عنده إذا رأى المطر، وإذا رأى السحاب بعيداً قام لينبح، ولهذا يقولون: (لا يضر السحاب نباح الكلاب) السحابة في السماء وهو ينبح في الأرض؛ لأنه يريد أن لا تمطر، لا يريد السحابة أن تمطر فينبحها! بعقليته الضالة، وهو من حين أن يرى السحابة فإنه لا يريد المطر حتى لا يتن ريجهُ، ولهذا يقول الشاعر وهو يصف امرأته-لأن المرأة من خصائصها، ومن أبرز صفات المرأة الناجحة ذات التبعل الحسن مع زوجها، أنها تكون ذات رائحة طيبة.

ولذا حُرِّمَ على المرأة المسلمة إذا خرجت أن تتطيب حتى لا تفتن الناس بريحها؛ لكنها إذا دخلت بيتها يُشْرَعُ في حقها أن تكون كالزهرة عبقة الرائحة، حتى إذا مر من عندها زوجها يجد لها ريحاً؛ لكن هذا الشاعر كأن زوجته ما كانت تريده، وما كانت تتطيب، فشم رائحتها وإذا بريحها ليس جيداً- فيقول فيها:

ريحُ الكرائم معروفٌ له أنجٌ وريحُها ريحُ كلبٍ ناله مطرٌ

يقول: ريحها مثل الكلب الذي جاء عليه مطر، فطلعت رائحته من جلده -والعياذ بالله- فما أسوأ من الكلب ريحاً إذا ابتل ونزل المطر، رغم أن المطر رحمة، المطر كل الأرض تفرح به، الأرض تستقبله، والنبات ينبت، والزهور تتفتح، والخيرات تكون موجودة، والحيوانات والبهائم ترعى، أما الكلب فلا، الكلب لا يرعى، من حين أن يرى السحابة في السماء يقوم لينبح، ينبحها حتى لا تُنْزِلَ مطراً على الناس.

فهذا من سوءه، ولذا ضرب الله به مثلاً بأنه يكره الرحمة المهداة، يكره الدين الذي جاء به سيد المرسلين، فهو رحمة وغيث، كما أن المطر غيث الأرض، كذلك الدين غيث القلوب، وهذا الكلب لا يريد ويعرض عنه، وينسلخ منه، فمثله مثل الكلب.

رابعاً. الكلب معروف بالخسة والخيانة: لو جاء لص يريد أن يسرق بيتاً وفيه كلب، فلو أعطى الكلب قطعة لحم فإنه لن ينبح، يقعد ليأكلها؛ لأن ذاك يعطيه؛ فإذا أعطاه اللص لحمة أحسن فإنه يسكت عنه. ثم إن في الكلب خصلة ذميمة وهي: أنه يسهر في الليل وينام في النهار: لا ينام في الليل، طوال الليل ينبح، فإذا جاء وقت صلاة الفجر نام إلى العصر. ويوجد في بعض الناس الآن شبه من هذا الشيء، تجده طوال الليل وهو (يفحط) في الشوارع، ويسهر على الأرصفة، ويتابع الأفلام، ويشاهد المباريات، وإذا قيل له: نم، قال: والله ما جاءني النوم. فإذا أتى وقت صلاة العبادة صلاة الطاعة صلاة الفجر آخر الليل، حين نزول الرب تبارك وتعالى، حين نزول الرحمات نام عن صلاة

الفجر، وعن صلاة الظهر والعصر، واستيقظ قرب الغروب، وقام وأخذ سيارته وذهب مثل كلب البدو، لا ينام في الليل وينام في النهار، هذا - والعياذ بالله - من نكس الفطر، فقد جعل الله الليل سكناً، وجعل النهار معاشاً، فسكن في الليل، وتنتشر في الأرض في النهار؛ لكنك إذا قلبت المسألة، وصرت تسكن في النهار وتنتشر في الليل، فمن الذي ينتشر في الليل؟!

يقول العلماء: لا ينتشر في الليل إلا الهوام والسباع الضارة؛ الحيات، والعقارب، والثعابين، والأسود، والنمور، متى تخرج؟ تخرج في الليل، وتكمن في النهار؛ لأنها إذا خرجت في النهار تعرضت للقتل؛ لأنها مؤذية، فتخرج في الليل. وكذلك هذا الرجل الذي لا يقوم بطاعة الله عز وجل يكمن في النهار، ولا يخرج إلا في الليل، لماذا؟ لأنه حيوان ضار، يذهب فيتعرض لمحارم الناس، ويعتدي على أموال الناس، ويعمل أشياء تضرهم، ولا يجد مجاًلاً لأن يعمل هذا الشر في النهار، فيخرج فيه في الليل، ويتشبه بالبهائم والسباع والحيوانات والحشرات الزاحفة، التي تضر الناس ولا تنفعهم.

وهذه هي الأمثلة الثلاثة التي ضربها الله تبارك وتعالى لهذه الأصناف الثلاثة: الصنف الأول: مَنْ يُعْرَضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٠].

الصنف الثاني: مَنْ لَا يُعْرَضُ؛ يَسْمَعُ وَلَكِنَّهُ لَا يَعْمَلُ: ﴿كَمَثَلِ الْجَحَارِ يُحْمَلُ أَثْقَارًا﴾ [الْجِنَّةُ: ٥].

الصنف الثالث: مَنْ لَا يُعْرَضُ وَيَعْمَلُ؛ لَكِنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ، وَلَا يَثْبِتُ، وَإِنَّمَا يَتَكَسَّرُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٧٦].

أعوذ بالله وإياكم أن تكون مثل هذه الأشياء! ونسأل الله الذي لا إله إلا هو أن ينير بصائرنا، وأن يرزقنا العلم والعمل والثبات عليه حتى نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



الْبَابُ الثَّانِي

أمثلة نبوية من هدي خير البرية

وهذا ذكر لبعض الأمثال المروية عن النبي ﷺ، وهي تقع مواقع الإفهام باللفظ الموجز المجمل، وبيان وشرح وتمثيل يوافق أمثال التنزيل التي وعد الله عز وجل بها وأوعده، وحرم وأحل، ورجى وخوف، وقرع بها المشركين وجعلها موعظة وتذكيرًا للمؤمنين، ودل على قدرته مشاهدة وعيانًا وعاجلاً وآجلاً: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٧].

١ - ضرب المثل بالصراط المستقيم.

عن النواس بن سميان الكلابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعليها ستورٌ مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: هلم - عباد الله - إلى الصراط ولا تتعوجوا، وفوق الصراط داع، كلما أراد الإنسان أن يفتح باباً قال: ويحك! لا تفتح! فإنك إن فتحتَه تلجَه. فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله عز وجل، والأبواب: محارم الله تعالى، والداعي على الصراط: كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق الصراط: هو داعي الله عز وجل في نفس كل مسلم» ^(١).

هذا الحديث من أجمل الأحاديث وأعذبها، وهو كثير الفوائد! والمقصود من ضرب المثل: تبين الفكرة المجملة؛ لأن العمل بالشيء فرعٌ عن تصوُّره، فإذا تصوَّرت الشيء عملته.

(١) أخرجه أحمد [١٧٦٧١] وفي [١٧٦٧٣]، والترمذي [٢٨٥٩]، والنسائي في «الكبرى» [١١٢٣٣]، والحاكم في «المستدرک» (٩٩/١)، والبيهقي في «الشعب» [٧٢١٦]، وقال الألباني: صحيح، انظر حديث رقم: [٣٨٨٧] في صحيح الجامع.

(١) الصراط له معاني وأساليب جاءت في القرآن الكريم،

فالصراط هو الطريق، وكلما جاء الصراط في كتاب الله مفرداً غير مقيد بوصف؛ فإنما يقصد به الصراط المستقيم، والمستقيم وصفٌ للصراط لكن لو قلت: لفظة (الصراط) بلا وصف لا مستقيم ولا أعوج، إذا جاء الصراط مفرداً غير موصوف في كتاب الله عز وجل فيقصد به الصراط المستقيم، وهذا يدل على أن لفظة (الصراط) تحمل في معناها لفظة الاستقامة، كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنْ الصِّرَاطِ لَنُكَرِبَنَّ﴾ [التين: ٧٤]، ناكب: أي منحرف، ولم يقل: (عن الصراط المستقيم)، والسياق أعلمنا أن الصراط هنا هو الصراط المستقيم؛ فالذين لا يؤمنون بالآخرة لا يمكن أن يمشوا على الصراط المستقيم.

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا﴾ [الأنعام: ٨٦]، الصراط هنا المقصود به الصراط الحسي أو المعنوي أو كليهما معاً، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ لا تقعدوا في كل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾، أي: تهددون الذين آمنوا؛ إذ سلخوا الصراط إلى الله ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا﴾، فكلمة ﴿وَتَبْغُوهَا عِوَجًا﴾ دليل على أن الصراط الذين يصدون عنه مستقيم؛ لذلك أرادوا أن يجروا الذين آمنوا إلى غيره من الطرق المعوجة. وكلما اعوج الطريق طال، وأنت إذا رسمت بين أي نقطتين خطاً معوجاً، فالمسافة بين النقطتين إذا كان بينها خط مستقيم مثلاً عشرة أمتار، لكنها على الخط المعوج صارت عشرين متراً.

ولذلك لما وصفوا الخط المستقيم قالوا: هو الخط الفاصل بين أقرب نقطتين، هو هذا المستقيم. إذاً كلما استقام الطريق، قصر وقرب في إيصال سالكه إلى المقصود. ولذلك أمرنا الله عز وجل أن نقرأ في اليوم سبع عشرة مرة: ﴿أَعِدْنَا الصِّرَاطَ لِلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الفاتحة: ٦] لماذا؟ لأن الصراط المستقيم هو أقصر طريق موصول إلى المقصود، كلما كان الطريق معوجاً كلما طال على سالكه، لذلك قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَأَتَّبِعُوهُ وَلَا

تَنبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥٣]﴾. والصراط: وصف بالاستقامة في آيات كثيرة جداً: ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [التوبة: ٧٣]. وقوله ﴿تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. وقوله ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [البقرة: ١٧٥]. آيات كثيرة فيها ذكر الصراط المستقيم، أو ما يقوم مقام الاستقامة، كقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥] فـ﴿السَّوِيِّ﴾ هنا: بمعنى المستقيم أيضاً. وفي سورة ﴿صَّتْ﴾ في الآيات التي تذكر تسور الخصمين على داود: ﴿وَهَلْ أَنتَكَ نَبَوًّا أَلْخَصِمَ إِذْ سَوَّرُوا الْيَحْرَابَ﴾ [١١] إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاجْتَمَعَتْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ إِلَى سَوَاءٍ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢١، ٢٢]، فكلمة ﴿سَوَاءٍ﴾ هنا هي مثل ﴿السَّوِيِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ وهي مثل كلمة ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ب. أوصاف الصراط المستقيم.

إن الله تبارك وتعالى أمرنا أن ندعوه، فنقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ له أوصاف وميزات: منها: أنه مستقيم. فتصور رجلاً أعمى لا يبصر، ووضعت قدميه على هذا الصراط، وقلت له: يا بني! امش، لا تنحرف. رغم أنه أعمى؛ فسيصل فهذا هو الحق ليس به خفاء، فدعني من بُنَيَات الطريق (بنيات الطريق) هي الطريق المعوجة، والبصير يتوه في الطريق المعوج، والأعمى لو صفت قدميه على طريق مستقيم لمضى وهو أعمى ووصل، فكيف إذا كان مبصراً؟! فلا يضير أن يكون الطريق طويلاً ما دام مستقيماً. وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره -وهو حديث صحيح أيضاً- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض خطاً

طويلاً، وخط حوله خطوطاً قصاراً، ثم قال: هذا صراط الله^(١) طویل، لكنه مستقيم، من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة هو صراط واحد، قد فُتيت فيه الأمم، ومات فيه ألوف النبلاء، بل ملايين النبلاء، ولا يزال في الطريق بقية، لا تسقط الراية منه، إنها يسلم بعضهم الراية لبعض، راية التوحيد. قال: «هذا صراط الله، وهذه صرط الشياطين، على كل صراط شيطان يدعو إليه، ثم تلا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(٢).

وقال أبو محمد^(٣): في شرح حديث النواس بن سمعان: ﴿الْصِرَاطُ﴾: الطريق، والسور: الخائط، يقال: سرت الخائط وتسورته إذا سرت في أعلاه، وجنبنا الصراط: ناحيته، والجمع جنبات، والحد: المقدار، والتناهي المنوع من تجاوزه كما قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

وأصل الحد: المنع، ومنه ضرب الحد، وهو عدد ومقدار منع الله من تجاوزه، وحدود الدار هو المقدار والتناهي الذي لا يتجاوزها صاحب الدار، ويسمى البواب حداً لأنه يمنع من الدخول، وتقول: دون ذلك الأمر حدد، أي مانع قال زيد بن عمرو بن نفيل: سبحانه ثم سبحاناً نعوذ به، فقبلنا سبج الجودي والحمد لا تعبدن إلها غير خالقكم وإن دعيتم فقولوا دونه حدد وهذا مثل في وضوح الحق وظهور معالم الإسلام لمن أراد قصدها، وعدل عن طريق الشبه والريب مفارقاً لها.

(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والدارمي (٢٠٢) والنسائي في «الكبرى» [١١١٠٩] والحاكم في المستدرک (٣٨٣/١) والبيهقي في «شرح السنة» (١٩٦/١).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٥/١) (٤١٤٢) وفي (٤٦٥/١) [٤٤٣٧]، والدارمي (٢٠٢)، والنسائي «الكبرى» [١١١٠٩]، والحاكم في المستدرک (٣٨٣/١)، والبيهقي في شرح السنة (١٩٦/١).

(٣) كلما قلت: قال: أبو محمد... فإنني أقصد أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الراهري في كتابه «أمثال الحديث» لذلك فانتبه أكرم مني الله تعالى وإياك.

٢ - عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «الاحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهاً لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استترن منه، وأعرض عنه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى فيوشك أن يقع فيه، ولكل ملك حمى، وحمى الله محارمه» (١).

قال أبو محمد: الحمى: المكان المعشب الذي يمنع مالكة من تطرقه وقوله: فمن اتقى الشبهات استترن منه وأعرض عنه: تمثيل، ومعناه ترك الإنسان ما يريه إلى ما لا يريه، وجعل الفعل للشبه على التوسعة، ومثله في كلام العرب كثير.

قال الشاعر:

وفارقني قرين السوء لما رأيت الرشد فارتقت القرينا

أراد جهل الشباب، فأوجب له الفعل في حال ولنفسه في حال، والجهل لا فعل له، وإنما الفعل للجاهل.

٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى نبي الله ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثّل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله (٢).

(١) أخرجه البخاري [٥٢]، [٢٠٥١] ومسلم [٤١٠١]، [٤١٠٢]، وفي [٤١٠٣]، وفي [٤١٠٤]، والبيهقي في «شرح السنة» (١٢/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٣/٩) [٧٢٨١]، «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة»، باب الإقتداء بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَجَعَلْنَا الْإِسْلَامَ إِيمَانًا﴾، قَالَ أَيْمَةُ نَفْتِدِي بِمَنْ قَبَلْنَا

قال أبو محمد: المأدبة: الوليمة وفي حديث ابن مسعود: «إن هذا القرآن مأدبة الله»
ويروى مأدبة الله، بفتح الدال . قال لي أبو موسى الحامض: من روى هذا بضم الدال فإنما
أراد الوليمة، ومن رواها بفتح الدال أراد أدب الله عز وجل الذي أدب به عباده.
وقال أبو محمد: قوله: «القلب يقظان» تمثيل، ويراد به حياة القلب وصحة خواطره،
ويقال: رجل يقظ ويقظ إذا كان حديد القلب ذكياً، وهذا مثل لدعوة النبي ﷺ،
والفوز بالاستجابة لها، والوصول إلى الجنة بها: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يُونُس: ٢٥] .

٤ - عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما
بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم إني رايت الجيش بعيني وإني أنا النذير
العريان، فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فادلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا وكذبت
طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصباحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من
أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»^(١).

قال أبو محمد: سمعت أبي يقول: النذير العريان الذي قد ظهر صدقه ولا أدري عمن
حكاه وإلى من أسنده، إلا أني سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السري يقول: عري الأمر إذا
ظهر، ويقال: الحق عار أي ظاهر مشرق مشرف، كما قيل: الحق أبلج من بلجة الصبح.
قال فند الزماني:

فلما صرح الشر وأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث بدا والليث غضبان

وَيَقْتَدِي بَنَاتُ مَنْ بَعَدَنَا وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ ثَلَاثٌ أَحْبَبُّنَ لِنَفْسِي وَلَا أَخَوَانِي هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا، وَيَسْأَلُوا عَنْهَا
وَالْقُرْآنَ أَنْ يَتَعَلَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ .
(١) أخرجه البخاري [٦٤٨٢]، ومسلم [٢٢٨٣]، وأبي يعلى [٧٣١٠]، وابن حبان [٣].

وقال الخطيم:

وقال وقد مالت بهم نشوة الكرى نعاسا ومن يعلق سرى الليل يكسل
أنخ نعط أنضاء النعاس دواءها قليلاً ورفه عن قلائص ذبل
فقلت له كيف الإناخة بعدما حدا الليل عريان الطريقة منجل
وأنشدني بعض شيوخنا عن المازني، عن الجواداني قال: أنشدني بشار:

أسرت وكم تقدم من أسير يزين بوجهه عقد الأسار
ككعب ويسطام بن قيس أصيبا ثم ما دنسا بعار
فكيف ينالني مالم ينلهم أعز نظراً فإن الحق عار

والطائفة من كل شيء قطعة منه، تقول: طائفة من القوم، وطائفة من الليل، كما قال الله عز وجل ﴿وَلَطِيفَةٌ بَيْنَ الَّذِينَ مَلَكَ﴾ [الأنعام: ٢٠٠]: وطائفة من الذين معك المزمّل وأدنى ما يقع اسم الطائفة واحد، وهذا القول للشافعي رحمه الله في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقد قال ذلك غير الشافعي، والنذير بمعنى المنذر، كما قال: سميع بمعنى مسمع، وأليم بمعنى مؤلم، ووجيع بمعنى موجع، قال عمرو بن معد يكرب:

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع يريد الداعي المسمع

وقوله: أدجوا، الإدلاج من أول الليل، تقول من ذلك: أدلج يدلج إدلاجاً، والإدلاج - بتشديد الدال - من آخر الليل، تقول منه: أدلج يُدلج إدلاجاً واسمه الدلجة.

٥ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش والذباب يقتحمون فيها، فإنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»^(١).

(١) أخرجه البخاري [٣٤٢٦]، ومسلم [٦٤٨٣]، والترمذي [٢٨٧٤]، والبيهقي في «شرح السنة» (١/١٩٧).

قال أبو محمد: استوقد بمعنى أوقد كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب، قال الله عز وجل: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

وقال الغنوي:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
والحجز واحدتها حجة، تقول: حجة وحجز وحجزات، وهي معقد الإزار
وحيث يشني طرفه، قال النابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباب
وهذا تمثيل من أوجز الكلام وأبلغه وأشدّه اختصاراً تقول: أخذت بحجزته عن
كذا إذا صددته عنه ومنعته منه، وتقول: أخذت بناصيته إلى كذا إذا قدته إليه وقهرته عليه
قال الله عز وجل: ﴿تَمَّيْنِ ذَاتَيْكَ إِلَّا هُوَ أَخِذْ يُنَاصِيهَا﴾ . أي هو قادر عليها، مالك لها .
والناصية تنتهي شعر الرأس مما يلي الوجه وقال: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي
وَالْأَفْئَامِ﴾ [التجن: ٤١]، أي يساقون إلى النار قهراً . ويقول القائل: ناصيتي بيدك، في
معنى الطاعة والانقياد . وقال الفرزدق :

عشية أعطتنا عمان أمورها وقدنا معداً عنوة بالخزائن
يريد أنهم غلبوهم وساقوهم قهراً . وقوله: «أنا أخذ بحجزكم عن النار» . يقول:
أحذركموها، وأصدكم عنها، وأرغبكم في الجنة ونعيمها، وأنتم في غفلة ساهون لا
تشعرون، كما يفتح الفراش النار وهو لا يشعر، لميلكم إلى الدنيا وزهرتها، وإيثارك
لها على ثواب الله تعالى وما عنده، الذي هو خير وأبقى، فهذه موعظة لبعض من أجابوا
الدعوة، ويحتمل أن يكون وعيداً لمشركي قريش .

٦ - عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثلني ومثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب الأرض، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشريوا ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة أخرى منها الماء، وهي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

قال أبو محمد: الغيث اسم عام للمطر يغيث الله به عباده، ويصيب به مواقع النفع لهم، تقول منه: غيثت الأرض فهي مغیثة، والكلأ: الحشيش، قال صاحب كتاب العين: هو اسم لرطبه ويابس. قال: والعشب لا يكون إلا رطباً، وقال أبو زيد الأنصاري: الكلأ كله ما دام رطباً عشبته وبقله، وهو مهموز، والجمع الأكلاء ممدود، يقال: أكلأت الأرض فهي مكlette، وأكلأت الأرض وأعشبت، وأكلأ المال وأعشب، والناس مكلثون ومعشبون، وقد بدأ الإكلاء والإعشاب والإبقال.

فأما ذكار الكلأ: فعشب وهو ما غلظ منه وعظم، والبقل ما لأن منه ودق وهذا مثل للنبي ﷺ في إبلاغه عن الله عز وجل، ودعائه إلى سبيله، وأنه بُعث رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ومثل ذلك بالغيث الذي ينشر الله به رحمته في الأرض ويحيي به الأنعام والحرث، والذين استمعوا قوله وشاهدوا أمره في اختلاف مذاهبهم وطرائقهم ببقاع الأرض التي يختلف تربها وأماكنها، فمنها ذات الرياض المعشبة الكثيفة التي يكثر خيرها ويعم نفعها، ومنها الأماكن ذات الغياض والغدران والنقر والقلات، وغير ذلك من الأماكن التي يستنقع فيها الماء؛ فيرد إليها الناس والأنعام، ومنها ما لا يتعلق من المطر إلا بمروره عليه، وهو مثل لمن فقه عن الله عز وجل وتفقه لما أمر به الرسول ﷺ فعلم وعلم وعمل، ومثل للحامل

(١) أخرجه البخاري [٧٩]، ومسلم [٢٢٨٢]، والبخاري في «شرح السنة» (١/٢٨٨).

علمه إلى من هو أوعى منه، كما قال في الحديث الآخر «هرب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه»^(١) ومثل للسامع المعرض المحروم . والأجاذب - فيما أحسب - جمع أجذاب، أو يكون جمعاً لأجذب، وهذا - فيما أحسب - ولا أحقق - سمعت الزجاج يقول: جذبت الأرض وأجذبت إذا لم تنبت شيئاً وسمعت ابن دريد يقول: أرض جذبة إذا كانت قليلة النبات.

٧ - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»^(٢).

قال أبو محمد: واتفقت ألفاظهم في ضم الميم من قوله «مهداة» إلا ابن البرقي قال: «مهداة» بكسر الميم، من الهداية، وكان ضابطاً فيهما متصرفاً في الفقه واللغة، والذي قاله أجود من الاعتبار، لأنه بعث ﷺ هادياً، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وكما قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٤٤]، ﴿وَلِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وأشباه ذلك. ومن رواه بضم الميم إنما أراد أن الله عز وجل أهده إلى الناس وهو قريب.

٨ - عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير قد أثر الشريط في جنبه فقلت: لو نمت يا رسول الله على ما هو ألين من هذا، فقال: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راجٍ مريض فلاة فرأى شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها»^(٣).

وهذا مثل في سرعة انقطاع الدنيا بصاحبها، وإن الكائن واقع.

(١) صحيح انظر حديث رقم [٢٣٤٥] في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١/ ٤٤) وقال صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٢٣٤٥].

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد [٢٧٤٤]، وابن ماجه [١٣٧٦]، والترمذي [٢٣٧٧]، والبيهقي في شرح السنة (٢٣٦/ ١٤) وصححه إسناده الشيخ / أحمد محمد شاكر.

وقال العدوي:

يا أيهذا الذي قد غره الأمل ودون ما يأمل التنغيص والأجل
الا ترى أنما الدنيا وزينتها كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دول
تظل تفرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له عيش ولا جدل
كانه للمنايا والردى غرض تظل فيه سهام الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يتبعها وكل عثرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه والقبر وارث ما يسعى له الرجل

٩ - عن المستورد بن شداد، عن النبي ﷺ مثله . قال: وإني لفي ركب مع النبي ﷺ إذ مر بسخلة منبوذة فقال: « اترون هذه هانت على أهلها ؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها »^(١).

قال أبو محمد: السخلة: ولد الشاة، وهي اسم يجمع الذكر والأنثى، والجمع سخل، وقالوا: سخلة، والمنبوذة: الملقاة، يقال: نبذت الشيء أنبذه إذا ألقيته.

١٠ - عن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل المؤمن كمثل النحلة، أكلت طيبا ووضعت طيبا، وإن مثل المؤمن مثل القطعة الجيدة من الذهب، أدخلت النار فنفخ عليها فخرجت جيدة »^(٢).

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد [١٨١٧٦]، وفي [١٨١٨٣]، وفي [١٨١٨٤]، وابن ماجه [٤١١١]،
والترمذي [٢٣٢١]، والبخاري في «شرح السنة» (١٤ / ٢٢٧) حسن إسناده أحمد شاكر.
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢ / ١٦٢) [٦٥١٤]، وفي (٢ / ١٩٩) [٦٨٧٢]، وهو صحيح لغيره وهذا إسناده
ضعيف. لجهالة أبي سبرة، والبزار في مسنده (١ / ٣٧٥)، والرامهرمزي في «الأمثال» (١٠٠ / ٢-١)،
والأصبهاني في «الترغيب» (١١ / ٢) وقال الألباني: حسن انظر حديث رقم: [٥٨٤٦] في «صحيح
الجامع».

قال أبو محمد: هذا مثل للمؤمن في صحة عقده، وعهده، وسره، وعلايته، وسائر أحواله، ومثل بالنحلة تارة، وبالقطة من الذهب تسبك، فيعود وزنها مثله قبل سبكها لصفاتها وخلوص جواهرها لأن الخالص من الذهب لا يحمل الخبث، ولا يقبل الصدأ، ولا تنقصه النار، ولا يغيره مرور الأوقات، وكذلك المؤمن في حال منشطه ومكرهه، وعسره ويسره على بينة من ربه، ويقين من أمره، لا ينقصه الاختبار، ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تفرق الأحوال، والذهب أسنى الجواهر وأشرفه، ويقال للشيء في بلوغ الغاية في تفضيله وشرفه وخطره كأنه الإبريز الخالص، وما هو إلا الذهب الأحمر.

وقال بعض الشعراء:

كالخالص الإبريز إن لم تجله فجلأوه فيه وإن صحب الأبد
لا يستحيل على الليالي لونه أنى وجوهه شهاب يتقد
وقال آخر:

لا يعلق العار جنبي إن رميت به نأيت عنه كما لا يصدا الذهب
وحدثني عبدان بن أحمد بن أبي صالح صاحب التفسير، عن عمرو بن محمد الزنبقي البصري، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء قال: من أحب أن ينظر إلى رجل صيغ من ذهب فلينظر إلى الخليل بن أحمد، ثم أنشأ يقول:

قد صاغه الله من مسك ومن ذهب وصاغ راحته من عارض هطل
والنحلة كريمة تغتذي بالطف الغذاء وأشرف ما يغتذي به ذو حياة، وتمج العسل، وهو أطيب طعام وأعذبه، وإليه المثل في الحلاوة التي هي أعجب الطعوم مذاقا، وأفضلها مأكولا ومشروبًا، وأوقعها من النفوس مواقع الغاية. ويقال: إنها بإذن الله وقدرته تحمل العسل في أفواهها، والشمع على أفخاذها وظهورها. وتقول: نحلة للذكر والأنثى، والجمع نحل، والنحل مذكرات ومؤنثات، ويقال للنحل: ذباب الخصب، وذباب الربيع

. أفرد لها هذا الاسم لشرفها، مقرون بشرف الوقت الذي تنتشر فيه، وهو الفصل الذي يكثر فيه الذباب والخصب والخير والمرعى . وسمي المعتد من الرجال السيد المؤتمر له يعسوباً تشبيهاً بיעسوب النحل، وهو أميرها . وفي الحديث: «علي يعسوب المؤمنين»^(١). أي سيدهم . والمال يعسوب المنافقين . ووقف علي عليه السلام على عبد الرحمن بن عتاب يوم الجمل وهو مقتول، فاسترجع ثم قال: هذا يعسوب قريش . أي سيدهم . واختلفوا في اليعسوب فقال بعضهم: هو نحلة ذكر أكبر من الإناث، يجتمع إليه النحل ويتفرق عنه، وهو مقيم لا يبرح، فإن خرج خرجن معه، وإن غاب طلبته، وإن ضاع تمزقن وتشتتن، ولم يصلحن إلا به وقال بعضهم: بل هو الأنثى وتسمى الأمراء، والنحل يسمى النحال وذكر النحل في أشعار العرب كثير لعجيب صنعته، وجليب ما يخرج الله تعالى من بطونها . قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَتُوكَ وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الشَّرَئِزِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهِنَّ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

١١ - عن ابن عمر، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جواراً فقال: «إن من الشجر كالرجل المؤمن»، فأردت أن أقول: هي النخلة، فنظرت في وجوه القوم فإذا أنا أحدثهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي النخلة»^(٢).

قال الشيخ سعيد عبد العظيم: ولا مانع من ضرب الأمثال وتشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [يونس: ٢٤].

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٢٤٤) وقال حديث منكر [٣٨٠٥] ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع».

(٢) أخرجه البخاري [٧٢]، وفي [٢٢٠٩]، ومسلم [٧٢٠١]، وفي [٧٢٠٢]، وفي [٧٢٠٣]، والترمذي [٢٨٦٧]، والبخاري في «شرح السنة» (٣٠٧/١).

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم مِّمَّا آتَتْكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الْحَجَرَاتُ: ١٢] وكقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَوِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالْمُظْلُومُ﴾ [الْبَنَاجِيُّ: ٧٣]. والأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزُّرَّ: ٢٧]. وقال: ﴿وَقَالُوا أَلَمْ نَكُنْ لَكَ آيَةً فَذَرْهُمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [التَّحْكِيكَةُ: ٤٣]. وضرىها النبي ﷺ في حديثه واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة ويستعين بها الربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق ووسائل التربية في الترغيب أو الترهيب في المدح أو الذم.

وقوله: «لا يتحات ورقها» يعني: لا يتساقط كما يتساقط ورق الشجر، وورقها:

خوصها، وأصل الحت: الفك

قال الشاعر:

تحت بقرنيها برير أراكه وتعطو بظلفيها إذا الغضن طالها

وسمى الخوص ورقاً كما سمي النخلة شجرة. وفي هذا كلام بين الفقهاء، والنخلة سيدة الشجر، ضرىها الله تعالى مثلاً لقول لا إله إلا الله، فقال ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٤]، ومثلها رسول الله ﷺ بالرجل المؤمن القوي في إيمانه، المنتفع به في جميع أحواله. والعرب تعظمها ويكثر في أشعارهم ذكرها. وزعم قوم ممن يتعمق في الاشتقاق أن اسمها مشتق من الانتخال، وهو التصفية والاختبار. قالوا: فهي صفوة، ومختار المعاش. وهذا قول نادر شاذ. تقول: نخلت الشيء إذا صفيته، ونخلت الكلام والشعر إذا هذبته ولخصته.

قال الشاعر:

تنخلتها مدحاً لقوم ولم أكن
غيرهم فيما مضى أتخل
وبه سمي المتنخل الشاعر، ويقول: أشد من نخلة، وأعظم برئة من نخلة، وتوصف
المرأة الجزلة بها، وتوصف الفرس بجذعها، والقمر حين يبدو بعرجونها، ويشبه الخلق
في تمامه وشطاطه بمجالها، ويسمى طلوعها الكافور، وجمارها الإغريض - وهو الفضة،
ويقال: إنه ليس في المأكول أنظف منها. وقال رجل من العرب يصف نسوة: كلامهن أقتل
من النبل، وأوقع في القلوب من الويل في المحل، وفروعهن أحسن من فروع النخل.

وقال الشاعر:

كان فروعهن بكل ريح عذارى بالذوائب ينتصينا
وقال العرجي: حوراء يمنعها القيام - إذا قعدت - تمام الخلق والبحر كالعذق في
رأس الكتيب نها طولاً ومال بفرعه الوقر وقال الحارث المخزومي: كالعذق زعزعه رياح
حرجف فاهتز بعد فروع قنوانه ويقال في بلوغ الغاية في صفاء الشيء وليانه ونخه: ما هو
إلا جمارة، وكأنه جمارة النخل، كما قال الجهني: أنتم جمارة من هاشم والكرانيف سواكم
والخطب.

١٢ - عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى»^(١).

قال أبو محمد: التواد، والتحاب، والترحم، والتواصل مصادر، من قولك: تحاب
الرجلان، وتوآداً، وتواصلا، وتراحما، وهو أن يقع فعل المحبة، والمودة، والوصلة، والرحمة

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٦٦٧٨)، وفي (٦٦٧٩)، وفي (٦٦٨٠)، وفي (٦٦٨٢)، والطيالسي
رقم [٧٩٠].

من أحدهما مثل ما يقع من الآخر وشبه المؤمنون في هذه الخصال وإن تغيرت أجسامهم وتباينت بالجسد الواحد الذي يألم جميعه بما يألم بعضه، فكذلك المؤمنون متكافئون في السراء، ومشترون في الشدة والرخاء.

١٣ - عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثل المنافق كممثل الشاة العائرة بين الغنمين، تكر إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيها تتبع»^(١).

قال أبو محمد: قوله «بين الغنمين» يريد بين القطيعين من الغنم، ويقال: عارت الشاة إذا فارقت جماعة الغنم وعدلت إلى بعض النواحي ومنه قيل للذي يعير نحو الباطل ويفارق أهل الاستقامة والحق: العيار. قال أوس بن حجر: ليث عليه من البردي هبرية كالمرزباني عيار بأوصال يصف أسداً يعير بأوصال ما يفترسه، ويروى عيال، يعني يتبختر في مشيته بالعشايا. ويقال: قصيدة عائرة أي سائرة.

وقال بعض الرواة: ما قالت العرب بيتاً أعير من قوله:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لاثماً

فصاحب النفاق يعير إلى أهل الإيمان تارة، وإلى المشركين أخرى، متردد، كما قال الله تعالى: ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

١٤ - عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كممثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة، خبيث طعمها، خبيث ريحها»^(٢).

(١) أخرجه مسلم [٧١٤٤] وأحمد [٥٠٧٩]، والبخاري في «شرح السنة» (١١/١١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/١٩٠)، وفي (٩/١٦٢)، و مسلم (٢/١٩٤)، والبخاري في «شرح السنة» (٤/٤٣١).

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: الأثرجة، بلانون، والذي يقوله العامة بالنون خطأ، وليس في المشمومات شيء يجمع طيب الرائحة وطيب الطعم غيرها، والريحان اسم يجمع المشمومات من النبات سوى الشجر هكذا قاله الحامض. وقال صاحب كتاب العين: الريحان: أطراف كل بقلة طيبة الريح إذا خرج عليه أوائل النور، وقال أبو محمد: الريحان: فعلان من الريح، والريح والروح واحد، وإنما صار الواو ياء في الريح لأن الحرف الذي قبله مكسور، وتصغيرها رويحة، وتقول: أروح الماء وغيره إذا تغير أخبرنا أبو خليفة، عن المازني، عن أبي زيد قال: يقال: انشق الصبح عن ريحانة، إذا انشق عن نسيمه، والنسيم: الرائحة الطيبة تجدها. تقول: انشق النهار عن أطيب أوقاته.

١٥ - عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن كمثل الإبل المعلقة، إذا تعاهد صاحبها عقلها أمسكها، وإذا أغفلها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن يقرؤه آناء الليل، وآناء النهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه» (١).

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: قوله «إذا تعاهد صاحبها عقلها»، منهم من يقول: بضم العين، ومنهم من يقول: بفتحها، وأهل العربية يختارون الفتح، وهو مصدر قولك: عقلت البعير أعقله عقلاً، إذا شددت يده بعقال، والعقل: الحبل الذي تربطه به، ومن قال بالضم فإنما يحتاج معه إلى حركة القاف ليكون جمعاً للعقال، كما تقول: حمار وحمر، وعقال وعقل، وجراب وجرب، وتسكين القاف خطأ، وهو لفظ المحدثين.

١٦ - عن أنس وعمار بن ياسر قال النبي ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره» (٢).

(١) أخرجه البخاري (١٩٣/٦)، وفي [٥٠٣١]، ومسلم [١٧٨٩]، والبخاري في «شرح السنة» (٤/٤٩٤)، وابن ماجه [٣٧٨٣].

(٢) أخرجه أحمد [١٢٣٥٢]، والتِّرْمِذِيُّ [٢٨٧٣]، وابن حبان [٢٣٠٧]، وانظر «صحيح الجامع»: [٥٨٥٤]

قال أبو محمد: إن تعلق متعلق بظاهر هذا الحديث فادعى عليه تناقضاً في قوله **كَلِمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى**: «خير امتي قرني، ثم الذين يلونهم»^(١). فإن المعنى في قوله «لا يدرى أوله خير أم آخره» إن الخير شامل لها، وإن كان معلوماً أن القرن الأول خير من الثاني، وهذا كما قال الله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [الفتح: ١١٠].

وقال الشاعر يذكر امرأة أعجبه منها بيانها وطرفها وثغرها:

أشارت بأطراف لطاف وأجفان مراض وألفاظ تنعم بالسحر؛ فو الله ما أدري أفي الطرف سحرها، أم السحر منها في البيان، وفي الثغر: يريد أن السحر في جماعتها.

١٧- عن عبد الله بن مسعود، قال: خط لنا رسول الله **كَلِمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى** خطاً مربعاً، وخط وسط الخط المربع خطاً وخطوطاً إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع، وخطاً خارج الخط المربع، ثم قال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الخط الأوسط الإنسان، والخطوط التي إلى جانبه الأعراض، والأعراض تنهشه من كل مكان، إذا أخطأه هذا أصابه هذا، والخط الرابع: الأجل المحيط به، والخط الخارج البعيد: الأمل»^(٢).

١٨- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **كَلِمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى**: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ، لَا يَغْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِذَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ، يُخْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٣) وفي رواية «مثل الجلّيس الصالح مثل الداري إن لم يحرك من عطره علقك من ريحه».

(١) أخرجه البخاري برقم [٣٦٥٠]، ومسلم برقم [٢٥٣٥].

(٢) أخرجه البخاري (٨٩/٨)، وابن ماجه [٤٢٣١]، والترمذي [٢٤٥٤].

(٣) أخرجه البخاري (٦٣/٣)، وفي (٩٦/٧)، ومسلم (٢٠٢٦/٤).

والداري: العطار، ونسب إلى دارين موضع بالبحرين، يؤتى منه بالطيب وأنشدنا أبو خليفة، عن ابن عائشة: إذا التاجر الداري جاء، بفأرة من المسك راحت في مفارقهم تجري، وقوله «إن لم يحذك» يريد: إن لم يعطك، والإحذاء: الإعطاء، يقال: أحذيت، فلانا إحذاء، إذا أعطيته، والحذيا: العطية، والكير: كير الحداد، ولا يقال: كور، إنما الكور رحل الناقة وكان أبو عمرو الشيباني يفرق بين الكير والكور فيقول: الكير: زق الحداد، والكور: هو المبني من الطين وهذا قول أبي عمرو وحده.

١٩ - عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «من شق عصا المسلمين فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»^(١).

قال أبو محمد رحمه الله: شق العصا بمعنى مخالفة الإسلام والخروج على أهله بالعصيان. يقال: شقت عصا المسلمين إذا اختلفت كلمتهم، وتبدد جمعهم، والشقاق: المخالفة في التنزيل قال الله عز وجل: ﴿يَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِرْقٍ وَشِقَاقٍ﴾ [حَت: ٢]، والربة: القلادة، ولا قلادة هناك، وإنما هو على التمثيل، وهذا من الكناية التي قد يدل ظاهرها على موقع المراد منها.

٢٠ - عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة تحت ظلال السيوف»^(٢).

- (١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٥/١١) [١٠٩٤٧]، وقال الحافظ العراقي في تخريج «أحاديث الإحياء» (٧١/٥) أخرجه الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد، وقال الهيثمي في المجمع (٣٦٨/٢) رواه البزار والطبراني في «الأوسط» وفيه خليل بن دعلج ضعفه أحمد، ويحيى، والنسائي، وقال أبو حاتم صالح ليس بالتين، وقال ابن عدي عامة حديثه تابعه عليه غيره وقال النسائي: ليس بثقة، وعده الدارقطني في جماعة من المتروكين، وقال الألباني: خليل بن دعلج متروك. وصححه الألباني بلفظ [من فارق الجماعة شراً فقد خلع رابطة الإسلام من عنقه [٦٤١٠] «صحيح الجامع».
- (٢) أخرجه مسلم (١٥١١/٣) [١٩٠٢]، وأحمد (٤١٠/٤).

قال أبو محمد: وهذا حث منه على الجهاد، ومعناه: أن حامل سيفه في سبيل الله مطيعاً لله به يصل إلى الجنة.

٢١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، إلا إن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة»^(١).

قال أبو محمد رحمه الله: هذا من أحسن كناية وأجزها وأدلها على معنى لا يتعلق بشيء من لفظه، ومعناه: من خاف النار جد في العمل، ومن جد في العمل وصل إلى الجنة، فجعل خائف النار، بمنزلة المسافر الذي يخاف فوت المنزل، فيرحل مدجاً. والإدلاج: السير من أول الليل وجعلت غالية لشرفها وسروها، ولأنها لا تنال بالهوينى والتقصير، إنما تنال بمجاهدة النفس، ومغالبة الهوى، وترك الشهوات.

٢٢- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إياكم وخضراء الدمن»، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء هي منبت السوء»^(٢).

قال أبو محمد رحمه الله: ومعنى ذلك أن الريح تجمع الدمن، وهي البعر، في المكان من الأرض ثم يركبه السافي، فينبت ذلك المكان نباتاً ناعماً غضاً، فيروق بحسنه وغضارته، فتجسيء الإبل إلى الموضع وقد أعيت، فربما أكلته الإبل فتمرض. يقول: لا تنكحوا المرأة لجمالها، وهي خبيثة الأصل، لأن عرق السوء لا ينجب معه الولد.

(١) صحيح: أخرجه عبد بن حميد (١٤٦٠) والترمذي [٢٤٥٠]، والحاكم في «المستدرک» (١/ ٣٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٧١)، والبخاري في «التاريخ» (١/ ٢/ ١١١/ ١٨٧٣)، والعقيلي في «الضعفاء» [٤٥٧]، والقضاعي (١/ ٣٣)، وأبو نعيم في «الجنة» (٨/ ٢)، وقال الألباني: وبالجملة، فالحديث بهذا الشاهد صحيح وانظر حديث رقم: [٦٢٢٢] في صحيح الجامع.

(٢) ضعيف جداً: قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٦٩) ضعيف جداً رواه القضاعي في «مسند الشهاب» ق (٨١/ ١)، وأورده الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٣٨)، وقال مخرجه العراقي: رواه الدارقطني في «الأفراد» والراهمرمزى في «الأمثال» من حديث أبي سعيد الخدري، قال الدارقطني: تفرد به الواقدي وهو ضعيف. وذكر نحوه ابن الملقن في «خلاصة البدر المنير» ق (١١٨/ ١) قلت: بل هو متروك فقد كذبه الإمام أحمد والنسائي وابن المديني وغيرهم.

وقال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

٢٣- عن أنس، قال: كان النبي ﷺ في بعض أسفاره، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أنجشة رويدا، سوقك بالقوارير»^(١).

قال أبو محمد رحمه الله: يقول ﷺ: «اجعل سيرك على مهل، فإنك تسير بالقوارير»، فكنى عن ذكر النساء بالقوارير، شبههن بها لرقتهن، وضعفهن عن الحركة. ورويد: تصغير رود. والرود: مصدر فعل الرائد، وهو المبعوث، ولم يستعمل في معنى المهلة في السير والحركة إلا مصغرًا منونًا. ومعناه أروود. وذكر صاحب كتاب العين: أنه إن أريد به ترديد الوعيد لم ينون وأنشد:

رويد تساهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه

وهذا قول أكثر العلماء أعني أنه كنى، بالقوارير عن ذكر النساء، وهو قول أبي عبيدة. وقال آخرون: معناه: سقهن كسوقك بالقوارير.

والتشبيه تشبيهان: مطلق ومقيد. فالمطلق: أن يسمى باسم ما أشبهه، أو تجعل له فعله بعينه، كما سميت النساء قوارير لأنهن أشبهن بالركة واللطفة وضعف البنية. والمقيد: أن يظهر حرف التشبيه فيقول: كالقوارير، أو مثل القوارير، أو كأنهن القوارير، وفي التنزيل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الجن: ٢١]، فجاء مطلقًا ومقيدًا. وقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الحافات: ٤٩] و﴿كَأَنَّهُنَّ لَوُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطير: ٢٤]، وهذا وأشباهه من المقيد. ومن المطلق قوله: ﴿وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فأوجب مرور السحاب للجبال وهما متغايران.

(١) أخرجه البخاري [٦١٤٩]، ومسلم [٢٣٢٣]، وابن جبان [٥٨٠٣]، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/١٥٦).

٢٤- عن مرادس الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «يذهب الصالحون أسلافًا، الأول فالأول، حتى لا يبقى إلا حثالة كحثة التمر والشعير، لا يبالي الله بهم»^(١). قال أبو محمد: الحثالة من كل شيء: رذالته.

وقال البغوي في شرح السنة «حفالة التمر: رذالته ومثلها الحثالة والفاء والثاء يتعاقبان، كقوله ثوم وفوم، وجدث وجدف. وقوله: «لا يباليهم الله باله» أي: لا يرفع لهم قدرًا، ولا يقيم لهم وزنًا، يقال: باليت بالشيء مبالاة وبالية وبالة، يقال: ليس هذا من بالي، أي: مما أباليه»

٢٥- عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ، والحسن والحسين على ظهره وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان انتما»^(٢).

قال أبو محمد رحمه الله: هذا من مزاح النبي ﷺ، وهو منقبة تفرد بها الحسن والحسين رضوان الله عليهما. ويتضمن من الفقه إطلاق تشبيه الإنسان بالبهيمة إذا شاركها في بعض فعلها.

٢٦- عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما، ناس معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات، على رءوسهن مثل أسنمة البخت، لا يرين الجنة، ولا يجدن ريحها»^(٣).

أنشدنا ابن المزيان للمتوكل الليثي:

تعطلن إلا من محاسن أوجه فهن خوال في الصفات عواطل
كواس عوار صامتات نواطق بغث الكلام باخلات بواذل

(١) أخرجه البخاري [٦٤٣٤].

(٢) منكر: أخرجه الطبراني (٥٢/٣)، وقال الألباني: «منكر» في «السلسلة الصحيحة» رقم [٢٦٦١].

(٣) أخرجه مسلم (١٦٨٠/٣)، وأحمد (٨٦٥٠)- والبغوي في «شرح السنة» (١٠/٢٧١)، وابن حبان.

٢٧ - عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة»^(١) قال: «الفجر والعصر».

قال أبو محمد: هكذا لفظ الحديث «البردين» وكلام العرب: الأبردان، وهما الغداة والعشي، وهما الأبردان، الفينان، والردفان، والضرعان، والقرنان، والكربان.

٢٨ - عن يعلى العامري، قال: جاء الحسن والحسين عليهما السلام يستبقان إلى رسول الله ﷺ، فضمهما إليه وقال: «الولد مجبنة مبخلة»^(٢).

قال أبو محمد رحمه الله: هذان مصدران من البخل والجبن، ومعناه: أن حب الولد بمنع من بذل المال للإبقاء عليهم، وعن لقاء العدو إشفاقاً من الضيعة لهم.

٢٩ - عن الحارث الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا أمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلاً المسجد وتعدوا على الشرف، فقال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن؛ أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله، كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال هذه داري وهذا عملي؛ فاعمل وأد إلي فكان يعمل ويؤدي إلى غيره سيده فأيكّم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم «بالصلاة»، فإذا صليتم، فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت وأمركم «بالصيام»، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصاة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها،

(١) أخرجه البخاري (١/١١٩)، ومسلم (١/٤٤٠)، وأحمد (٨٠/٤) [١٦٧٧٦]، والبخاري في «شرح السنة» (٢/٢٢٧).

(٢) أخرجه أحمد [١٧٥٩٨]، وابن ماجه [٣٦٦٦]، والحاكم في «المستدرک» (١/٢٠٥)، وقال الألباني: صحيح انظر حديث رقم: [١٩٨٩] في «صحيح الجامع».

وإن ریح الصائم أطيب عند الله من ریح المسك وأمرکم، «بالصدقة» فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم وأمرکم أن (تذكروا الله)، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، قال النبي ﷺ «وإنا أمرکم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم» فقال رجل يا رسول الله وإن صلی وصام؟ «قال وإن صلی وصام، فعدوا بدعوى الله الذي سماکم المسلمين المؤمنین عباد الله هذا»^(١).

٣٠- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمن كممثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل المنافق مثل الشجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد» وفي رواية أن رسول الله ﷺ قَالَ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ، يَفِيءُ وَرِقُّهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكْفِنُهَا، فَإِذَا سَكَتَتْ اغْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَأُ بِإِنْبَاءٍ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَاءً مُغْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»^(٢).

٣١- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء» قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(٣).

(١) صحيح: أخرجه أحمد [١٧٢٠٩]، والترمذي [٢٨٦٣]، وقال حديث حسن صحيح غريب قال محمد بن إسماعيل الحرث الأشعري له صحة وله غير هذا الحديث، والحاكم في «المستدرک» (٤١/٢)، والنسائي، في «الكبرى» [٨٨١٥]، و [١١٢٨٦]، وابن خزيمة [٤٨٣]، و [٩٣٠]، وفي [١٨٩٥]، وقال الألباني: صحيح انظر حديث رقم: [١٧٢٤] في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٤٤]، وفي [٧٤٦٦] الترمذي [٢٨٦٦].

(٣) أخرجه البخاري (١١٢/١)، ومسلم (٤٦٢/١)، والبخاري في «شرح السنة» (١٧٥/٢).

٣٢- عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عملاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط. فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا: لا قال: فإنه فضلي أوتيته من أشاء»^(١).

قال العلامة المباركفوري: قال الطيبي: الأجل: المدة المضروبة للشيء، قال تعالى ﴿وَلْيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى﴾ [نَحْزَافَة: ٦٧]، ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل؛ فيقال دنا أجله وهو عبارة من دنو الموت، وأصله استيفاء الأجل أي مدة الحياة، والمعنى ما أجلكم في أجل من مضى من الأمم السابقة في الطول والقصر إلا مقدار ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب من الزمان.

وقال الحافظ: ظاهره أن بقاء هذه الأمة وقع في زمان الأمم السالفة وليس ذلك المراد قطعاً، وإنما معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم، مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار فكأنه قال إنها بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف إلى آخره، وحاصله أن في بمعنى إلى، وحذف المضاف وهو لفظ نسبة وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى أي مع الرب سبحانه وتعالى^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٣/ ٩٠)، وفي (٤/ ١٧٠)، والترمذي [٢٨٧١]، والبيهقي في «شرح السنة» (٢١٨/ ١٤).

(٢) «تحفة الأحوذني» (٧/ ١٩٠).

الْبَنَاءُ عَلَى الْإِيمَانِ

أمثلة وحكم يومية تخالف العقيدة

والأخلاق والمعاملات الإسلامية

وهذه مجموعة من الأمثال والحكم التي تجري على السنة بعض الناس في حياتنا اليومية ذكرتها بقصد التحذير منها والبعد عنها وعدم الخوض فيها وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [النور: ١٨].

قال العلامة/ أبو بكر جابر الجزائري:

قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُوا عِبَادَ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿

يأمر تعالى رسوله أن يشر صنفًا من عباده بإشر به الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله وهم الذين يستمعون القول من قائله، فيتبعون أحسن ما يسمعون، ويتركون حسنه وسيئه معًا، فهو لاء لهم همم عالية ونفوس تواقه للخير والكمال شريفة، فاستوجبوا بذلك البشري على لسان رسول الله ﷺ والثناء الجميل من رب العالمين إذ قال تعالى فيهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، فحسبهم كمالاً أن أثنى تعالى عليهم. اللهم اجعلني منهم ومن سأل لي وله ذلك (١).

١- اسم النبي حارسه وصاينه؛

بعض النساء إذا رأت من تنظر إلى طفلها وخافت عليه من الحسد قالت هذا المثل وهذا اعتقاد باطل، لأن النبي وهو أفضل خلق الله تعالى لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ إِنَّا أَنَا لَا نَذِيرُ وَكَثِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٨]،

(١) «أيسر التفاسير» (٤١٨/٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الحج: ٢١]، فكيف يجرس النبي ﷺ الأطفال أو يصونهم عما يؤذيهم.

٢ - امسك الخشب،

بعض الناس يعتقدون أن الخشب يمنع الحسد، فإذا ما خاف الحسد قال هذا المثل وهذا اعتقاد باطل لا ينبغي أن يعتقده مسلم عاقل، وإنما إذا خاف أن يعين شيئاً قال «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، اللهم بارك»

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف: ٣٩]، وقال النبي ﷺ للصحابي الذي عان آخر «لا بركة»^(١).

٢ - زرع شيطاني، نبات شيطاني،

من الفلاحين والمزارعين من يقول للزرع الذي نبت بدون أن يتعمد زراعته «شيطاني» وهذا خطأ، فالشيطان لا ينبت الزرع وإنما يقال له «رباني» قال الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ نَزَعْتُمْ نَفْسَكُمْ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَسْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٩﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٧٠﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴾ [الزَّانِعَاتِ: ٦٧، ٦٨، ٦٩].

٤ - يا شمس يا شمس، خذي سنتي الحمار وهاتي سنتي العروسة،

بعض الناس يعتقد أن الشمس تخلق بعض أعضاء الانسان، فإذا ما سقطت سنة، أو ضرس من فم ولده الصغير قال له: خذها وارم بها في عين الشمس وأمره أن يقول هذا المثل، فينشأ الطفل معتقداً أن الشمس هي التي تهب الأسنان.

(١) أخرجه أحمد [١٦٠٢٣]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٢١١ و ١٠٣٣]، وعنه ابن السني [٢٠٢]، والنسائي، في «الكبرى» [١٠٠٣٦]، وابن ماجه [٣٥٠٩]، وابن حبان في «صحيحه» [١٤٢٤] موارد من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أن أباه حدثه.

٥ - خُذِ الشُّرُورَ رَاحَ،

بعض الناس اذا كسر إناء أو كوب قال هذا الكلام، والإناء لا علاقة له بالخير والشر وانما الخير والشر مقدر من قبل الله تعالى ﴿وَإِنْ يَسْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يُزْنِذُ: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدُوكَ الْأَعْيُنُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْهُنْدُ: ٢٦].

٦ - اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ خَيْرًا،

بعض الناس يعتقد أن الضحك الكثير لا بد أن يعقبه هم وحزن وغم فإذا ما ضحك كثيراً قال هذا المثل، وهذا اعتقاد باطل. نعم قد نهى النبي ﷺ عن كثرة الضحك فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ يَأْخُذْ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يَعْلَمَهُنَّ، مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهِنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ» وفي رواية «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِينًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جَوَارَ مَنْ جَاوَزَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْبَلِ الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^(١). والضحك ليس له علاقة بالخير والشر والحزن والغم.

(١) أخرجه أحمد (٣١٠/٢) [٨٠٨١]، والترمذي [٢٣٠٥]، وأبو يعلى [٦٢٤٠]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٥٢]، وابن ماجه [٤١٩٣]، انظر «السلسلة الصحيحة» [٥٠٦]، [٩٣٠] وانظر حديث رقم: [١٠٠]، [٤٥٨٠]، [٧٤٣٥]، [٧٨٣٣] في «صحيح الجامع».

٧ - (هو شؤم) وشه يقطع الخميرة من البيت،

بعض الناس يقولون هذا المثل حينما يأتي إنسان غير مرغوب فيه، أو حينما يروا هذا الشخص بعينه وهذا باطل لأنه من التشاؤم الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا صفرو ولا هامة، فقال أعرابي: ما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها بعير أجرب فيجربها؟ قال: فمن أعدى الأول؟ »^(١).

٨ - اسمع كلام أمك ولا تسمع كلام أبيك،

من الناس من يحتفل بالمولود يوم سابعه ويوزع حلوى على الجيران، ومنهم من يضع المولود في الغراب وهزونه ويقولون هذا المثل. وهذا باطل، والسنة هي العقيدة وهي ذبح شاة عن الجارية وشاتين عن الغلام، ويأكل الناس ويطعمون ويدعون للمولود بالبركة وذلك لحديث النبي ﷺ «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه»^(٢).

٩ - لا بيرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل،

بعض الناس يقولون هذا المثل وهذا باطل واعتقاد خاطيء لأنه لا يستطيع أحد كائناً من كان أن يمنع نزول رحمة الله تعالى قال تعالى ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهُمْ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَدُونٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [قَالَ: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَقْرَبُ بِشَرِّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨].

(١) أخرجه البخاري [٥٧١٧] وفي [٥٧٧٠]، ومسلم [٢٢٢٠]، وأبو داود [٣٩١١]، وابن حبان [٦١١٦].

(٢) أخرجه أبو داود [٢٨٣٨]، والنسائي (١٧٩/٢)، وفي «الكبرى» [٤٥٤٦]، والترمذي [١٥٢٢]، وابن ماجه [٣١٦٥]، وأحمد (٧/٥ - ١٢/٥ - ١٧/٥)، والطيالسي [٩٠٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (١٩١/٦) وانظر «صحيح الجامع» برقم [٤١٨٤].

١٠. يَذِي العلق للي بلا وادان،

بعض الناس يرى رجلاً غنياً، فلا يعجبه ذلك فيقول هذا المثل، وهذا المثل معناه أن الله تعالى ليس حكيمًا في عطائه ومنعه، فيرزق ويعطي من لا يستحق العطاء، ويمنع من يستحقه، وحاشا لله تعالى عن ذلك، وهل هذا القائل أعلم بمن يستحق من الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٢].

١١. رزق الهبل على المجانين،

هذا المثل خاطيء لأن رزق العباد والمخلوقات كلها العاقل منها والمجنون على الله رب العالمين قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هُود: ٦].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: أي: جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها^(١) على الله. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها. ﴿كُلٌّ﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علماً بذواتها، وصفاتها^(٢).

١٢. إحنا بنقرأ في سورة عبس،

هذا مثل يطلقه بعض العامة ويقصدون به عدم الفهم من المتكلم وكأنهم يقولون: هل نحن ننطق بطلاسم لا نفهم ولا تعقل مثل سورة عبس «وهذا لا يجوز لأنه وصف للقرآن

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٣٧٧).

الكريم، بأنه كلام غير مفهوم والله تعالى قد بين أنه قرآن عربي مبين. والله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وجعله هدى وبرهاناً لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [التيسير: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقبض له من العلماء من يفسرونه، ويبلغونه للناس ألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم به الحجة.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدق معنى، وأبين تفسيراً، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواظ والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه، قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان عليه؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(١).

١٣. البقية في حياتك،

هذا المثل يقوله المعزي لمن توفي له قريب أو صديق ويعني بها «أن الميت مات قبل انتهاء أجله، فهو يدعو الله تعالى أن ينقل ما تبقى من السنوات من عمر الميت إلى عمر قريبة أو صديقة هذا، وهذا مثل خاطيء واعتقاد باطل لأنه لا يموت أحد قبل انقضاء أجله» قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال النبي ﷺ:

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٨٢٥).

«إنه ليس شيء يقريكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقريكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته»^(١).

١٤. ربنا افكركم،

هذا المثل يقوله الناس إذا أرادوا أن يخبرهم بموت أحد وهذه كلمة كفرية خاطئة لأن معناها أن الله تعالى كان قد نسي هذا المذكور ثم تذكره، والله سبحانه منزّه عن النقص كالنوم والنسيان ونحو ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ ذِي غَيْبٍ﴾ [نَزَّهَاتٍ: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طٰه: ٥٢]، فينبغي للمسلم أن يطهر لسانه عن مثل هذه العبارات.

١٥. يا رب يا ساتر،

اعتاد بعض الناس إذا دخل بيت أو أي مكان يزوره أن يقول هذا المثل باعتقاده أن ذلك من آداب الزيارة وهذا خطأ لأنه لا يجوز وصف الله بالسائر لأمرين:
الأول- لفظ السائر ليست من أسماء الله ولا من صفاته.

الثاني- السائر هو الحاجز الذي يحجز ما وراءه ولا يجوز إطلاقها على الله.

ولكن الله تعالى سَتِيرٌ وثبت ذلك من حديث يعلى بن أمية عن أبيه: (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز، بلا إزار فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى

(١) قال الألباني: في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨٦٥)، أخرجه الحاكم (٤/ ٢) وابن مردويه في ثلاثة مجالس (١٨٨/ ١-٢) وانظر «الظلال» [٤٢٠]، والحديث حسن على أقل الأحوال كما قال الألباني في الصحيحة (٦/ ٨٦٥)، وانظر «صحيح الجامع» [٢٠٨٥].

عليه ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سَتِيرٌ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسُّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتُرْ»^(١).

١٦. يَا نُورُ عَرْشِ اللَّهِ،

هذا المثل يتردد على ألسنة كثير من المسلمين فيقولونه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا يحتمل أمرين:

الأول- اعتقادهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلق من نور العرش وهذا خطأ لأن رسول الله بشر خلق مثل البشر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَجِدْتُ قَوْمًا كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا﴾ [الأنعام: ١١٠].

الثاني- أن يكون المراد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مصدر نور العرش وهذا باطل لأن الله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَيْفُكُورٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

١٧. دينا موجود،

كلمة ومثل يطلقه بعض الناس وهم لا يتبهنون له وما من مخلوق إلا له خالق وما من موجود إلا له واجد والله سبحانه وتعالى واجد.

١٨. دينا في كل مكان،

هذه الكلمة صحيحة أن قصد قائلها أن الله تعالى في كل مكان بعلمه واحاطته وقدرته كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ وَلَا خُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

(١) أخرجه أحمد [١٧٩٩٩]، وأبو داود [٤٠١٢] و[٤٠١٣]، والنسائي [٤٠٦]، و[٤٠٧]، وقال الألباني: صحيح انظر حديث رقم: [١٧٥٦] في «صحيح الجامع».

وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٧﴾ وَمَا كَانُوا يَشْعُرُونَ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٨﴾ وهذه العبارة خاطئة إن قصد بها معية الذات بمعنى أن الله في كل مكان بذاته لأنه أخبر عن نفسه أنه فوق السموات السبع على العرش فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فهو سبحانه على العرش مستو بكيفية تليق بجلاله وعظمته لا نعلمها.

١٩. أنا عبد المأمور

كلمة ومثل يرددها بعض الناس ومعناها تنفيذ أمر صاحب العمل أو المدير وهي عبارة خاطئة، فأنت عبد للعزیز الغفور قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٨) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٩﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿١٠﴾ [الأنعام: ٥٦، ٥٨]، وقال: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [الحج: ٩٣، ٩٥].

٢٠. رب لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه،

هذا مثل يقوله بعض الناس وهو خطأ، بل يجوز أن تسأل الله تعالى أن يرد عنك القضاء إن لم يكن خيراً فَعَن تَوْبَانٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا التَّوْبَةَ، وَلَا تَزِيدُ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ» (١).

٢١. طور الله في برسيمه،

هذا مثل يضربه بعض الناس لمن لا يفهم ويعنون بكلمة «طور»: ثور وهو فحل البقر» وهذا المثل خطأ لأنه ليس لله تعالى ثور يرعى في البرسيم ونحوه فينبغي أن ننزه ألسنتنا من هذا.

(١) أخرجه أحمد [٢٢٧٤٥]، والحاكم (٤٩٣/١)، والبيهقي في «شرح السنة» (٢/٨١/٤) وانظر «الصحيحة»

٢٢ - دستور ياسيادنا،

مثل يقوله بعض العوام إذا دخل مكانًا مظلمًا أو موحشًا كأنه يستأذن الجن في الدخول وهذا خطأ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، ولكن عليك بالهدي النبوي الكريم عند نزول المكان حتى لا يضرك شيء، فعن خَوْلَةَ بِنْتُ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَجِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (١)(٢).

٢٣ - المرحوم فلان،

كلمة يقولها بعض الناس ولا بأس بها لأن قولهم المرحوم هو من باب التفاؤل والرجاء وليس من باب الخبر والحزم واليقين؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

٢٤ - الزمن شداد

هذا الكلام من باب السب والقدح في الزمن وهو حرام ولا يجوز؛ لأن ما حصل في الزمن هو من الله تعالى، ومن سب الزمن فقد سب الله، وهذا الكلام من ألفاظ الجاهلية التي هدمها الاسلام ونهى أصحابه عنها قال الله تعالى: نَحْبِرُ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَلْهِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الحجرات: ٢٤] وقد كان العرب في الجاهلية إذا ما أصابتهم شدة أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال والمصائب إلى الدهر ويسبونه. ونهى النبي ﷺ أمته عن سب الدهر فعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم،

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» [٥٧]، ومسلم (٧٦ / ٨) والترمذي [٣٤٣٧]، وابن ماجه [٣٥٤٧].

(٢) ٨٠٠ خطا في العقيدة الشيخ / وحيد عبد السلام بالي.

يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، اقلب الليل والنهار» وفي رواية: قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ: يَا خَبِيبَ الدَّهْرِ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَبِيبَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أَقْلُبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»؛ وفي رواية: «لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسْبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْخَيْرُ، أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١).

وقال المنذري: و معنى الحديث أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم نازلة و أصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر اعتقاداً منهم أن الذي أصابه فعل الدهر كما كانت العرب تستمطر بالأنواء و تقول: مطرنا بنوء كذا اعتقاداً أن ذلك فعل الأنواء، فكان هذا كاللاعن للفاعل و لا فاعل لكل شيء إلا الله تعالى خالق كل شيء و فاعله فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

وأما إذا قالها المسلم على سبيل الأخبار؛ فهذا لا بأس به ومنه قوله تعالى عن لوط: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [ه٥٧: ٧٧]، أي شديد وكل الناس يقولون هذا يوم شديد وهذا يوم فيه كذا وكذا من الأمور وليس فيه شيء.

٢٥. تحياد الشمس؛

هذه كلمة يقولها بعض الناس وهذا لا يجوز، لأن الأشجار لا تعبد الشمس وإنما تعبد الله تعالى كما قال ربنا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية، كمراقبة الشمس ونحو ذلك من العبارات.

(١) أخرجه البخاري [٤٨٢٦]، و [٧٤٩١]، ومسلم [٢٢٤٦]، وأبو داود [٥٢٧٤]، وابن حبان [٥٧١٥]، والبيهقي في «شرح السنة» (١٢/ ٣٥٩).

٢٦. أطال الله عمرَكَ لأطال الله بقاءَكَ، يا طويل العمر، أبقاك الله.

هذه عبارة لا تنبغي أن يقولها المسلم، فقد كرهها أهل العلم وإنما تقيد، فيقال أطال الله بقاءَكَ على طاعته، أو أطال الله بقاءَكَ في نعمه، وقال السفاريني: قال الخلال في الآداب: كراهية قوله في السلام: أبقاك الله. أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي إذا دُعِيَ له بالبقاء يكرهه. يقول: هذا شيء قد فرغ منه. وذكر شيخ الإسلام - قدس الله روحه - أنه يكره ذلك، وأنه نص عليه أحمد وغيره، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِزَوْجِي، رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي، أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي، مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مُضْرُوبَةٍ، وَأَثَارِ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعْجَلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْفِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، هِيَ يَمَّا مُسِيخٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، تَمَّ يَهْلِكُ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبُ قَوْمًا، فَيُجْعَلُ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»^(١).

٢٧. فلان المثل الأعلى،

كلمة يقولها بعض الناس وهي لا تجوز على سبيل الإطلاق إلا الله تعالى، فهو الذي له المثل الأعلى، وأما إذا قال القائل فلان المثل الأعلى لي في كذا وكذا وكذا وقيد فهذا لا بأس به.

٢٨. العصمة لله وحده،

هذه كلمات يقولها بعض المسلمين فإن كانوا يريدون بذلك أن كلام الله تعالى وحكمه كله صواب وليس فيه خطأ فهذه الكلمات صحيحة؛ ولكن لفظها مستنكر ومستكره،

(١) أخرجه مسلم [٦٨٦٤]، وفي [٦٨٦٥]، وفي [٦٨٦٦]، وفي [٦٨٦٧]، والبغوي في «شرح السنة» (١٦٣/٥)، وأحمد [٣٧٠٠]، [٣٩٢٥]، [٤٢٥٤].

لأنه قد يوحى لبعض الناس أن هناك عاصماً عصم الله تعالى والله - عَزَّ وَجَلَّ - هو الخالق وما سواه مخلوق، فالأولى أن لا يعبر الإنسان بمثل هذه الكلمات، بل يقول الصواب في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ .

٢٩. خسرت كذا وكذا في الحج والعمرة،

هذه الكلمات غير صحيحة لأن ما بذل في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ليس بخسارة وإنما هو الربح الحقيقي، وإنما الخسارة ما صرف في معصية الله تعالى أو فيما لا فائدة فيه، وأما ما فيه فائدة دنيوية أو دينية فإنه ليس بخسارة وليس بضیاع.

٣٠. تدخل القدر وتدخلت عنايته الله،

هذه الكلمات لا تصلح لأنها تعني أن القدر اعتدى بالتدخل وأنه كالتطفل على الأمر مع أنه - أي القدر - هو الأصل، فكيف يقال تدخل؟ والأصح أن يقال ولكن نزل القضاء والقدر، أو غلب القدر ونحو ذلك ومثل ذلك قول بعض الناس تدخلت عناية الله تعالى فالأولى إبدائها بكلمة حصلت عناية الله أو اقتضت عناية الله.

٣١. رمضان كريم،

اعتاد بعض المسلمين إذا جاء شهر رمضان أن يهنئ بعضهم بعضاً قائلين هذه العبارة وهي عبارة غير صحيحة وإنما يقال: رمضان مبارك أو ما شابه ذلك، لأن رمضان ليس هو الذي يعطي حتى يكون كريماً وإنما الله تعالى هو الذي وضع فيه الفضل وجعله شهراً فاضلاً.

٣٢. استجرت برسول الله،

هذه الكلمة كلمة منكورة والاستجارة بالنبي ﷺ بعد موته لا تجوز، أما الاستجارة به في حياته في أمر يقدر عليه فهي جائزة قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُفْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿التوبة: ٦٠﴾؛ فالاستجارة بالرسول ﷺ بعد موته شرك أكبر وعلى من سمع أحداً يقول هذه الكلمة أن ينصحه لأنه قد يكون سمعه من بعض الناس وهو لا يدري ما معناها.

٢٣- لم تسمح لي الظروف،

هذه الكلمة يطلقها بعض الناس ونريد أن نفرق بين أمرين:
الأول- إذا كان القصد أنه لم يحصل وقت يتمكن فيه من المقصود فلا بأس به.
الثاني- إذا كان القصد أن للوقت تأثيراً فلا يجوز ^(١).

٢٤- اللي يعوزه البيت يحرم على الجامع،

هذا مثل شيطاني القصد منه الصد عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، والله تعالى قد تكفل للمنفقين في سبيله بأن يخلف عليهم خيراً في الدارين: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [نَبَأًا: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِقْهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا- اللَّهُمَّ اغْضُ مِنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ اغْضُ مِنْفِقًا تَلَفًا» ^(٢).

٢٥- كثر السلام يقل المعرفة،

هذا مثل يتكلم به الصغير والكبير إذا مر عليهم أحد الناس وسلم عليهم، ثم مر عليهم مرة ثانية قالوا هذا المثل، وهذا مخالف لهدي الإسلام لأن السلام سبب من أسباب

(١) «الفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة» للعلامة/ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري [١٤٤٢]، ومسلم [١٠١٠]، وابن حبان [٨١٥].

المحبة والمودة والألفة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا ادلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم»^(١).

٣٦ - الأقارب كالعقارب،

هذا مثل تعلق به بعض الناس والقصد منه قطع الأرحام وعدم الصبر على آذاهم وهو مخالف للقرآن الكريم الذي يأمر بصلة الرحم ويحذر من قطعها.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۖ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٢-٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقْسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ﴾ [الرَّحْمَةُ: ٢٥]، وجعل النبي قطيعة الرحم سبب من أسباب الحرمان من دخول الجنان فعن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٢).

٣٧ - أحرمت من أبيار علي،^(٣)

وَقَتَّ النبي صلى الله عليه وسلم المواقيت، ومنها: ميقات أهل المدينة: «ذو الحليفة» وهو واد يقع على حافة وادي العقيق على يمين الذهاب إلى مكة مع طريق الهجرة «المُعَبَّد» ويكون «جبل عير» - وهو حد المدينة جنوباً - على يساره، ولا يزال هذا الميقات معروفاً بالاسم إلى هذا اليوم، ويعرف أيضاً باسم: «آبار علي» أو: «أبيار علي» وهي تسمية مبنية على قصة مكذوبة، مختلقة موضوعة، هي: أن علياً عليه السلام قاتل الجن فيها. وهذا من وضع الرافضة - لا مسأهم الله بالخير ولا صَبَّحهم - ؛ وما بني على الاختلاف، فينبغي

(١) أخرجه مسلم [٥٤]، وأبو داود [٥١٩٣] وابن ماجه [٦٨]، والتِّرْمِذِي [٢٦٨٨]، وابن جِبَّان [٢٣٦].

(٢) أخرجه البخاري [٥٩٨٤]، ومسلم [٢٥٥٦]، وأبو داود [١٦٩٦]، والتِّرْمِذِي [١٩٠٩].

(٣) أبيار علي: منسك شيخ الإسلام ابن تيمية.

أن يكون حل هجر وفراق، فلنهرج التسمية المكذوبة ولنستعمل ما خرج التلفظ به بين شفتي النبي ﷺ ولنقل: «ذو الخليفة».

٢٨. الأجر على قدر المشقة^(١)،

هذه العبارة من أقاويل الصوفية، وهي غير مستقيمة على إطلاقها، وصوابها: الأجر على قدر المنفعة، أي منفعة العمل وفائدته كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره. ٢٩. أحبائي في رسول الله ﷺ^(٢)،

جاءت الشريعة بالمحبة في الله - تعالى - وهي الدارجة على لسان السلف، والمحبة هي ركن الملة، ومن أوجب الواجبات محبة ما يحبه الله، وبغض ما يكرهه الله، ولا يكون إيمان عبد إلا بمحبة رسول الله ﷺ وإتباعه، وتوقيره، وتعظيمه، وتبجيله، على رسم الشرع المطهر، مع مراعاة مجافاة الغلو والإفراط، ومن ذلك قول بعضهم: أحبائي في رسول الله فقل: أحبائي في الله، قفوا لأثر السلف، وبعداً عن الغلو. ٤٠. أخطئ مع الناس ولا تصب وحدك^(٣).

ومثله عند أهل اللغة: خطأ مشهور خير من صواب مهجور. وكلاهما خطأ، فالحق أحق أن يتبع، فكن مع الحق وإن كنت وحدك، فليست العبرة بكثرة السالكين، وإنما العبرة بمن كان على الصراط المستقيم. ٤١. الله ما يضرب بعضي^(٤)،

هذه من الألفاظ الدارجة على السنة بعض العامة، عند المغالبة والمشاادة، ويظهر أن المراد: أن الله - سبحانه - حكم قسط ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، لكن في التعبير بها سوء أدب وجفاء، فتجنب، وينهى عنها من يتلفظ بها.

(١) «الأجر على قدر المشقة الفتاوى»: (١٠/ ٦٢٠)، (٢٥/ ٢٨١). القواعد للمقري: (٢/ ٤١٠). «الأحكام للعر ابن عبدالسلام»: (١/ ٢٩).

(٢) أحبائي في رسول الله ﷺ: «المجموع الثمين»: (٣/ ١٢٠).

(٣) «أخطئ مع الناس»... الاعتصام للشاطبي.

(٤) الله ما يضرب بعضي: «المجموع الثمين»: (٣/ ١١٨).

٤٢. الله كبير^(١)،

ومنها: أنه لا يُقال الله كبير قال ابن فارس: ولا يجوز أن يقول الله كبير وذلك أن أكبر موضوع لبلوغ الغاية في العظمة. اهـ.

٤٣. الله يحافظ عليك^(٢)،

هذا إطلاق لم يرد، ولا يجوز، لأنه يقتضي المعالجة والمغالبة، وإنما يقال: الله يحفظك.

٤٤. الله يعاملنا بعدله^(٣)،

في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن علي بن موسى النجدي المتوفى سنة (١٣٤٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ: أن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - زار الشيخ المذكور، فتكلم الملك في أناس إلى أن قال: الله يعاملنا وإياهم بعدله: فنبهه الشيخ أن يقول بدل: عدله، بفضلته وعفوه، فشكره الملك عبد العزيز على ذلك انتهى.

٤٥. أنا خُر^(٤)،

حكم هذا اللفظ، ونحوه: أنا خُرُّ في تصرفي، أو تصرفاتي، حسب المقام، فإن كانت في مقام يُنهى فيه عن محرم، فهي محرمة؛ لأنه مضبوط بالشرع، لا بالتشهي والهوى. وإن كانت في مقام المباحات، فلا بأس بها، وهكذا.

٤٦. بالله الطالب الغالب المهلك المدرك^(٥)،

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: ومما جرت به عادة الحكام في تغليظ الأيمان وتوكيدها، إذا حلفوا الرجل لخصمه، أن يقولوا: بالله الطالب، الغالب، المهلك، المدرك، في

(١) الله كبير: «حلية الفقهاء» ص [٧٦].

(٢) الله يحافظ عليك: «لحن العوام» للسكوني ص [١٥٦ - ١٥٧]. وسنن أبي داود: (٣٩٧/٥) وفيه بيان أصل هذه اللفظة: «الله يحفظك».

(٣) الله يعاملنا بعدله: «إنجاز الوعد بذكر الإضافات والاستدراكات على من كتب عن علماء نجد»: ص [٨٣].

(٤) أنا خُرُّ: «المجموع الثمين» (٣/ ١٢٤).

(٥) بالله الطالب الغالب المهلك المدرك: شأن الدعاء ص [١٠٦ - ١٠٧].

نظائرها، وليس يستحق شيء من هذه الأمور أن يطلق في باب صفات الله عز وجل، وأسمائه. اهـ.

٤٧. بذمتي^(١)؛

الباء من حروف القسم الثلاثة وهي: الباء والتاء والواو، فيكون ما هنا حليفاً بالذمة، وهي مخلوقة، والحلف بالمخلوق لا يجوز، وهو شرك أصغر. لكن إن كان القائل يريد بقوله: (بذمتي)، أي: (في ذمتي)، أي في عهدي، وأمانتي، إنني لصادق، فلا يكون حلفاً، فيجوز.

٤٨. تقبل الله منا ومنك^(٢)؛

في التخاطب بها بعد الصلاة. ليس لها دليل من سنة، ولا أثر، والالتزام بها ترتيب هدي لم يدل عليه الشرع، فيكون بدعة، والله أعلم. وأما بعد الانصراف من العيد، فقد ذكر ابن رشد في: «البيان والتحصيل»: أن مالكاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل: هل يكره للرجل أن يقول لأخيه إذا انصرف من العيد: «تقبل الله مني ومنك»، وغفر الله لنا ولك» ويرد عليه أخوه مثل ذلك، فقال لي: لا نكره مثل ذلك انتهى.

٤٩. ثالث الحرمين^(٣)؛

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأما المسجد الأقصى: فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال... إلى أن قال: والأقصى: اسم للمسجد كله، ولا يُسمى هو ولا غيره حرماً، وإنما الحرم مكة والمدينة خاصة، وفي وادي وج الذي بالطائف

(١) بذمتي: «المجموع الثمين» (١٠٤/١) - [١٠٥]. «فتاوى الشيخ ابن باز» (٧/ ٣٣١ - ٣٣٢).

(٢) تقبل الله منا ومنك: «ردود على أبا طيل» ص [٦٠ - ٦٣]. وانظر «مسائل أحمد» لأبي داود، ص [٦١].

«فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٢٥٣). «فتح الباري» (٢/ ٤٤٦). «تمام المنة»، ص [٣٥٤]. «البيان والتحصيل»:

(١٨/ ٤٥٢)

(٣) ثالث الحرمين: «اقتضاء الصراط المستقيم» ص [٤٣٤]. وانظر «الفتاوى» (٢٧/ ١٤ - ١٥).

نزاع بين العلماء. اهـ. وحيث إن المسجد الأقصى لا يسمى «حرماً»، فلا يُقال حينئذ: «ثالث الحرمين». والظاهر أنها مولدة الاستعمال في هذا العصر، ولم أرها لدى السلف والله أعلم. وأما ما يوجد في: الأردن، وفي مصر، كقولهم: حرم الحسين، وحرم الست نفيسة، فهذا من البدع المحدثه.

٥٠. حرماً،

جرت عادة بعض المسلمين خاصة في الديار المصرية أن يقولوا بعد الصلاة لبعضهم: حرماً. ولعلمهم يقصدون الدعاء بشد الرحال إلى الحرم لأداء الحج والعمرة، وذكر ذلك بعد الصلوات من البدع المحدثه التي لا يعلم لها دليل ولا قائل بها من السلف. والله أعلم.

٥١. زرت قبر النبي ﷺ^(١)،

كتاب «الصارم المنكي» في الرد على السبكي كتاب «جليل القدر»، غزير العلم، جم الفوائد، وعندي أنه أربى على كثير من كتابات شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم - رحمهم الله تعالى -، ومما جاء فيه :

كره مالك رحمه الله أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ، لما يوهم هذا اللفظ من أنه إنما قصد المدينة لأجل زيارة القبر، ولما فيه من تعظيم القبر بإضافة الزيارة إليه مع كونه أعظم القبور على الإطلاق، وأجلها، وأشرف قبر على وجه الأرض... إلخ.

(١) زرت قبر النبي ﷺ: «الصارم المنكي» ص [٢٩٠]، وانظر منه ص (٤٦، ٧٤، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٣). «وقاعدة جلية في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية. «ومنهاج السنة النبوية» (٢/ ٤٤٤). «والرد على البكري». «ومجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٥-٢٣٩، ٣٥٥، ٢٧/ ١٠٣، ١١٨، ٢٤٥، ١٣٢-٢٤٦، ٣٣١، ٢٦ / ١٤٩)، وفهرسها (٩٧/ ٣٧). «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٧١). «وشرح الشفاء للفقاري» (٣/ ٨٤٣، ٢/ ٦٦٧). «والبيان والتحصيل» (١٨/ ١١٨). وفي كتاب «الروح» لابن القيم ص [٨] وجه تسمية المسلم على الميت: زائراً.

٥٢. سلام حار^(١)،

من العبارات المولدة قولهم: سلام حار، لقاء حار، وهكذا. والحرارة وصف ينافي السلام وأثره، فعلى المسلم الكف عن هذه اللهجة الواردة الأجنبية، والسلام اسم من أسماء الله، والسلام يثلج صدور المؤمنين فهو تحيتهم وشعار للأمان بينهم.

٥٣. شكله غلط،

هذا اللفظ من أعظم الغلط الجاري على ألسنة بعض المترفين عندما يرى إنساناً لا يعجبه؛ لما فيه من تسخط لخلق الله، وسخرية به. قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدْلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفال: ٦، ٨]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

٥٤. الفاتحة قُبِز الوسيلة.

هذا على إطلاقه تعيد فاسد؛ لما فيه العموم في الغايات، والوسائل، فالغاية الفاسدة لا يوصل إليها بالوسيلة ولو كانت شرعية، والغاية الشرعية لا يوصل إليها بالوسيلة الفاسدة، فلا يوصل إلى طاعة الله بمعصيته، نعم: الغاية الشرعية تؤيد الوسيلة الشرعية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. مع أن لفظ: «تُبَرر» هنا غير فصيح في اللسان. والله أعلم.

٥٥. الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ^(٢)،

إهداء قراءة القرآن للنبي ﷺ لا يشرع، ومنه إهداء قراءة الفاتحة، وقول بعضهم: الفاتحة: زيادة في شرف النبي ﷺ أي: اقرؤوا الفاتحة ليزداد شرفاً ﷺ وهذا إهداء غير مشروع؛ لعدم الدليل عليه.

(١) سلام حار: انظر: «شموس العرفان» ص [٤٩]. «تقويم اللسانين» ص [١٠٢].

(٢) الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ: الفتاوى الحديثة ص (١٢-١٤).

٥٦. الفاتحة،

من البدع المحدثنة في أعقاب التلاوة وصلاة الجنائز، والتعازي، ومن البدع المركبة في الموالد، وهكذا.

٥٧. الفاتحة على روح فلان^(١)،

من البدع المحدثنة: قولهم عند إخبار أحدهم بالوفاة: الفاتحة على روح فلان لاسيما والقراءة لا تصل إلى الموتى على أحد القولين في المسألة. والله أعلم.

٥٨. في ذمة الله،

قولهم في حق المتوفى: في ذمة الله، فطرًا لقاعدة التوقيف فلا يطلق هذا اللفظ، ولا يستعمل. والله أعلم.

٥٩. قال الرسول^(٢)،

في «الطبقات» للسبكي قال: قال الحسين: سمعت الشافعي يقول: يكره للرجل أن يقول: قال الرسول. ولكن يقول: قال رسول الله ﷺ؛ ليكون معظماً. رواه البيهقي وغيره. وهو في كتاب أبي عاصم.

٦٠. قال النبي ﷺ^(٣)،

ويتعلق بهذا عدة أبحاث: قال ابن خير في فهرسته: أجمع العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال النبي ﷺ، كذا، حتى يكون عنده ذلك القول مرويًا ولو على أقل وجوه الرواية.... اهـ.

(١) الفاتحة على روح فلان: «أحكام الجنائز» للألباني ص/ [٢٤٦، ٣٣].

(٢) قال الرسول ﷺ: «الطبقات» للسبكي (٢/ ١٢٦، ٢/ ٢٤٠) «شرح الإحياء» (١/ ٧٠).

(٣) قال النبي ﷺ: «فهرس الفهارس» (١/ ٨٢). فهرست ابن خير ص (١٦-١٧). «المجموع» للنووي (١/ ٦٣)، «حياة الألباني» (٢/ ٦٠٧)، «عمدة القارئ» (١/ ١٩)، وانظر: «فتح المعبود في الرد على ابن محمود» للشيخ حمود التويجري

قال الكتاني بعده: ولنا رسالة في المعنى اسمها: رفع الضير عن إجماع الحافظ ابن خیر. انظر فيها بسط ما له وما عليه اهـ. وهل يجوز تغيير: قال النبي ﷺ بلفظ: قال الرسول ﷺ؟ في حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات...»^(١) الحديث.

وفي بعضها قال: سمعت النبي ﷺ يقول.... الحديث، والروايتان في البخاري. وقد قال العيني في شرحه له: في عمدة القاري:

ويتعلق بذلك مسألة، وهي: هل يجوز تغيير «قال النبي» إلى «قال الرسول»، أو عكسه؟ فقال ابن الصلاح: والظاهر أنه لا يجوز، وإن جازت الرواية بالمعنى؛ لا اختلاف معنى الرسالة والنبوة. وسهل في ذلك الإمام أحمد رحمته الله، وحماد بن سلمة، والخطيب. وصوبه النووي - رحمهم الله -، قلت: كان ينبغي أن يجوز التغيير مطلقاً لعدم اختلاف المعنى ههنا، وإن كانت الرسالة أخص من النبوة، وقد قلنا: إن كل رسول نبي من غير عكس، وهو الذي عليه المحققون. ومنهم من لم يفرق بينهما وهو غير صحيح اهـ.

٦١. قبح الله وجهه^(٢)

من الأقوال التي نهى عنها النبي ﷺ وذلك لما ثبت من حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يَقُلْ: قَبَحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشَبَّهُ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صُورَتِهِ...» وفي رواية: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ قَبَحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشَبَّهُ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، - وفي رواية: لَا تَقُولُوا: قَبَحَ اللَّهُ وَجْهَهُ^(٣).

(١) أخرجه البخاري برقم [١]، ومسلم برقم [١٩٠٧] وأبو داود [٢٢٠١] والترمذي [١٦٤٧]، وابن ماجه [٤٢٢٧]، والبخاري في «شرح السنة» [١/١].

(٢) حسن: قبح الله وجهه: «شرح الأدب المفرد» [١/٢٦٨]. «شرح الإحياء» [٧/٥٧٨].

(٣) أخرجه الحميدي [١١٢٠]، وأحمد [٢/٢٥١] [٧٤١٤]، و [٢/٤٣٤] [٩٦٠٢]، والبخاري في «الأدب المفرد» [١٧٢]، وفي [١٧٣]، وانظر صحيح الأدب المفرد [١٢٨].

٦٢. قدّس الله سرّه^(١)،

هذه من أدعية المتصوفة، والروافض، والسرّ عندهم: سر الأسرار والروح الطاهرة الخفية.
وقد سرت إلى بعض أهل السنة، ولو قيل: قدّس الله روحه، فلا بأس.

٦٣. قرأت القرآن كله^(٢)،

قال ابن أبي شيبة في المصنف: من كره أن يقول: قرأت القرآن كله... وأخرج بسنده عن
أبي رزين قال: قال رجل لحية بن سلمة - وكان من أصحاب عبد الله -: قرأت القرآن كله،
قال: وما أدركت منه؟، وأيضاً عن ابن عمر أنه كان يكره أن يقول: قرأت القرآن كله اهـ.

٦٤. كأن وجهه مصحف^(٣)،

تجد في كتب الجرح والتعديل من عباراتهم في التوثيق: مثل ورقة المصحف، أو:
كأنه المصحف، أو: كان يسمى: المصحف. وهذه العبارة موجودة عند صلحاء ديارنا في
نجد، لكن لا يقولونها فيما عهدنا إلا في حق الصالحين من العلماء والعباد، والتوقي من
استعمالها أسلم. والله أعلم.

٦٥. كرم الله وجهه^(٤)،

ساق السفاريني في غذاء الألباب كلاماً: فقال: قد ذاع ذلك وشاع، وملاً الطروس
والأسباع. قال الأشياخ: وإنها خُصّ علي عليه السلام بقول: كرم الله وجهه؛ لأنه ما سجد إلى

(١) قدّس الله سرّه: «التوقيف للمناوي» ص [٤٠٢].

(٢) قرأت القرآن كله: «المصنف» (١٠ / ٥٠٩)، «سنن سعيد بن منصور» (٢ / ٤٣٢).

(٣) كأن وجهه مصحف «التذكرة للذهبي» (١ / ١٥٤)، في ترجمة سليمان الأعمش. تهذيب (١٠ / ١١٤، ١١٥،
٥٨ / ١٢).

(٤) كرم الله وجهه: «التذكرة التيمورية» ص [٢٨٢-٢٨٣]. «فتاوى» ابن حجر الهيتمي (١ / ٤٢).
«الفتاوى الحديثة» ص [٥٦ - ٥٧]. «الأدب الشرعية» لابن مفلح. «تاريخ إربل». «تفسير ابن كثير»
(٣ / ٥١٦) (٥١٧)، وكتاب «الجهاد» من صحيح مسلم وسنن أبي داود. «فتاوى اللجنة»: (٣ / ٢٨٩).

صنم قط، وهذا إن شاء الله لا بأس به، والله الموفق اهـ. قلت: أما وقد اتخذته الرافضة أعداء علي عليه السلام والعتره الطاهرة - فلا ؛ منعاً لمجاراة أهل البدع الله أعلم.

ولهم في ذلك تعليقات لا يصح منها شيء ومنه: لأنه لم يطلع على عورة أحد أصلاً، ومنها: لأنه لم يسجد لصنم قط. وهذا يشاركه فيه من ولد في الإسلام من الصحابة عليهم السلام علماً أن القول بأي تعليل لا بد له من ذكر طريق الإثبات. وفي سياق بعض الأحاديث تجد قولهم - كرم الله وجهه - عند ذكر علي عليه السلام ولا نعرف هذا في شيء من المرفوع، ولا أنه من قول ذلك الصحابي.

٦٦. كُلُّ عامٍ وَأَنْتُمْ بخير^(١)،

هو بضم اللام من (كل): مبتدأ لا خبر له، ولو قيل: الخبر محذوف تقديره (يمر)؛ لقليل: هذا من المواضع التي لا يحذف فيها الخبر. وعليه: فهو لحن لا يتأذى به المعنى المراد من إنشاء الدعاء للمخاطب، وأنا يتأذى به الدعاء إذا فتحت اللام من (كل) ظرف زمان- لإضافتها إلى زمان- منصوب نعت لخبر. أنتم: مبتدأ. بخير: متعلق بمحذوف، خبر، والمعنى (أنتم بخير دائم)، أو (أنتم بخير في كل عام)، وهذا شبيه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [التين: ٢٩] أي: هو في شأن كل يوم. ولذا فعلى الداعي به عدم اللحن. والله أعلم.

٦٧. لي رب ولك رب،

هذا لفظ يفيد في ظاهره التعدد، وهو كفر محض، ويظهر أن من يقوله من جهلة المسلمين- عند اللجاج والغضب- يريد: ربي وربك الله، فلا تتعالى عليّ، وهو مراد بعيد، واللفظ شنيع؛ فليجنب. وليقل العبد: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]. ونحو: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [هود: ٥٦]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [التين: ٥١].

(١) كُلُّ عامٍ وَأَنْتُمْ بخير: «شمس العرفان» ص/ [٢٩]، لعباس أبو السعود. «مجلة قافلة الزيت» ص/

[١٠٩] مقال بعنوان: كلمة كل عام وأنتم بخير. بقلم/ محمد صلاح الدين الأزهرى/ الرياض.

٦٨. ليس في الإمكان أبدع مما كان ^(١).

هذه كلمة فاه بها أبو حامد الغزالي، فأخذت طوراً كبيراً عند العلماء بين الإنكار والاعتذار، حتى ألفت فيها رسائل منها: تشييد الأركان في: ليس في الإمكان أبدع مما كان للسيوطي، وللبقاعي رسالة في الرد على السيوطي، ثم رد عليه السيوطي.

٦٩. ما أجزأ فلاناً على الله ^(٢).

روى الآجري في: «الشريعة» بسنده إلى عبد الله بن حُجر، قال: قال عبد الله بن المبارك - يعني لرجل سمعه يقول: ما أجزأ فلاناً على الله لا تقل: ما أجزأ فلاناً على الله، فإن الله - عز وجل - أكرم من أن يجترأ عليه، ولكن قل: ما أغر فلاناً بالله. قال: فحدثت به أبا سليمان الدارني، فقال: صدق ابن المبارك، الله - عز وجل - أكبر من أن يجترأ عليه، ولكنهم هانوا عليه، فتركهم ومعاصيهم، ولو كرموا عليه لمنعهم منها انتهى.

٧٠. ما كان معي خلق إلا الله ^(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «الأذكار»، فصل: قال النحاس: كره بعض العلماء أن يُقال: ما كان معي خلق إلا الله.

قلت: سبب الكراهة بشاعة اللفظ من حيث إن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلًا وهو هنا محال، وإنها المراد هنا الاستثناء المنقطع؛ تقديره: ولكن كان الله معي، مأخوذ من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [البَنَدُ: ٤]. وينبغي أن يُقال بدل هذا: ما كان معي أحد إلا الله سبحانه وتعالى اهـ.

(١) ليس في الإمكان أبدع مما كان: «خلاصة الأثر» (٢/ ٤٦٨). «كشف الظنون» (١/ ٤٠٨، ٥١٣). «فتاوى» شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣٩٩ - ٤٠١). «الفتاوى الحليبية» لابن حجر الهيتمي ص/ [٥٤ - ٥٥]. «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٧).

(٢) ما أجزأ فلاناً على الله: «الشريعة للآجري»: ص/ [٢٤٧].

(٣) ما كان معي خلق إلا الله: «الأذكار» ص/ [٣١٤]. «شرحها» (٧/ ١٠٤).

انتشرت هذه العبارة في زماننا على ألسنة المذيعين وبأقلام الصحفيين، وهي من جهالاتهم الكثيرة، المبنية على ضعف رعاية سلامة الاعتقاد. يقولونها حينها يموت شخص، ثم يدفن، فيقولون: «ثم دفن في مثواه الأخير» ونحوها. ومعلوم أن «القبر» مرحلة بين الدنيا والآخرة، فبعده البعث ثم الحشر، ثم العرض في يوم القيامة ثم إلى جنة أو نار: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي النَّارِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧]. ولذا، فلو أطلقها إنسان معتقداً ما ترسي إليه من المعنى الإلحادي الكفر المذكور؛ لكان كافراً مرتداً فيجب إنكار إطلاقها، وعدم استعمالها.

٧٢. المرض الملعون^(١)

هذا من تسخط أقدار الله المؤلمة، ومن أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيره، وشره، وصفة المسلم: الرضا بعد القضاء، وأمر المسلم كله خير، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضرراً فصبر كان خيراً له.

٧٣. من زمره^(٢)

درج بعض القاطنين في الحرمين الشريفين، على الدعاء لمن يتوضأ للصلاة بعد الفراغ من وضوئه بقوله: مِنْ زَمَرَم. ولعلّه يراد الدعاء بأن يتمتع بشرب ماء زمزم. وهذا لا أصل له، وترتيب دعاء لا يثبت عن المعصوم عليه السلام من المحدثات، فتنبه. والله أعلم. ثم رأيت بعد هذا التقييد في كتاب: ردود على أباطيل للشيخ محمد الحامد رحمته الله فقال: إنه ممنوع قطعاً هـ. والله أعلم.

(١) المرض الملعون: «المجموع الثمين» (١٣٧/٣).

(٢) مِنْ زَمَرَم: «ردود على أباطيل» ص / [٦٣].

٧٤. من علمني حرفاً صرت له عبداً^(١)،

رُوي: مَنْ عَلَّمَكَ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَكَأَنَّهَا مِلْكٌ رِقٌّ، إِنْ شَاءَ بَاعَكَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَكَ.

وهو موضوع . وقد سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ هَذَا فَأَنْكَرَهُ، وَشَدَّدَ النكير على من اعتقده ؛ لمخالفته إجماع المسلمين .

٧٥ . نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(٢)،

صوابه كما في خطبة الحاجة وعامة هديه رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِفْرَادِ فِي الشَّهَادَتَيْنِ بِلَفْظٍ: أَشْهَدُ ؛ لِأَنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَشْهَدُ عَنْ غَيْرِهِ، إِنَّمَا يَشْهَدُ وَيُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ.

٧٦ . النُّعْلَةُ عَلَى دَيْنِ رِيكِ،

يَأْخُذُ الْغَضَبُ بِبَعْضِ الْحَقْمَى مَأْخُذًا، يُجْرُهُ إِلَى الْوُقُوعِ فِي بَذَاءِ اللِّسَانِ، بَلْ رُبَّمَا أَدَّاهُ إِلَى التَّفَوُّهِ بِالْأَفَافِظِ مَخْرُجَةً عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْهَا اللَّفْظُ الْمَذْكُورُ، فَيَجِبُ اجْتِنَابُهُ وَتَحْذِيرُ قَائِلِهِ، وَإِرْشَادُهُ إِلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

٧٧ . يَا أَهْلَ النَّارِ^(٣)،

في مبحث الأدب في الألفاظ والتخلص من اللفظ المكروه بأمر سهل من كتاب «الطرق الحكمية» قال: قد روينا عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ يُعَسُّ الْمَدِينَةَ بِاللَّيْلِ، فَرَأَى نَارًا مَوْقَدَةً فِي خَبَاءٍ فَوْقَ وَقْفٍ وَقَالَ: يَا أَهْلَ الضُّوءِ. وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: أَهْلَ النَّارِ.

(١) من علمني حرفاً صرت له عبداً: «الفتاوى» (١٨ / ٣٤٥).

(٢) نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: «شرح الأذكار» لابن علان (٦ / ٩٦).

(٣) يَا أَهْلَ النَّارِ: «الطرق الحكمية» ص [٣٨].

٧٨. يا جاه محمد^(١)،

هذا دعاء، والدعاء لا يكون إلا لله، فصرفه إلى غيره شرك به. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الفتاوى»: وأما قول القائل إذا عثر: يا جاه محمد، ياست نفسية، أو سيدي الشيخ فلان، أو نحو ذلك مما فيه استغاثته وسؤاله: فهو من المحرمات، وهو من جنس الشرك، فإن الميت سواء كان نبياً أو غير نبي لا يدعى، ولا يسأل ولا يستغاث به لا عند قبره، ولا مع البعد من قبره، بل هذا من جنس دين النصاري الذين: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَنزُبَاكَ مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣١]، إلى آخر سياقه رَحِمَهُ اللهُ.

٧٩. يا د. اشر المعروف،

ذكر صاحب كتاب القول المعروف في مسألة: يا دائم المعروف. للبرهان البقاعي. ولم أره مطبوعاً. وفي «المعيار» للونشريسي، أنها من البدع المحدثه بعد الأذان، وكان المُرَدُّونَ بمكة - حرسها الله تعالى - يأتون بهذا اللفظة مع ذكر طويل بعد الأذان فأبطل هذا. والحمد لله.

٨٠. يعلم الله^(٢)،

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لا يقولون أحدكم لشيء لا يعلمه: الله يعلمه، والله يعلم غير ذلك، فيعلم الله ما لا يعلم، فذاك عند الله عظيم^(٣) وقال النووي في «الأذكار»: إن من أقبح الألفاظ المذمومة ما يعتاده كثير من الناس إذا أراد أحدهم أن يحلف على شيء يتورع من قوله: «والله» كراهة الحنث، أو إجلالاً لله تعالى، ثم يقول: الله يعلم ما كان هو كذا ونحوه، فإن كان صاحبها يتيقن الأمر كما قال، فلا بأس بها، وإن شك في ذلك

(١) يا جاه محمد: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤٥)، (٣٧/ ١٦).

(٢) يعلم الله: «الأذكار» ص [٣١٥]. «الأدب المفرد» (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥) شرح ابن علان «للأذكار»

(٧/ ١١٠). «الصمت» لابن أبي الدنيا ص [٤٢٠]. «الفتاوى الحديشية» ص [١٤٠ - ١٤١].

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٨/ ٤٤٧) [١٥٩٦]، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٦٨) [٧٦٤]

فهو من أقبح القبائح ؛ لأنه تعرض للكذب على الله تعالى، فإنه أخبر أن الله تعالى يعلم شيئاً لا يتيقن كيف هو، وفيه دققة أقبح من هذه هي أنه تعرض لوصفه بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو، وذلك لو تحقق كان كفراً، فهذه العبارة فيها خطر، فينبغي للإنسان اجتناب هذه العبارات والألفاظ.

٨١. أبرأ من الحول والقوة إلا إليه^(١)؛

هذه للخطيب ابن نباته، أنكرها عليه بعض الناس، وقال: لا يصح إلا بحذف الاستثناء، بأن يقال: أبرأ من الحول والقوة إليه. فيئن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن كل واحد من القولين صحيح باعتبار، فليُنظر. فمعناه مع عدم الاستثناء: برئت من حولي وقوتي. ومعناه عند الخطيب: براءته من اللجأ إلا إلى الله. فهما يتواردان على هذا المعنى. والله أعلم.

٨٢. اذكر الله^(٢)؛

قال النووي في «الأذكار». روى النحاس عن أبي بكر محمد ابن أبي يحيى - وكان أحد الفقهاء العلماء الأدباء - أنه قال: يكره أن يقال لأحد عند الغضب: اذكر الله تعالى، خوفاً من أن يحمله الغضب على الكفر، قال: وكذا لا يقال له: صلّ على النبي؛ خوفاً من هذا. اهـ.

قال الشارح: «وفي تنبيه الأخيار» لابن حجر: وكره أن يقال للغضبان: اذكر الله؛ خوفاً من كفره، وما صح من أمره وَلَا يَنْفَعُكَ عَلَيْهِمْ ذِكْرُكَ أن يقال له: تعوذ بالله من الشيطان^(٣) الرجيم، لا ينافيه؛ لأن سورة الغضب إن حلت على نحو سب إنما تقع هنا للشيطان

(١) أبرأ من الحول والقوة إلا إليه: «الفتاوى» (٨/ ٥٥١ - ٥٥٤).

(٢) اذكر الله: «الأذكار» للنووي مع شرحها (٧/ ١٠٩). «الفتاوى الحديثية» ص [١٣٩، ١٠٢ - ١٤٠].

(٣) أخرجه البخاري (٤٨-٦٠) وفي [٦١١٥]، ومسلم [٢٦١٠] وأبو داود [٤٧٨١] وابن حبان [٥٦٩٢]،

على أن سماعه أعظم زاجر، وأبلغ راشد إلى أن غضبه من الشيطان، فيكف عنه، ومن ثم يبعد أخذ ندب هذا من هذا الحديث اهـ. ولعل هذا يختلف باختلاف المقامات، والأشخاص، فالأرعن التهافت الذي أخذ الغضب منه مأخذه، لا يعرض إلى ما يؤدي إلى المحذور المذكور، وهكذا.

٨٣ - ارحمنا برحمتك^(١)،

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: ومن ذلك ما رواه النحاس، عن أبي بكر محمد بن يحيى، قال: وكان من الفقهاء الأدباء العلماء، قال: لا تقل: جمع الله بيننا في مستقر رحمته، فرحة الله أوسع من أن يكون لها قرار. قال: ولا تقل: ارحمنا برحمتك.

قلت: لا نعلم لما قاله في اللفظين حجة، ولا دليل فيما ذكره، فإن مراد القائل بمستقر الرحمة: الجنة، ومعناه: جمع بيننا في الجنة التي هي دار القرار، ودار المقامة، ومحل الاستقرار، وإنما يدخلها الداخلون برحمة الله تعالى، ثم من دخلها استقر فيها أبدًا، وأمن من الحوادث والأكدار، وإنما حصل له ذلك برحمة الله تعالى، فكأنه يقول: اجمع بيننا في مستقر ناله برحمتك اهـ.

٨٤ - أستغفر الله وأتوب إليه^(٢)،

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وذكر في كتاب الأذكار، عن الربيع بن خثيم أنه قال: لا تقل: أستغفر الله وأتوب إليه، فيكون ذنبًا وكذبًا إن لم تفعل، بل قل: اللهم اغفر لي وتب علي. قال النووي: هذا حسن، وأما كراهية: (أستغفر الله) وتسميته كذبًا فلا يوافق عليه؛ لأن معنى أستغفر الله: أطلب مغفرته، وليس هذا كذبًا. وقال: يكفي في رده حديث ابن مسعود بلفظ: من قال: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب

(١) ارحمنا برحمتك: «الأذكار» ص / [٣٣٠]. شرحها (٧/ ١٨١)

(٢) أستغفر الله وأتوب إليه: «فتح الباري» (١٣/ ٤٧٢). «شرح الأذكار» (٧/ ٢٩٠).

إليه غفرت ذنوبه، وإن كان قد فُرم من الزحف» أخرجه أبو داود، والترمذي، والحاكم وصححه.

قلت: هذا في لفظ: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم»، وأما: أتوب إليه، فهو الذي عنى الربيع رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَذِب، وهو كذلك، إذا قاله ولم يفعل التوبة كما قال. وفي الاستدلال للرد عليه بحديث ابن مسعود نظر؛ لجواز أن يكون المراد منه ما إذا قالها وفعل شروط التوبة، ويحتمل أن يكون الربيع قصد مجموع اللفظين لا خصوص استغفر الله، فيصح كلامه كله، والله أعلم... ١ هـ.

٨٥. اللهم ارزقنا شفاعَةَ النبي ﷺ،

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: فصل: روى النحاس عن أبي بكر: المتقدم - يعني محمد بن يحيى - قال: لا يقل: اللهم أجرنا من النار، ولا يقل: اللهم ارزقنا شفاعَةَ النبي ﷺ، فإنما يشفع لمن استوجب النار. قلت: هذا خطأ فاحش، وجهالة بينة، ولولا خوف الاغترار بهذا الغلط وكونه قد ذكر في كتب مصنفة، لما تجاسرت على حكايته الخ.

٨٦. جزاك الله عن الإسلام خيراً^(١)،

في ترجمة تلميذ الإمام محمد بن زهير، ما نصه: قال: أتيت أبا عبد الله في شيء أسأله عنه، فأتاه رجل فسأله عن شيء أو كلمه في شيء، فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فغضب أبو عبد الله، وقال له: من أنا؛ حتى يجزيني الله عن الإسلام خيراً؟ بل جزى الله الإسلام عني خيراً انتهى. وهذا من هضم النفس - رحم الله الإمام أحمد.

٨٧. دمت،

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. فالدوام لا يكون إلا لله سبحانه.

(١) جزاك الله عن الإسلام خيراً: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٨).

ليس حي على المنون بباق غير ربي المُوحد الخلاق
وهذه اللفظة: (دمتم) الجارية في تذييل المكاتبات الودية، ينبغي التوقي من إطلاقها،
وإن كان المراد بها الدوام النسبي للمخلوقين، والدوام المطلق لا يكون إلا لله - سبحانه - .
وهكذا يُقال في نحو: اللجنة الدائمة. والهيئة الدائمة. والله أعلم .
وقد أصدرت: (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) ^(١) بما نصه: (يكره ذلك؛
لأن الدوام لله - سبحانه - والمخلوق لا يدوم) انتهى. وفي الكراهة نظر. والله أعلم .
٨٨ - قابيل وهابيل ^(٢)،

بعض الناس إذا ذكر عندهم أن رجلاً قتل آخر قالوا: ما أنساك قابيل وهابيل قال
الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ: أما أنها ابنا آدم لصلبه فهو القول الثبت الصحيح الذي يدل
عليه سياق الآيات، مؤيداً بالسنة الصحيحة، وأما تسميتهما - قابيل وهابيل - فإنها هو من
نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سنة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا
أن لا نجزم ولا نرجحه. وإنما هو قول قيل انتهى .
٨٩ - قلت لك مائة مرة ^(٣)،

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قال الغزالي: ومن الكذب المحرّم الذي يوجب الفسق: ما
جرت به العادة في المبالغة، كقوله: قلت لك مائة مرة، ولبتك مائة مرة، ونحوه، فإنه
لا يُراد به تفهيم المرات، بل تفهيم المبالغة، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً،
وإن طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة؛ لم يَأْثَمَ وإن لم يبلغ مائة مرة. وبينهما درجات،
يتعرض المبالغ للكذب فيها قلت: ودليل جواز المبالغة وأنه لا يعد كاذباً: ما جاء في
الحديث أن النبي ﷺ قال: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما

(١) «الفتوى» رقم [٥٦٠٩].

(٢) قابيل وهابيل: «عمدة التفسير» (٣/ ١٢٣). وانظر تعليق الألباني على رسالة العز ابن عبد السلام في تفضيل
رسول الله ﷺ.

(٣) قلت لك مائة مرة: «الأذكار» ص [٣٢٨].

معاوية فلا مال له»^(١) ومعلوم أنه كان له ثوب يلبسه، وأنه كان يضع العصا في وقت النوم وغيره وبالله التوفيق.

٩٠. ما نقص من عمره زاد في عمره،

يقولها بعضهم في التعزية بميت يعني: أن وفاته في سن مبكر، قد ادخر بقية العمر للقريب على وجه التفاؤل. لكنهم نهوا عنه توقيًا لما فيه من معنى المدح والتزكية. ويظهر لي التسامح في هذا. والله أعلم.

٩١. الموت واحد والأسباب كثيرة،

هذا لفظ لا محذور فيه؛ إذ الموت حق، وهو واحد لا يتعدد بمعنى الموت الكبرى، لكن أسبابه كثيرة.

من لم يميت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد
٩٢. لا نزال بخير ما بقيت لنا^(٢)،

في كتاب: «الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة، ومجانبة المخالفين، ومباعدة أهل الأهواء المارقين» لابن بطة العبكري الحنبلي المتوفي سنة (٣٨٧ هـ) رَحِمَهُ اللهُ ذكر جملة من التزام السنة في الأقوال والأعمال والمناهي فيها، منها: والنهي أن يقول الرجل: لا نزال بخير ما بقيت لنا. اهـ. ولعل هذا لما فيه من اعتماد القائل على غير الله، ومدح وتزكية المقول له. ويظهر لي التسمح فيه وأنه لا محذور به. والله أعلم^(٣).



(١) أخرجه مسلم [١٤٨٠]، وأبو داود [٢٢٨٤]، وابن حبان [٤٠٤٩].

(٢) لا نزال بخير ما بقيت لنا: «الزوائد على الزهد» لابن المبارك: ص / [١٤]. «الآداب الشرعية» (١ / ٤٦٥)

«المنهايات» للحكيم الترمذي ص [٩١]. «الإبانة الصغرى» لابن بطة. ص / [٣٠٨].

(٣) «معجم المناهي اللفظية» للعلامة/ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله تعالى.

الباب الرابع

أمثلة وحكم يومية تجري مجرى الأحاديث النبوية

وهذه مجموعة من الحكم والأمثال المنتشرة على ألسنة بعض الناس والبعض يقولها على أنها من أحاديث النبي ﷺ ويتمسك بها وربما يعتقدونها ويدعو إليها، ذكرتها لأنبه المسلمين إليها، وأعلق على بعضها إن كان مخالفاً لنص آية قرآنية أو حديث نبوي شريف والدال على الخير كفاعله.

١. آخر الدواء الكي،

ليس بحديث وهو كلام معناه أنه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به ولذا كان أحد ما حمل عليه النهي عن الكي وجود طريق مرجو للشفاء^(١).

٢. أبى الله أن يصح إلا كتابه،

ليس بحديث ولا أعرفه، ولكن قد قال الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولذا قال إمامنا الشافعي رحمه الله فيما رويناه في مناقبه لأبي عبد الله ابن شاکر من طريق محمد بن عامر عن البويطي، قال: سمعت الشافعي يقول: لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهَا اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ الآية، فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة، فقد رجعت عنه ولبعضهم شعر:

كم من كتاب قد تصفحته وقلت في نفسي أصلحته
حتى إذا طالعته ثانياً وجدت تصحيحاً فصحته^(٢)

(١) «المقاصر الحسنة» في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لل حافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١/١).

(٢) «المقاصر الحسنة» (٨/١).

٣. اتق شر من أحسنت إليه،

لا أعرفه: ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف وليس على إطلاقه، بل هو محمول على اللثام غير الكرام، فقد قال علي بن أبي طالب كما في ثاني عشر وحادي المجالسة للدينوري: الكريم يلين إذا استعطف واللثيم يقسو إذا ألطف، وعن عمر بن الخطاب قال ما وجدت لثيماً إلا قليل المروءة، وفي التنزيل: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٤]، وقال له أبو عمرو بن العلاء أحد الأئمة يخاطب بعض أصحابه: كن من الكريم على حذر إذا أهنته، ومن اللثيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا رحمته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تحجب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك أو تحدث من لا ينصت لك.

وفي الإسرائيليات يقول الله عزَّ وجلَّ: «من أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمتي كفراً ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لي شكراً»، وعند البيهقي في الشعب عن محمد بن حاتم المظفري قال: اتق شر من يصحبك لنائلة، فإنها إذا انقطعت عنه لم يعذر ولم يبال ما قال وما قيل فيه، وللدينوري في عشري المجالسة من طريق ابن عائشة عن أبيه قال: قال بعض الحكماء: لا تضع معروفك عند فاحش، ولا أحمق، ولا لثيم، ولا فاجر، فإن الفاجر يرى ذلك ضعفاً والأحمق لا يعرف قدر ما أتيت، فارزق معروفك أهله تحصل به شكراً. انتهى، وفي المرفوع ما يشهد للأخير^(١).

٤. إذا صدقت المحبة سقطت شروط الأدب،

هو من كلام المبرد بلفظ: إذا صحت المودة سقط التكلف والتعمل وأورده الخطابي في العزلة في باب ترك الإكثار من الأصدقاء، وفي الرسالة للقسيري عن الجنيد: إذا سقطت المحبة سقط آدابها^(٢).

(١) «المقاصر الحسنة» (١١/١).

(٢) «المقاصر الحسنة» (٢١/١).

٥ - إذا صليتم علي فعمموا،

لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويمكن أن يكون بمعنى: صلوا علي وعلى أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني^(١).

٦ - ارحموا عزيز قوم ذل، وغنياً اقتصر، وعالماً بين جهال،

يعرف من كلام الفضيل بن عياض وساقه من جهة الحاكم قال: سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل يقول: سمعت جدي يقول، سمعت سعيد ابن منصور يقول، قال الفضيل بن عياض.

٧ - استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها، أو بمعنى آخر ادي العيش لخبازيه ولواكلوا نصفه،

هذا كلام وليس بحديث ولكن يستأنس له بحديث جاء عن ثابت، عن أنس، وعن عروة، عن عائشة؛ أن النبي ﷺ سَمِعَ أَصْوَاتًا، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: النَّحْلُ يُؤَبِّرُونَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تَوَلَّمْ يَفْعَلُوا لَصْلَحٍ؛ فَلَمْ يُؤَبِّرُوا غَامِئِدٍ، فَصَارَ شَيْصًا، فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، فَشَأْنَكُمْ بِهِ، وَإِذَا كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ». وفي رواية: أن النبي ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلْقَحُونَ، فَقَالَ: «تَوَلَّمْ تَفْعَلُوا لَصْلَحٍ، قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا، فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَالَ: مَا يَنْخُلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»^(٢).

٨ - اسمعي يا جارة،

هو كلام قاله الحجاج بن يوسف لأنس رضي الله عنه حين شكاه منه: إنما مثلي ومثلك كقول الذي قال: إياك أعني واسمعي يا جارة.

(١) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم [٢٣٦٣]، وأحمد [١٢٥٦٦]، وابن خزيمة [٢٤٥٥] والبغوي في «شرح السنة» (١٩٠/ ٦).

٩. أصل كل داء الرضى عن النفس،

في كلام كثير من السلف معناه مما أورد القشيري في الرسالة كثيرًا منه، كقول أبي عمرو بن نجيد الذي سمعه سبطه أبو عبد الرحمن السلمي شيخ القشيري: آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه وقول ذي النون: علامة الإصابة مخالفة النفس والهوى، وقول ابن عطاء: أقرب شيء إلى مقت الله وبلائه النفس وأحوالها، وأشد من ذلك مطالعة الأعواض على أفعالها، وقول أبي حنيفة: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أيامه كان مغرورًا، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وكيف يصح لعامل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول: ﴿وَمَا أَبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يُونُس: ٥٣]، قال القشيري: وسئل المشايخ عن الإسلام، فقالوا: ذبح النفوس بسيوف المخالفة.

١٠. افتضحوا فاصطلحوا،

هو من الأمثال السائرة، وقد رواه الخطابي في العزلة من طريق محمد بن حاتم المظفري به.

١١. الأقربون أولى بالمعروف،

لا أصل له وما علمته بهذا اللفظ، ولكن قال النبي ﷺ لأبي طلحة: «ارى ان تجعلها في الأقربين»^(١) هذا كله إذا أوقف أو أوصى لأقاربه وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]^(٢).

(١) «المقاصر الحسنة» (٤٢/١).

(٢) أخرجه البخاري [١٤٦٢]، وفي [٢٣١٨]، ومسلم [٩٩٨]، وابن خزيمة [٢٤٥٥]، والبيهقي في «شرح السنة» (١٩٠/٦).

١٢. إكرام الميت دفنه،

لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت له من جهة أيوب السخيتاني. قال: كان يقال: من كرامة الميت على أهله تعجيله إلى حفرته^(١).

١٣. التمسوا الرزق بالنكاح، خذوهم فقراء يغنكم الله،

ليس بحديث ولكن يستأنس له بقول عمر: عجبت لرجل لا يطلب الغني بالباء، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال القفال في محاسن الشريعة، وقد وعد الله تعالى على النكاح. فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وفي المعنى ما في صحيح ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَوْنُهُمُ الْمَكَاتِبُ الَّتِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاسِكُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَا وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

١٤. أَسْتَنْتِ الْخَلْقَ أَقْلَامَ الْحَقِّ،

لا أصل له، نعم هو من كلام بعض الصوفية، ويمكن أن يكون معناه: الفال الموكل بالمنطق^(٣).

١٥. أَمَرْتُ أَنْ أَحْكُمَ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ،

اشتهر بين الأصوليين والفقهاء ولا وجود له في كتب الحديث المشهورة، ولا الأجزاء المنشورة، وجزم العراقي بأنه لا أصل له، وكذا أنكره المزي وغيره.

١٦. أَنَا أَفْصَحُ مِنْ تَطَقُّ بِالضَّادِ،

معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير.

(١) «المقاصر الحسنة» (١/٤٢).

(٢) أخرجه أحمد [٧٤١٠]، و[٩٦٢٦]، وابن ماجه [٢٥١٨]، والترمذي [١٦٥٥].

(٣) «المقاصر الحسنة» (١/٤٦).

١٧. أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف.

قال النووي: ليس بثابت انتهى.

١٨. أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.

ليس بحديث ولكنه بمعنى حديث قدمي عن أبي هريرة: «أنفق أنفق عليك»^(١)
وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [يَنَابَأ: ٣٩].

١٩. إن الله نقل لذة طعام الأغنياء إلى طعام الفقراء.

حكم عليه الحافظ ابن حجر بالوضع.

٢٠. إن الله يكره الرجل البطال.

قال الزركشي: لم أجده. انتهى. وفي معناه ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن
ابن مسعود من قوله: إني لأكره الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا.

٢١. إن الله يكره العبد المتميز على أخيه لا أعرفه^(٢).

٢٢. إن الله يكره الرجل المطلاق الذواق لا أعرفه^(٣).

٢٣. إن لله ملائكة تنقل الأموات لم أقف عليه^(٤).

٢٤. إن الميت يرى النار في بيته سبعة أيام.

قال البيهقي في مناقب الإمام أحمد؛ قال ابن منيع سئل عنه أحمد. فقال باطل لا
أصل له. وهو بدعة.

(١) أخرجه البخاري [٤٦٨٤]، و [٧٤١١]، ومسلم [٢٢٧١]، وابن ماجه [١٩٧]، وفي [٢١٢٣]، والترمذي [٣٠٤٥]، وابن جبان [٧٢٥]، وأبو داود [٣٢٨٨].

(٢) المقاصر الحسنة (١/ ٧٠).

(٣) المقاصر الحسنة (١/ ٧٠).

(٤) المقاصر الحسنة (١/ ٧١).

٢٥. إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب؛

أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق الأوزاعي قال: قال سليمان بن داود عليه السلام وذكره، ومن طريق ابن المبارك وسئل عن قول لقمان لابنه إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب، فقال عبد الله يقول: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب، ومن طريق ابن المبارك أنه ذكر أبياتاً وساقها وأخرها:

إن كان من فضة كلامك يا نفس فإن السكوت من ذهب

٢٦. ادفع الشك باليقين؛

ليس بحديث وإنما جاء في كلام سفيان الثوري ويجري على السنة الفقهاء من قواعدهم، لكن يشهد له حديث «دع ما يريك إلى ما لا يريك»^(١):

٢٧. إذا حضرت الملائكة هربت الشياطين؛

ليس بحديث لكن في الحديث ما يدل على أن الشيطان لا يجتمع مع الملك وهو ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً سب أبا بكر رضي الله عنه والنبي جالس لا يقول شيئاً، فلما سكث ذهب أبو بكر يتكلم، فقام النبي واتبه أبو بكر، فقال يا رسول الله كان يسبني أنت جالس فلما ذهبت أتكلم قمت قال: «إن الملك كان يرد عنك فلما تكلمت ذهب الملك ووقع الشيطان فكرهت أن أجلس» وفي رواية «فلما انتصرت وقع الشيطان»^(٢).

٢٨. إذا كبر ابنك واخيه؛

هو من كلام العامة وقولهم واخيه لحن وصوابه أخه لكن في معناه: الولد سبع سنين سيد وأمير وتسع سنين أخ وزير، فإن رضيت فكافته وإلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت فيما بينك وبينه.

(١) صحيح: أخرجه أحمد [١٢٥٧٧]، والدارمي [١٥٩١]، وابن خزيمة [٢٣٤٧]، والترمذي [٢٥١٨]، وقال حديث حسن صحيح وأنظر صحيح الجامع [٣٣٧٧].

(٢) حسن: أخرجه أحمد [٩٦٢٢]، وأبو داود [٤٨٩٧]، البغوي في «شرح السنة» (١٦٥/١٣)، وانظر صحيح الجامع [٦٧٥٨].

٢٩. اسمع من مبكياتك ولا تسمع من مضحكاتك ،

يجري على الألسنة وأصله من كلام الحسن أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» بمعناه.

٣٠. صفى النية ونم في البرية ليس بحديث^(١) ،

٣١. البشاشة خير من القرى ،

مثل وليس بحديث مثل (لا قبني ولا تغدني).

٣٢. حب الوطن من ال إيمان ،

ليس بحديث لكن روى ابن أبي حاتم عن الضحاك قال لما خرج من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَاذِ﴾ [التَّحْضُر: ٨٥]. قال: إلى مكة. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل، فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

٣٣. الحسود لا يسود ،

ليس بحديث نعم حكى عن ذي النون.

٣٤. خيار البر عاجله ،

ليس بحديث نعم قال العباس: لا يتم البر إلا بتعجيله فإنه إذا عجله هنا.

٣٥. الدنيا منرصة الآخرة ،

قال السخاوي: لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في الإحياء.

٣٦. الريح في الشر خاسر ،

ليس بحديث، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

(١) كشف الخفاء مزيل الألباس للعجواني (١/ ١٣٢).

٢٧ - الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، الرجوع للحق فضيلة،

ليس بحديث ولكنه من قول عمر في كتابه إلى عبد الله بن قيس في آداب القضاء لا يمنعك قضاء قضيته فراجعت فيه عقلك، فهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل.

٢٨ - زامر الحي لا يطرب،

ليس بحديث ولكن معناه صحيح، فقد جاء أزهّد الناس في العالم أهله وجيرانه، وجاء قول عيسى عليه السلام: ما أكرم نبي في قومه قط.

٢٩ - سورة المؤمن شفاء ^(١)،

وَالسُّورَةُ لُغَةً: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَجَمْعُهُ أَشَارٌ، وَأَسَارَ مِنْهُ شَيْئًا أَبْقَى، وَالسُّورَةُ فِي الإِصْطِلَاحِ هُوَ: فَضْلَةُ الشُّرْبِ وَبَقِيَّةُ الْمَاءِ الَّتِي يُبْقِيهَا الشَّارِبُ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ فِي الْخَوْضِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِبَقِيَّةِ الطَّعَامِ أَوْ غَيْرِهِ.

٤٠ - صدقة القليل تدفع البلاء الكثير،

صدقة قليلة تمنع بلاوي كثيرة ليس بحديث ولكن معناه صحيح من حديث «صنائع المعروف تقي مصارع السوء و صدقة السر تطفى غضب الرب، و صلة الرحم تزيد في العمر» ^(٢).

٤١ - الضحك من غير عجب من قلّة الأدب،

كلام شائع وليس بحديث.

(١) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ١٧٧): لا أصل له، وقال الشيخ أحمد الغزي العامري في «الجد الخيث» رقم [١٦٨] من نسختي: ليس بحديث، وأقره الشيخ العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٥٨).

(٢) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦١) وفي الأوسط (٦/ ١٦٣)، وانظر صحيح الجامع [٣٧٩٦]، [٣٧٩٧].

٤٢ - العجبروت في القلب،

ليس بحديث ولعله منتزع من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا ظُلُمًا جَهُولًا﴾ [الْأَنْزِلَاتِ: ٧٢]،
﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ لَقَلْبُومٌ كَفَّارٌ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٣٤].

٤٣ - عدو عاقل خير من صديق جاهل،

ليس بحديث نعم جاء عن أبي حازم قال: أن يغضك عدوك المسلم خير من أن
يجبك خليلك الفاجر.

٤٤ - العلم في الصغر كالنقش في الحجر،

ليس بحديث وإنما هو من كلام الحسن.

٤٥ - في الحركات البركات،

من كلام السلف وليس بحديث، وكذلك (الحركة بركة).

٤٦ - كل إناء بالذي فيه ينضح،

مثل سائر وليس بحديث وفي معناه قول القائل: كل إنسان يعطي ما عنده، وأخرج
ابن عساكر عن ابن المبارك قال: بلغني أن عيسى عليه السلام مر بقوم، فشتموه فقال: خيرًا
ومر بآخرين، فشتموه وزادوا فزادهم خيرًا فقال رجل من الحواريين: كلما زادوا شرًا
زدتهم خيرًا كأنك تغريهم بنفسك، فقال: كل إنسان يعطي ما عنده.

٤٧ - كل شاة معلقة بعرقوبها، اللي يشيل قريته مخرومة تخر على رأسه.

هو مثل وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الْإِنشَاء: ١٣]،
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الْأَنْعَام: ١٦٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول
كل شاة معلقة برجلها، فقال: لا والله إن الطير لتهلك هزًا لآ في جو السماء بظلم ابن آدم.

فيه إشارة إلى استضرار الحيوانات، بظلم العبد إذ تقحط الأرض بسبب بعض الذنوب فيعم الضرر الجميع في الدنيا، وأما في الآخرة، فكل إنسان مطالب بعمله مجاز به؛ وإنما يحمل أوزار بعض من يحمل أوزارهم لكونه كان إماماً لهم في سوء أو داعياً لهم إلى ضلال أو لظلمه إياهم، فلا يكون له حسنة يستوفونها فيؤخذ من سيئاتهم، فتلقى عليه فهو ما حل إلا وزر نفسه.

٤٨ - كُنْ ذَنْبًا وَلَا تَكُنْ رَأْسًا^(١)،

ليس بحديث إنما هو من كلام إبراهيم بن أدهم أوصى به بعض أصحابه وزاد، فإن الرأس يهلك والذنوب يسلم.

٤٩ - لِكُلِّ مَجْتَهِدٍ نَصِيبٌ،

ليس بحديث وهو في معنى (مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ) وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الزكّٰت: ٣٠].

٥٠ - لَوْ أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ ظَنَّهُ بِحَجَرٍ أَوْ لَوْ اعْتَقَدَ أَحَدُكُمْ حُجْرًا نَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَفَعَهُ، كَذِبٌ، لا أصل له كما قال ابن تيمية وابن حجر، وقال ابن القيم: هو من كلام عُيَادِ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ يَحْسِنُونَ ظَنَّهُمْ بِالْأَحْجَارِ.

٥١ - لَوْ لَا الْخَطَا مَا كَانَ الصَّوَابُ،

ليس بحديث.

(١) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤٧٦): لا أصل له فيها أعلم؛ ثم رأيت في «الزهد» لأحمد (٢٠/ ٨٠/ ١) من قول شعيب، وهو ابن حرب المدائني «الزاهد» توفي سنة ١٩٧ هـ وهو كلام يمجّه ذوقي، ولا يشهد لصحته قلبي، بل هو مباين لما نفهمه من الشريعة وحضها على معالي الأمور والأخذ بالعزائم فتأمل.

٥١. ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن^(١)،

٥٢. ما لا يدرك كله لا يترك كله،

قاعدة وليس بحديث وهو في معنى الآية ﴿فَأَنقُرُوا اللَّهَ مَا أَسْطَعْتُمْ﴾ [الأنعام: ١٦].

٥٣. المحببة مكبته،

أي تستر العيوب وهو ليس بحديث.

٥٤. المساواة في الظلم عدل،

ليس بحديث أصلاً.

٥٥. مصر أم الدنيا،

لا أصل له.

٥٦. مصر كنافة الله في أرضه، ما طلبها عدو إلا أهلكه الله^(٢)،

٥٧. المكتوب ما منه مهروب،

ليس بحديث ولكنه من الأمثال وفي معناه ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ

لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

٥٨. من أكل طعام أخيه ليسر له يضره،

ليس بحديث إنما هو من كلام أبي سليمان الداراني.

٥٩. من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه،

وفي معناه (لا تتكلم بما لا يعينك فتسمع ما لا يرضيك) وليس بحديث بل هو

مثل أو حكمة.

(١) منكر: ذكره في «الإحياء» بلفظ قال الله تعالى: «لم تسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبد المؤمن اللين الوادع» قال العراقي: لم أر له أصلاً وكذا أنكره ابن تيمية والزرکشي.

(٢) لا أصل له: قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» «الموضوعة» (٢/ ٢٩١) لا أصل له.

٦٠ - من جهل شيئاً عاداه،

لا يعرف حديثاً وهو في معنى (الناس أعداء ما جهلوا) وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْفَكٌ قَدِيرٌ﴾ [الْجَنَّاكُ: ١١].

٦١ - من حضر لأخيه قلوباً أوقعه الله فيه قريباً (من حضر قلوباً لأخيه أوقعه الله فيه)،

ونحو ذلك لا أصل له في الحديث، لكن جاء عن كعب الأحبار أنه سأل ابن عباس رضي الله عنه عن قولهم من حفر مهواة أوقعه الله فيها فقال: إنا نجد في كتاب الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [قَاتِلُ: ٤٣]، وجاء عن ابن عمر موقوفاً: مكتوب في التوراة من فجر فجر به ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها.

٦٢ - من صبر وتأنى نال ما يتمنى،

ليس بحديث، وفي التنزيل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى﴾

[الْجَاثِيَا: ٢٤]

٦٣ - من لانت كلمته وجبت محبته،

ليس بحديث ولكنه من كلام بعض السلف، ويشهد له قول ابن عمر:

بني إن البر شيء هين وجه طليق ولسان لين

٦٤ - من لم يخف الله خف منه،

ليس بحديث ومعناه صحيح، فقد جاء في الأثر أن الله أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام تخاف أحداً غيري قال نعم يا رب أخاف من لا يخافك.

٦٥ - من لم يصلحه الخير يصلحه الشر،

ليس بحديث، وهو من كلام بعض السلف.

٦٦- من لم يكن معك فهو عليك،

ليس بحديث لكنه من كلام الثوري.

٦٧- من ليس له -أو من لم يكن له- من قلبه واعظ لم تنفعه المواعظ،

هو من كلام بعض الصوفية.

٦٨- من تصح جاهلاً عاداه،

ليس بحديث، وقال الخليل بن أحمد لابن المثني: لا تردن على معجب خطئاً

فيستفيد منك علماً ويتخذك عدواً.

٦٩- من يخطب الحسنة يعط مهرها،

هو مثل وليس بحديث.

٧٠- الناس بلاء الناس،

لم أقف عليه في الحديث وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾

[الزَّكَّان: ٢٠]

٧١- الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا،

أخرجه ابن عساكر عن علي موقوفاً.

٧٢- الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك،

ليس بحديث، بل من كلام بعض الحكماء وقيل: من كلام الإمام الشافعي.

٧٣- لا تتمازضوا فتمرضوا ولا تحضروا قبوركم فتموتوا،

وأما الزيادات الدائرة على الألسن، فتموتوا فتدخلوا النار، فلا أصل لها أصلاً،

وقال ابن أبي حاتم في العلل هو حديث منكر.

٧٤. لا تسيدوني في الصلاة،

لا أصل له.

٧٥. لا تلد الحية إلا حوية،

هو مثل لا حديث، وفي التنزيل ﴿وَلَا يَلِدْ وَأَبَاً فَلَيْسَ كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

٧٦. لا سلام على أكل،

ليس بحديث وهو كلام شائع على الألسنة وليس بصحيح.

٧٧. يخرج عن يدك ولا يخرج عن طبعه،

مشهور على الألسنة، وفي معناه حديث أبي الدرداء رضي الله عنه إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه، فلا تصدقوا به فإنه يصير إلى ما جبل عليه.

٧٨. لكل ساقطة لاقطعة،

هو من كلام السلف، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ولكن الجاري على الألسنة لا يقصد به هذا المعنى، وكثيراً ما يعلل به انتقاص الوضوء بمس العجوز الشوهاة وتحريم رؤيتها ونحو ذلك.

٧٩. ما أنصف القاري المصلي،

قال الحافظ ابن حجر: لا أعرفه.

٨٠. ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من جبر القلوب،

لا أعرفه^(١).

٨١ - محبة في الأبناء صلته في الأبناء،

لم أقف عليه^(١).

٨٢ - المصائب مفاتيح الأرزاق،

ومصر أطيب الأرضين ترابًا وعجمها أكرم العجم أنسابًا قال الحافظ ابن حجر: لا أعرفه مرفوعًا، وإنما يذكر معناه عن عمرو بن العاص.

٨٣ - المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء،

لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، ولم أجد له أصلًا، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب.

٨٤ - من استرضي فلم يرض فهو شيطان،

ليس في المرفوع وإنما هو فيما أورده البيهقي في الشعب من جهة جعفر بن محمد الصادق قال: من لم يغضب عند التقصير لم يكن له شكر عند المعروف، ومن طريق الربيع، وفي مناقب الشافعي من جهة أحمد بن سنان كلاهما عن الشافعي من قوله بزيادة: ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار.

٨٥ - من جالس عالمًا فكانما جالس نبيًا،

لا أعرفه في المرفوع ولكن جاء عن الشافعي رحمه الله أنه قال: إذا رأيت رجلًا من أصحاب الحديث، فكانما رأيت النبي ﷺ^(٢).

٨٦ - من خاف الله أخاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء،

ليس بحديث، إنما هو من قول عمر بن عبد العزيز، ومثله قول الفضيل بن عياض: (من خاف الله لم يضره أحد) ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد، ومثله قول يحيى بن معاذ

(١) «المقاصر الحسنة» (١/ ١٩٩).

(٢) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢١٥).

الرازي: على قدر حبك الله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشغل في أمرك الخلق.

٨٧. من دعا لظالم بطول البقاء، فقد أحب أن يعصى الله،

ذكره الزمخشري في تفسير سورة هود، والغزالي في موضعين من الإحياء، ولم نره في المرفوع.

٨٨. من زرع حصدا،

ليس بحديث ولكن معناه صحيح وإليه يشير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [الزَّحَرَاتِ: ٣٠].

٨٩. من شكك ضرورته وجبت مساعدته،

ليس بحديث وإنما هو من كلام بعض السلف.

٩٠. من عبد الله بجهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح،

ليس بحديث إنما هو من كلام ضرار بن الأزور الصحابي.

٩١. من عرف نفسه استراح،

ليس بحديث إنما ذكره ابن أبي الدنيا في الصمت عن سفيان بن عيينة، قال: ليس يضر المدح من عرف نفسه.

٩٢. من قرأ البقرة وآل عمران ولم يدع بالشيخ فقد ظلم،

لا أصل له.

٩٣. من قصدنا وجب حقه علينا،

لم أقف عليه بهذا اللفظ^(١).

٩٤ - من يخطب الحسناء يعطي مهرها؛

ليس بحديث، وهو كلام صحيح يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُنْ تَائِلًا إِلَيْهِ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا يَحِبُّونَ﴾ [التحريم: ٩٢].

٩٥ - المؤمن ليس بحقوق؛

ذكره الغزالي في الإحياء، وقال مخرجه أنه لم يقف له على أصل.

٩٦ - الناس على دين ملئكمهم؛

لا أعرفه حديثاً، وقد جاء عن الفضيل بن عياض أنه قال ما معناه: لو كانت لي دعوة صالحة لرأيت السلطان أحق بها بصلاحه صلاح الرعية وبفساده فسادهم^(١).

٩٧ - النسيان طبع الإنسان؛

لا أعرفه بهذا اللفظ^(٢).

٩٨ - الوضوء على الوضوء نور على نور؛

ذكره الغزالي في الإحياء فقال مخرجه: لم أقف عليه، وسبقه لذلك المنذري، وأما الحافظ ابن حجر فقال: إنه حديث ضعيف رواه رزين في مسنده.

٩٩ - الولد سر أبيه؛

لا أصل له. وقد قال عبد العزيز الديريني في الدرر الملتقطة في توجيهه: إن الولد إنما يتعلم من أوصاف أبيه ويسرق من طباعه، بل قد يصحب المرء رجلاً فيسرق من طباعه في الخير والشر.

(١) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢٣٠).

(٢) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢٣٢).

١٠٠- يا ويل من نال الغنى بعد فاقته،

ليس بحديث، بل هو كلام وليس على إطلاقه وإن قيل:

سل الخير أهل الخير قدمًا ولا تسل فتى ذاق طعم اليبس منذ قريب

١٠١- يد عدوك إذا لم تقدر على قطعها قبلها،

ليس بحديث وإنما هو في ثامن عشر المجالسة عن المنصور: إذا مد إليك عدوك يده فإن قدرت على قطعها، وإلا فقبلها.

١٠٢- يرقص للقرود في دولته،

قال منصور بن الأزهري: أتيت باب المأمون، فإذا ابن أبي خبيصة قد خرج واللواء بين يديه، فثنى رجله على معرفة دابته وأنشأ يقول:

كم من رفيع القدر قد وضع الدهر وكم ذي مهانة رفعه

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

فارض من الدهر ما أتاك به من قر عينًا بعيشه نفعه

قال منصور: فلما كان في خلافة المتصر، ولي أيضًا فوافقته في ذلك الموضع، ففعل فعله الأول وأنشد:

وقائد يحف في أعوانه مثل حفيف الهيف في أجفانه

فإن تلقاك بعدوانه وخفت منه الجور في أوانه

فاسجد لقرود السوء في زمانه وداره ما دام في سلطانه

١٠٣- قلوب الشعراء خزانة الرحمن،

لا أصل له.

١٠٤- الدنيا ساعية فاجعلها طاعة،

لا أصل له

١٠٥- من تكلم عند الأذان خيف عليه زوال الإيمان،

باطل لا أصل له.

١٠٦- همّة الرجال تنزل الجبال^(١)،

١٠٧- حسبي من سؤالي علمه بحالي^(٢)،

١٠٨- الدنيا ضرة الآخرة^(٣)،

١٠٩- عليكم بدين العجائز^(٤)،

١١٠- حسنات الأبرار سيئات المقربين^(٥)،

١١١- اتقوا مواضع التهم^(٦)،

١١٢- أحيوا قلوبكم بقلّة الضحك وقلّة الشبع، وطهروها بالجوع تصغروا وترق^(٧)،

١١٣- الضكر نصف العبادة، وقلّة الطعام هي العبادة^(٨)،

(١) قال الألباني: في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٥٩ / ١): ليس بحديث. قال الشيخ إسماعيل العجلوني في «كشف الخفاء»: لم أقف على أنه حديث قلت: لم نجد له أصلاً.

(٢) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٧٤ / ١): لا أصل له، أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشيعية الموضوعة» وقال (٢٥٠ / ١): قال ابن تيمية: موضوع.

(٣) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٠٦ / ١): لا أصل له.

(٤) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٣٠ / ١): لا أصل له. كذا قال في «المقاصد» وذكره الصغاني في «الأحاديث الموضوعة» [٧]، وأورده الغزالي (٦٧ / ٣) مرفوعاً إليه عن أبيه، وقال مخرجه العراقي: قال ابن طاهر في «كتاب التذكرة» رقم (٥١١)، تداوله العامة، ولم أقف على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة.

(٥) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢١٦ / ١): باطل لا أصل له.

(٦) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٣٠ / ١): لا أصل له، أورده الغزالي في «الإحياء» (٣١ / ٣)، وقال مخرجه الحافظ العراقي: لم أجده أصلاً، وكذا قال السبكي في «الطبقات» (٤ / ١٦٢)، وقد روي موقوفاً نحوه فانظر «شرح الإحياء» للزيدي (٢٨٣ / ٧).

(٧) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٤١٥ / ١): لا أصل له. كما يفيد الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٧٣ / ٣)، والتاج السبكي في «الطبقات الكبرى» (٤ / ١٦٣).

(٨) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٤١٧ / ١)، باطل. وقد أفاد العراقي في «تخريج الإحياء» (٦٩ / ٣) أنه لا أصل له.

١١٤. من قلّد عالماً لقي الله سالماً^(١)،

١١٥. من صلى خلف عالم تقي، فكأنما صلى خلف نبي^(٢)،

١١٦. إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه^(٣)،

١١٧. لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزروع يموت إذا كثر

عليه الماء^(٤)،

١١٨. لهم ما لنا، وعليهم ما علينا،

يعني أهل الذمة^(٥)،

١١٩. على الخبير سقطت^(٦)،

١٢٠. من سأل في المساجد فاحرموه^(٧)،

١٢١. أنا ابن الذبيحين^(٨)،

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢/ ٢٩): لا أصل له، وقد سئل عنه السيد رشيد رضا رحمه الله فأجاب في مجلة «المنار» (٣٤/ ٧٥٩)، بقوله: ليس بحديث.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢/ ٤٤): لا أصل له، وقد أشار لذلك الحافظ الزيلعي، بقوله في «نصب الراية» (٢/ ٢٦): «غريب» وهذه عاداته في الأحاديث التي تقع في «الهداية»، ولا أصل لها، فيما كان من هذا النوع غريب، فاحفظ هذا فإنه اصطلاح خاص به.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢/ ١٤٠): لا أصل له. ذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ١٢٩) من حديث أبي ذر مرفوعاً، فقال الحافظ العراقي في «تخريجه»: لم أقف له على أصل.

(٤) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢/ ١٥٤): لا أصل له. وإن جزم الغزالي بعزوه إلى النبي ﷺ! فقد قال مخرجه العراقي (٣/ ٧٠): لم أقف له على أصل.

(٥) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٣/ ٢٢٢): باطل لا أصل له.

(٦) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٣/ ٣٧٢): لا أصل له مرفوعاً، وفي «المقاصد» (١٣٦) هو كلام بقوله المسؤول عما يكون به عالماً، جاء عن جماعة منهم ابن عباس مما صبح عنه حيث سئل عن البدنة إذا عطبت، وفي «دلائل النبوة» للبيهقي من طريق ابن إسحاق في نحو هذا أن أبا حازم الحضرمي قاله حين سئل عنه.

(٧) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٣/ ٦٥٣): لا أصل له كما قال السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (١/ ١٢٠).

(٨) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٤/ ١٧٢): لا أصل له.

١٢٢- نعم العون على الدين المرأة الصالحة^(١)

١٢٣- من لم تنتهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزد من الله إلا بعداً،

وفي لفظ: من لم تنتهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فلا صلاة له^(٢).

١٢٤- الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش،

وفي لفظ: الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب^(٣).

١٢٥- اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً،

قال الألباني: لا يصح مرفوعاً أي: ليس صحيح عن النبي ﷺ^(٤)

١٢٦- توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم^(٥)،

١٢٧- الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة^(٦)،

١٢٨- اختلاف أمتي رحمة،

موضوع^(٧).

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٥/ ٦٠): لا أصل له أورده الغزالي (٤/ ٩٠): مرفوعاً إلى

النبي ﷺ. و قال الحافظ العراقي: لم أجده إسناداً، وتبعه الشيخ تاج الدين السبكي في فصل جمع فيه

جميع ما في «الإحياء»، من الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً من كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ١٧٢)

(٢) قال الذهبي: قال ابن الجنيدي: كذب وزور. قال الحافظ العراقي: حديث إسناد له، قال الألباني: باطل

لا يصح من قبل إسناده ولا من جهة متنه «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٩٣) «تخريج الإحياء» (١/ ١٤٣).

«السلسلة الضعيفة» (٢/ ٩٨٥).

(٣) قال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل، قال عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي: لم أجده إسناداً، قال

الألباني: لا أصل له. «تخريج الإحياء» (١/ ١٣٦) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ١٤٥) «الضعيفة» [٤].

(٤) «الضعيفة» (٨).

(٥) قال ابن تيمية والألباني: لا أصل له «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (٢/ ٤١٥) «الضعيفة» [٢٢].

(٦) قال ابن حجر: لا أعرفه «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص [٢٠٨]. وهو في «تذكرة الموضوعات» للفتني

[٦٨]. وفي «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للقراري ص [١٩٥].

(٧) «الأسرار المرفوعة» [٥٠٦]، «تنزيه الشريعة» (٢/ ٤٠٢). وقال الألباني: لا أصل له. «الضعيفة» [١١]

١٢٩- أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم،

وفي لفظ: إنما أصحابي مثل النجوم فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم^(١).

١٣٠- أَدْبَنِي ربي. فأحسن تأديبي. قال ابن تيمية: لا يعرف له إسناد ثابت (٢).

١٣١- سَوَّرَ الْمُؤْمِنَ شَفَاءً،

لا أصل له^(٣).

١٣٢- التَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ،

لا أصل له^(٤).

١٣٣- النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا،

لا أصل له^(٥).

١٣٤- ثَوَّلَاكَ مَا خَلَقْتَ الدُّنْيَا،

موضوع^(٦).

١٣٥- أَنَا ابْنُ الدُّبَيْحِينَ،

لا أصل له^{(٧) (٨)}.

(١) قال ابن حزم: خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ٦٤) و (٦/ ٨٢)

وقال الألباني: موضوع. «الضعيفة» [٦٦]. وانظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٩١)

(٢) «أحاديث القصاص» [٧٨]. وأورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» [١٠٢٠]. والفتنى في «تذكرة الموضوعات» [٨٧].

(٣) «الأسرار المرفوعة» [٢١٧]. «كشف الخفاء» (١/ ١٥٠٠). «الضعيفة» [٧٨].

(٤) «لأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي [٣٥٦] «الضعيفة» [٩٥].

(٥) «الأسرار المرفوعة» [٥٥٥]. «الفوائد المجموعة» (٧٦٦). «تذكرة الموضوعات» (٢٠٠).

(٦) «اللؤلؤ المرصوع» للمشيبي [٤٥٤]. «ترتيب الموضوعات» [١٩٦]. «الضعيفة» [٢٨٢].

(٧) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٤/ ١٧٢)، لا أصل له.

(٨) «رسالة لطيفة» لابن قدامة [٢٣]. «اللؤلؤ المرصوع» [٨١]. «النخبة البهية» للسنباوي [٤٣].

١٣٦ - الأقربون أولى بالمعروف،

لا أصل له^(١).

١٣٧ - شاوروهن - يعني، النساء - وخالفوهن،

لا أصل له^(٢).

١٣٨ - ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقرفي صدره،

لا أصل له^(٣).

١٣٩ - تحية البيت الطواف،

لا أصل له^(٤).

١٤٠ - ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقرفي القلب وصدقه الفعل... الخ،

موضوع^(٥).

١٤١ - الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال، له ولها يجمع من لا عقل له،

ضعيف جداً^(٦).

١٤٢ - لا تجعلوا آخر طعامكم ماء،

لا أصل له^(٧).

(١) «الأسرار المرفوعة» [٥١]. «اللؤلؤ المرصوع» [٥٥]. «المقاصد الحسنة» للسخاوي [١٤١].

(٢) «اللؤلؤ المرصوع» [٢٦٤]. «تذكرة الموضوعات» [١٢٨]. «الأسرار المرفوعة» [٢٤٠].

(٣) «الأسرار المرفوعة» لعلي القاري [٤٥٢]، «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي [٢٨٨]،

«المنار المنيف» [٢٤٦].

(٤) «الأسرار المرفوعة» [١٣٠] «اللؤلؤ المرصوع» [١٤٣]، «الموضوعات الصغرى» للقاري [٨٨].

(٥) «ذخيرة الحفاظ» لابن طاهر (٤/٤٦٥٦) «الضعيفة» [١٠٩٨]، «تييض الصحيفة» لمحمد عمرو [٣٣].

(٦) «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي [٣٤٤]، «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٧٤).

(٧) «الضعيفة» [٢٠٩٦].

١٤٣- رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الأكبر

لا أصل له^(١).

١٤٤- إن الجبان حتفه من فوقه؛

الحتف الهلاك ولا يبنى منه فعل، وخص هذه الجهة لأن التحرز مما ينزل من السماء غير ممكن. يشير إلى أن الحتف إلى الجبان أسرع منه إلى الشجاع لأنه يأتيه من حيث لا مدفع له. قال ابن الكلبي: أول من قاله عمرو بن أمانة في شعر له وكانت مراد قتلته فقال هذا الشعر عند ذلك وهو قوله:

لقد حسوت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مقاتل عن طوقه والثور يحمي أنفه بروقه

يضرب في قلة نفع الحذر من القدر. وقوله حسوت الموت قبل ذوقه الذوق مقدمة الحسو فهو يقول قد وطنت نفسي على الموت فكأنني بتوطين القلب عليه كمن لقيه صراحًا.

١٤٥- إن في الشرخيّازا؛

الخير يجمع على الخيار والأخيار وكذلك الشر يجمع على الشرار والأشرار، أي أن في الشر أشياء خيّاًا. ومعنى المثل كما قيل بعض الشر أهون من بعض. ويجوز أن يكون الخيار الاسم من الاختيار أي في الشر ما يختار على غيره.

١٤٦- إن الحديد بالحديد يطلع؛

الفلح الشق، ومنه الفلاح للحراث؛ لأنه يشق الأرض، أي يستعان في الأمر الشديد بها يشاكله ويقاويه.

إن الحماة أولعت بالكنة وأولعت كنتها بالظنة

(١) «الأسرار المرفوعة» [٢١١]، «تذكرة الموضوعات» للفتني [١٩١].

الحياة أم زوج المرأة والكنة امرأة الابن وامرأة الأخ أيضًا والظنة التهمة وبين الحياة والكنة عداوة مستحكمة يضرب في الشريع بين قوم هم أهل لذلك.

١٤٧- إن لله جنودًا منها العسل،

قاله معاوية لما سمع أن الأشر سقي عسلًا فيه سم فمات وهو مثل يضرب عند الشبهة بما يصيب العدو.

١٤٨- إن الجواد قد يعثر،

يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلة.

١٤٩- إن في المعارض لمنذوحة عن الكذب،

هذا من كلام عمران بن حصين؛ والمعارض جمع المعارض، يقال عرفت ذلك في معارض كلامه، أي في فحواه قلت: أجود من هذا أن يقال التعريض ضد التصريح وهو أن يلغز كلامه عن الظاهر، فكلامه معرض، والمعارض جمعه ثم لك أن تثبت الياء وتمذفها والمنذوحة السعة وكذلك الندحة، يقال إن في كذا ندحة أي سعة وفسحة يضرب لمن يحسب أنه مضطر إلى الكذب.

١٥٠- إن السلامة منها ترك ما فيها،

قيل أن المثل في أمر اللقطة توجد وقيل: إنه في ذم الدنيا والحث على تركها وهذا في بيت أوله:

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك ما فيها

١٥١- إن الكذوب قد يصدق،

قال أبو عبيد هذا المثل وهو يضرب للرجل تكون الإساءة الغالبة عليه ثم تكون منه الهنة من الإحسان.

١٥٢- إن النساء لحم على وضوء،

الوضوء ما وقى به اللحم من الأرض من بارية أو غيرها وهذا المثل يروى عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلون رجل بمغيبية أن النساء لحم على وضوء.

١٥٣- إني لأكل الرأس وأنا أعلم ما فيه،

يضرب للأمر تأتبه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

١٥٤- إن كنت بي تشد أزرك فأرخه،

أي أن تتكل علي في حاجتك فقد حرمتها.

١٥٥- إذا عز أخوك فهن،

قال أبو عبيد: معناه مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحمية به إنما هو حسن خلق، وتفضل فإذا عاسرك فياسره، وكان المفضل يقول! أن المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي وكان أغار على بني ضبة فغنم، فاقبل بالغنائم فقال له أصحابه: اقسمها بيننا. فقال: إني أخاف أن تشاغلتم بالاققسام أن يدرككم الطلب. فأبوا، فعندها قال: إذا عز أخوك فهن. ثم نزل فقسم بينهم الغنائم وينشد لابن أحر:

دببت له الضراء وقلت أبقى إذا عز ابن عمك أن تهونا

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

نصب قوله، أخاك، بإضمار فعل أي: الزم أخاك أو أكرم أخاك، وقوله: أن من لا أخ له، أراد، لا أخ له، فزاد ألفاً لأن في قوله، له معنى الإضافة، ويجوز أن يحمل على الأصل أي إنه في الأصل، أخو، فلما صار أختاً، كعصى ورحى، ترك ههنا على أصله.

١٥٦- أنا عدلته وأخي خذلته وكلانا ليس بابن أمه،

يضر ب لمن يخذلك وتعذله.

١٥٧- أخوك من صدقك النصيحة،

يعني، النصيحة في أمر الدين والدنيا، أي صدقك في النصيحة، فحذف في وأوصل الفعل. وفي بعض الحديث، الرجل مرآة أخيه، يعني، إذا رأى من ما يكره أخبره به ونهاه عنه، ولا يوطئه العشرة.

١٥٨- إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض،

يروى، أن أمير المؤمنين علياً، عليه السلام، قال: إنما مثلي ومثل عثمان كمثلي أثوار ثلاثة كن في أجمة، أبيض وأسود وأحمر، ومعهن فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه. فقال: للثور الأسود والثور الأحمر: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتاني آكله، صفت لنا الأجمة. فقالا: دونك فكله. فأكله؛ فلما مضت أيام قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة. فقال: دونك فكله؛ فأكله. ثم قال للأحمر: إني أكلك لا محالة. فقال: دعني أنادي ثلاثاً. فقال: افعل. فنادى، ألا إني أكلت يرم أكل أثوار الأبيض. ثم قال علي عليه السلام: إلا إني هنت، ويروى: وهنت يومك قتل عثمان يرفع بها صوته يضربه الرجل، يرزأ بأخيه.

١٥٩- الإثم حزاز القلوب،

يعني، ما حز فيها وحكها أي أثر كما قيل الإثم ما حك في قلبك وإن أفتاك الناس عنه وأفتوك؛ والحزاز، ما يتحرك في القلب من الغم، ومنه قول ابن سيرين حين قيل له: ما أشد الورع؟ فقال: ما أيسره إذا شككت في شيء، فدعه.

١٦٠- أيها الممتن على نفسك فليكن المن عليك،

الامتنان، الإنعام والإحسان، يقال، لمن يحسن إلى نفسه، قد جذبت بها فعلت المنفعة إلى نفسك فلا تمن به على غيرك.

١٦١- إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك، فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك [قاله وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو مثل يضرب، في ذم الإسراف في الشيء].

١٦٢- أخذه برمته،

أي بجملته. الرمة، قطعة من الحبل بالية والجمع رمم ورمام، وأصل المثل: أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه، فقبل لكل من دفع شيئاً بجملته: دفعته إليه برمته وأخذه منه برمته. والأصل ما ذكرنا.

١٦٣- إنه لألمعي،

ومثله لو ذعي. يضرب للرجل المصيب بظنونه، قال أوس بن حجر: الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا، وأصله من لمع، إذا أضاء كأنه لمع له ما ظلم على غيره. وفي حديث مرفوع أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لم تكن أمة إلا كان فيها محدث، فإن يكن في هذه الأمة محدث، فهو عمر»^(١). قيل: وما أحدث؟ قال: الذي يرى الرأي ويظن الظن فيكون كما رأى وكما ظن. وكان عمر رضي الله عنه كذلك.

١٦٤- أكل عليه الدهر وشرب،

يضرب لمن طال عمره، يريدون أكل وشرب دهرًا طويلاً. وقال:

كم رأينا من أناس قبلنا شرب الدهر عليهم وأكل

(١) أخرجه البخاري برقم [٣٤٦٩]، وفي [٣٦٨٩] من حديث أبي هريرة، ومسلم [٢٣٩٨]، وأحمد [٢٤٣٣٠]، والترمذي [٣٦٩٣]، وابن حبان [٦٨٩٤] من حديث عائشة.

١٦٥- أتاك ريان بلبنه،

يضرب لمن يعطيك ما فضل منه، استغناء لا كرمًا، لكثرة ما عنده.

١٦٦- إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف،

يضرب للرجل الداهي. قال بعضهم: تؤكل الكتف من أسفلها ومن أعلى يشق عليك. ويقولون: تجري المرققة بين لحم الكتف والعظم، فإذا أخذتها من أعلى جرت عليك المرققة وانصبت، وإذا أخذتها من أسفلها انقشرت عن عظمها وبقيت المرققة مكانها ثابتة.

١٦٧- إذا نزا بك الشر فاقعد به،

يضرب لمن يؤمر بالحلم وترك التسرع إلى الشر؛ ويروى إذا قام بك الشر، فاقعد.

١٦٨- إياك وما يعتذرنه،

أي لا ترتكب أمرًا تحتاج فيه إلى الاعتذار منه.

١٦٩- إذا زل العالم زل بزلته عالم،

لأن للعالم تبعًا فهم به يقتدون. قال الشاعر:

إن الضقيه إذا غوى وأطاعه قوم غووا معه فضاع وضعها
مثل السفينة إن هوت في لجة تغرق ويغرق كل ما فيها معا

١٧٠- إن تعش ترما لم تره، أو بمعنى آخر، اللي يلف يشوف كثير،

هذا مثل قولهم: عش رجبا تر عجبًا. قال أبو عيينة المهلب:

قل لمن أبصر حالًا منكروه ورأى من دهره ما حيره
ليس بالمنكر ما أبصرته كل من عاش يرى ما لم يره
ويروى: رأى ما لم يره.

١٧١ - إذا كنت في قوم فاحلب في إناثهم،

يضرب في الأمر بالموافقة، كما قال الشاعر:

إذا كنت في قوم عدي لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

١٧٢ - إذا قلت له زن طأطأ رأسه وحنن،

يضرب هذا المثل للرجل البخيل.

١٧٣ - إذا جاءت السنة جاء معها أعوانها،

يعني، الجراد والذباب والأمراض. يعني إذا قحط الناس اجتمع البليات والمحن.

١٧٤ - إن كثير النصيحة يهجم على كثير الظنّة،

أي: إذا بالغت في النصيحة اتهمك من تنصحه.

١٧٥ - إنما هو الفجر أو البحر،

أي: إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قدرك، وإن خبطت الظلماء

وركبت العشواء هجمًا بك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع منها.

١٧٦ - إن كنت كذوبًا فكُن ذكوزًا،

يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيحدث بخلاف ذلك.

١٧٧ - إذا اشتريت فاذا ذكر السوق،

يعني، إذا اشتريت فاذا ذكر البيع لتجنب العيوب.

١٧٨ - إياك والسامة في طلب الأمور، فتقذفك الرجال خلف أعقابها،

قال أبو عبيد: يروي عن أبجر بن جابر العجلي أنه قال فيما أوصى به ابنه حجازًا: يا

بني إياك والسامة. يضرب في الحث على الجلد في الأمور، وترك التفريط فيها.

١٧٩- إذا لم تسمع فألمع،

أي: إن عجزت عن الإسماع لم تعجز عن الإشارة.

١٨٠- إنما الشيء كشكله،

قاله أكثم بن صيفي: يضرب للأمرين، أو الرجلين، يتفقان في أمر، فيأتلفان.

١٨١- إذا رزقك الله مفرفة فلا تحرق يدك،

يضرب هذا المثل لمن كفي بغيره.

١٨٢- برق لمن لا يعرفك،

أي، هدد من لا علم له بك، فإن من عرفك لا يعبا بك. والتبريق، تحديد النظر. ويروى: برقي، بالتأنيث، يقال: برق عينيه تبريقاً إذا أوسعها كأنه قال برق عينيك، فحذف المفعول. ويجوز أن يكون من قولهم: رعد الرجل وبرق، إذا أوعد وتهدد وشدد أرادة التكثير. أي كثر وعيدك لمن لا يعرفك.

١٨٣- بال حمار فاستبال أحمره،

أي، حملهن على البول. يضرب في تعاون القوم على ما تكرهه.

١٨٤- أبداهم بالصراخ يضروا،

قال أبو عبيد: هذا مثل لقد ابتذله العامة وله أصل، وذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل، فيتخوف لأئمة صاحبه، فيبدؤه بالشكاية والتجني ليرضى منه الآخر بالسكوت. يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه.

١٨٥- أباد الله خضرأهم،

قال الأصمعي: معناه أذهب الله نعمتهم وخصبهم. ومنهم من يقول: أباد الله خضرأهم. أي همتهم، خيرهم وخصبهم. وقال بعضهم: أي بهجتهم وحسنهم. وهو مأخوذ من الغضارة، وهي البهجة والحسن.

قال الشاعر:

أحشو التراب على محاسنه وعلى غضارة وجهه النضر

١٨٦ - بقبقة في زقزقة،

البقبقة، الصخب، والزقزقة، الضحك، يضرب للنفاج الذي يأتي بالباطل.

١٨٧ - البغي آخر مدة القوم،

يعني، أن الظلم إذا امتد مداه آذن بانقراض مدتهم.

١٨٨ - أبهى من القمرين،

يعني الشمس والقمر.

١٨٩ - بيت الإسكاف فيه من كل جلد رقعة،

يضرب هذا المثل لأخلاق الناس.

١٩٠ - بطن جائع ووجه مدهون،

يضرب هذا المثل للمتشبع زورًا.

١٩١ - ترك الذنب أيسر من طلب التوبة،

يضرب هذا المثل لما تركه خير من ارتكابه.

١٩٢ - تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها،

أي، لا تكون ظنًّا وإن آذاها الجوع. ويروى، ولا تأكل ثدييها. وأول من قال ذلك، الحرث بن سليل الأسدي، وكان حليفًا لعلمقة بن خصفة الطائي فزاره فنظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجمل أهل دهرها، فأعجب بها، فقال له: أتيتك خاطبًا، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنح الراغب. فقال له علمقة: أنت كفؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو، فأقم نظري في أمرك. ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحرث ابن سليل سيد قومه حسبًا ومنصبًا وبيتًا، وقد خطب إلينا الزباء، فلا ينصرفن إلا بحاجته. فقالت امرأته لا بئتها: أي الرجال أحب إليك الكهل الجحجح الواصل المناخ، أم الفتى الواضح؟

قالت: لا، بل الفتى الواضح. قالت: إن الفتى يغيرك وإن الشيخ يميزك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن. قالت: يا أمته إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أيتق الكلا. قالت: أي بنية، إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب. قالت: إن الشيخ يبلي شبابي ويدنس ثيابي ويشمت بي أترابي. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها؛ فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابنتي بها، ثم رحل بها إلى قومه. فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه، وهي إلى جانبه، إذا أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون، فتنفست سعداء، ثم أرخت عينيها بالبكاء. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيخ الناهضين كالفرخ. فقال لها: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثديها. قال أبو عبيد: فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر، لا تأكل ثديها. وكان بعض العلماء يقول هذا لا يجوز وإنها هو لا تأكل بثديها. قلت: كلاهما في المعنى سواء، لأن معنى، لا تأكل ثديها، لا تأكل أجرة ثديها. ومعنى بثديها، أي لا تعيش بسبب ثديها وبها يغلان عليها. ثم قال الحرث لها: أما وأبيك لرب غارة شهدتها، وسبية أردفتها، وخرة شربتها، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك. وقال:

تهزات ان راتني لابسًا كبرا وغاية الناس بين الموت والكبر

١٩٣- تشددي تنفرجي،

الخطاب للدهاية. أي تناهي في العظم والشدة ذهبي. يضرب عند اشتداد الأمر. وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [التين: ٥، ٦]، وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين أجذبت الأرض، وقحط المطر، وقنط الناس. قال: إذا مطرتم. فجعل عمر بن الخطاب اشتداد الحال علامة على قرب المطر، قال رحم الله بعد قوله له:

مطرح، تلا قول الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال الشافعي:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاققت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج
وكما قيل:

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير وكل وقت له أمر وتدبير
وللمهيمن في حالتنا قدر وفوق تدبيرنا لله تدبير

١٩٤- تضرب في حديد بارد،

يضرب هذا المثل لمن طمع في غير مطمع.

١٩٥- اتخذوه حمار الحاجات،

يضرب هذا المثل للذي يمتهن في الأمور.

١٩٦- اترك الشر يتركك،

أي: إنما يصيب الشر من تعرض له. زعموا أن لقمان الحكيم قال لابنه: اترك الركما
يتركك. أراد كيما يترك، فحذف الياء وأعملها.

١٩٧- تغد بالجدى قبل أن يتعشى بك،

يضرب في أخذ الأمر بالحزم.

١٩٨- تشتهي وتشتكي،

أي: تحب أن تأخذ، وتكره أن يؤخذ منك.

١٩٩- تركته على مثل خد الفرس،

أي: تركته على طريق واضح مستو.

٢٠٠- تركته على مثل شراك النعل،

أي: في ضيق حال.

٢٠١- تركته على مثل مشفر الأسد،

يضرب لمن تركه عرضة للهلاك.

٢٠٢- جاء يجربقره،

أي: عياله كني عن العيال بالبقر، لأن النساء محل الحرث والزرع، كما أن البقر آلة لها.

٢٠٣- الجارشم الدار،

هذا كقولهم: الرفيق قبل الطريق. قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث

بهذا الكلام، ويقول: معناه إذا أردت شراء دار، فسل عن جوارها قبل شرائها.

وكما قال الشاعر:

يلومني أن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جازاً هناك ينقص

فقلت لهم كضوا الملام فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

٢٠٤- جد لا مري يجد لك،

أي: أحب له خيرًا يجب لك مثله.

٢٠٥- جاؤوا على بكرة أبيهم،

قال أبو عبيد: أي جاؤوا جميعًا لم يتخلف منهم أحد وليس هناك بكرة في الحقيقة.

وقال غيره: البكرة، تأنيث البكر، وهو الفتى من الإبل. يصفهم بالقلة، أي جاؤوا

بحيث تحملهم بكرة أبيهم قلة. وقال بعضهم: البكرة ههنا التي يستقى عليها أي جاؤوا

بعضهم على أثر بعض، كدوران البكرة على نسق واحد. وقال قوم: أرادوا بالبكرة

الطريقة كأنهم قالوا جاؤوا على طريقة أبيهم، أي يتقيلون أثره. وقال ابن الأعرابي: البكرة جماعة الناس. يقال: جاؤوا على بكرتهم، وبكرة أبيهم، أي بأجمعهم. قلت: فعلى قول ابن الأعرابي يكون على في المثل بمعنى مع، أي جاؤوا مع جماعة أبيهم، أي مع قبيلته.

ويجوز أن يكون على من صلة معنى الكلام، أي جاؤوا مشتملين على قبيلة أبيهم. هذا هو الأصل. ثم يستعمل في اجتماع القوم وإن لم يكونوا من نسب واحد. ويجوز أن يراد بالبكرة التي يستقى عليها، وهي إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد. فشبه اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم.

٢٠٦ - حسبك من شرسماعه،

أي: اكتف من الشر بسماعه ولا تعينه. ويجوز أن يريد، يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه.

وقال بعض النساء الشواعر:

سائل بنا في قومنا وليكف من شرسماعه

٢٠٧ - حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق،

أي: اكتف بالقليل من الكثير.

٢٠٨ - حسبك الشيء يعمي ويصم،

أي: يخفي عليك مساويه، ويصمك عن سماع العذل فيه.

٢٠٩ - احمل العبد على فرس فإن هلك هلك وإن عاش فلك،

يضرب هذا لكل ما هان عليك أن تخاطر به.

٢١٠ - حبيب جاء على فاقة،

يضرب للشيء يأتيك على حاجة منك إليه وموافقة.

يعني: أن المؤمن يحرص على جمع الحكم، من أين يجدها يأخذها.

٢١٢ - أحقق من جحا،

هو رجل من فزارة، وكان يكنى أبا الغصن. فمن حقه أن عيسى بن موسى الهاشمي مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً فقال له: مالك يا أبا الغصن؟ قال: إني قد دفنت في هذه الصحراء دراهم ولست أهندي إلى مكانها. فقال عيسى: كان يجب أن تجعل عليها علامة. قال: قد فعلت. قال ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلها ولست أرى العلامة. ومن حقه أيضاً أنه خرج من منزله يوماً بغلس فعثر في دهليز منزله بقتيل فضج به، وجره إلى بئر منزله، فألقاه فيها، فنذر به أبوه فأخرجه وغيبه وخنق كبشاً حتى قتله وألقاه في البئر. ثم أن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم جحا فقال: في دارنا رجل مقتول، فانظروا أهو صاحبكم. فعدلوا إلى منزله، وأنزلوه في البئر. فلما رأى الكبش ناداهم وقال: يا هؤلاء، هل كان لصاحبكم قرن؟ فضحكوا ومروا.

ومن حقه أن أبا مسلم صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين: أنا، ودعاه، فلما دخل لم يكن في المجلس غير أبي مسلم ويقطين فقال: يا يقطين، أيكما أبو مسلم؟ قلت: وجحا اسم لا ينصرف لأنه معدول من جاح، مثل عمرو من عامر يقال: جحا يجحو جحووا إذا رمى. ويقال: حيا الله جحوتك. أي وجهك.

٢١٣ - خير مالك ما نفعك،

قال أبو عبيد: العامة تذهب بهذا المثل إلى أن خير المال ما أنفقته صاحبه في حياته ولم يخلفه بعده. وكان أبو عبيدة يتأوله في المال يضيع للرجل فيكسب به عقلاً يتأدب به في حفظ ماله فيما يستقبل. كما قالوا: لم يضع من مالك ما وعظك.

٢١٤ - خير الأمور أوسطها،

يضرب في التمسك بالاقتصاد. قال أعرابي للحسن البصري: علمني ديناً وسطاً،
لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً. فقال: أحسنت يا أعرابي، خير الأمور أوسطها.

٢١٥ - الخطأ زاد العجول،

يعني: قل من عجل في أمر إلا أخطأ قصد السبيل.

٢١٦ - خذ بيدي اليوم آخذ برجلك غداً،

أي: انفعني بقليل أنفعك بكثير.

٢١٧ - دع امرئاً وما اختار،

يضرب لمن لا يقبل وعظك. يقال: دعه واختاره. كما قيل:

إذا المرء لم يدر ما أمكنه	ولم يأت من أمره أزينه
وأعجبه العجب فاقتاده	وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضحك يوماً ويبكي سنه

٢١٨ - ذهب منه الأطيبان،

يضرب لمن قد أسن؛ أي لذة النكاح والطعام، قال نهشل:

إذا فات منك الأطيبان فلا تبلى متى جاءك اليوم الذي كنت تحذر

٢١٩ - رماه الله بداء الذئب،

معناه أهلكه الله، وذلك أن الذئب لا داء له إلا الموت. ويقال: معناه، رماه الله

بالجوع، لأن الذئب أبداً جائع.

٢٢٠- رب أخ لك لم تلده أمك،

يعني به الصديق فإنه ربا أربى في الشفقة على الأخ من الأب والأم.

٢٢١- أرسل حكيمًا وأوصه،

أي: إنه وإن كان حكيمًا فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك. ويضده يقال:

٢٢٢- أرسل حكيمًا ولا توصه،

أي: هو مستغن بحكمته عن الوصية، قالوا أن هذين المثليين للقمان الحكيم، قالهما لابنه.

٢٢٣- رب فرحت تعود ترحته،

يعني: إن الرجل يولد له الولد فيفرح وعسى أن يعود فرحه إلى ترح لجناية يجنيها، أو ركوب أمر فيه هلاكه.

٢٢٤- الروم إذا لم تغز غزته،

يعني: أن العدو إذا لم يقهر رام القهر، وفي هذا حض على قهر العدو.

٢٢٥- رماه الله بلبلة لا أخت لها،

أي: بلبلة يموت فيها.

٢٢٦- ربما أصاب القبي رشده،

الغباوة: الحمق. يضرب في التسليم والرضا بالقدر.

٢٢٧- رأسه في القبلة واسته في الخرية،

يضرب لمن يدعي الخير وهو عنه بمعزل.

٢٢٨ . استوت به الأرض؛

يعنون إنه مات ودرس قبره حتى لا فرق بينه وبين الأرض التي دفن فيها.

٢٢٩ . سحابته صيف عن قليل تقشع؛

يضرب في انقضاء الشيء بسرعة.

٢٣٠ . شر الرعاء الحطمة؛

وهو الذي يحطم الراعية بعنفه. يضرب لمن يلي شيئاً ثم لا يحسن ولايته، وإنما ينبغي أن يكون الراعي كما قال الراعي:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس إصبعاً
أي أثراً حسناً.

٢٣١ . شق فلان عصا المسلمين؛

إذا فرق جمعهم. قال أبو عبيد: معناه فرق جماعتهم. قال: والأصل في العصا الاجتماع والاتلاف، وذلك أنها لا تدعي عصا حتى تكون جميعاً، فإن انشقت لم تدع عصا. ومن ذلك قولهم للرجل إذا أقام بالمكان، واطمأن به، واجتمع له فيه أمره: قد ألقى عصاه.

قال معقر البارقي:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

قالوا: وأصل هذا أن الحادين يكونان في رفقة فإذا فرقهم الطريق شقت العصا التي معها فأخذ هذا نصفها وهذا نصفها. يضرب مثلاً لكل فرقة. قال صلة بن أشيم لأبي السليل: إياك أن تكون قاتلاً أو مقتولاً في شق عصا المسلمين.

٢٣٢ - الشجاع موقى ،

وذلك أنه قل من يرغب في مبارزته خوفاً على نفسه . وهذا كما يقال : أحرص على الموت توهب لك الحياة .

٢٣٣ - شر السمك يكدر الماء ،

أي لا تحقر خصماً صغيراً .

٢٣٤ - صاحب ثريد وعافيت ،

يضرب لمن عرف بسلامة الصدر .

٢٣٥ - صار إلى ما منه خلق ،

يضرب هذا المثل للميت .

٢٣٦ - الظلم مرتعه وخيم ،

قاله حنين بن خشرم السعدي ، أي : عاقبته مذمومة . وجعل للظلم مرتعاً لتصرف الظالم فيه ، ثم جعل المرتع وخيماً لسوء عاقبته إثمًا في الدنيا وإثمًا في العقبى .

٢٣٧ - عليه من الله لسان صالحته ،

يعني الثناء . يضرب لمن يشنى عليه بالخير .

٢٣٨ - أعط أخاك تمرة فإن أبى فجمرة ،

يضرب للذي يختار الهوان على الكرامة ، وهو موافق لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

٢٣٩ - على الخبير سقطت ،

الخبير العالم ، والخبير العلم . وسقطت ، أي : عثرت ، عثر عن العثر بالسقوط لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه . يقال : إن المثل للمالك ابن جبير العامري ، وكان

من حكماء العرب، وتمثل به الفرزدق للحسين ابن علي عليه السلام حين أقبل يريد العراق فلقبه وهو يريد الحجاز، فقال له الحسين عليه السلام : ما وراءك؟ قال: على الخير سقطت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والأمر ينزل من السماء. فقال الحسين عليه السلام : صدقتني.

٢٤٠ - أعذر من أئذرك

أي من حذرک ما یجل بک فقد أعذر إليك، أي صار معذورًا عندك.

٢٤١ - عمك أول شارب

أي عمك أحق بخيرك ومنفعتك من غيره، فابدأ به! يضرب في اختصاص بعض القوم.

٢٤٢ - العاقل من يرى مقرسهمه من رميته؛

يضرب في النظر في العواقب.

٢٤٣ - في الخير له قدم؛

يريدون له سابقة في الخير. قال حسان بن ثابت الأنصاري عليه السلام :

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا لأولنا في ملة الله تابع

ويروى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى: ﴿قَدَّمَ صِدْقِي﴾، يعني الأعمال الصالحة.

وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَّمَ صِدْقِي عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يُونُسُ: ٢]، القدم:

محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم. قال أبو زيد: يقال رجل قدم إذا كان شجاعاً.

٢٤٤ - في الجريرة تشترك العشيرة؛

يضرب في الحث على المواساة.

٢٤٥. في الله تعالى عوض عن كل فائت،

قاله عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

٢٤٦. في العافية خلف من الراقية،

أي من عوفي لم يحتاج إلى راقٍ وطبيب، والهاء في الراقية دخلت للمبالغة. ويجوز أن تكون الراقية مصدرًا كالباقية والواقية.

٢٤٧. قطعت جهيزة قول كل خطيب،

أصله أن قومًا اجتمعوا يخطبون في صلح بين حين قتل أحدهما من الآخر قتيلًا، ويسألون أن يرضوا بالدية، فبينما هم في ذلك إذ جاءت أمة يقال لها جهيزة فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله، فقالوا عند ذلك: قطعت جهيزة قول كل خطيب؛ أي قد استغني عن الخطب يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

٢٤٨. قشرت له العصا،

يضرب في خلوص الود، أي أظهرت له ما كان في نفسي. ويقال: اقشرت له العصا، أي كاشفه وأظهر له العداوة.

٢٤٩. القول ما قالت حذام،

أي، القول السديد المعتقد به ما قالته وإلا، فالصدق والكذب يستويان في أن كلاً منهما قول يضرب في التصديق. قال ابن الكلبي: إن المثل للجيم بن صعب والد حنيفة وعجل، وكانت حذام امرأته، فقال فيها زوجها لجيم:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ويروى فانصتوها، أي أنصتوا لها. كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم.

٢٥٠ - قد أسمعت لو ناديت حيا،

يضرب لمن يوعظ فلا يقبل ولا يفهم.

٢٥١ - أقلل طعامك تحمد منامك،

أي أن كثرت تورث الآلام المسهرة.

٢٥٢ - أقصرلما أبصر،

أي أمسك عن الطلب لما رأى سوء العاقبة.

٢٥٣ - الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأنس مكسبة لقراءة سوء،

قاله أكتف بن صيفي: قال أبو عبيد: يريد أن الاقتصار في الأمور أدنى إلى السلامة.

يضرب في توسط الأمور بين الغلو والتقصير كما قال الشاعر:

إن كنت منبسطاً سميت مسخرة أو كنت منقبضاً قالوا به ثقل

وإن أعاشرهم قالوا لهيبتنا وإن أجانبهم قالوا به ملل

٢٥٤ - قول الحق لم يدع لي صديقا،

يُروى عن أبي ذر، رضي الله تعالى عنه.

٢٥٥ - قد تؤذيني النار فكيف أصلي بها،

يضرب، لكل ما يكره الإنسان أن يراه أو يفعل إليه مثله.

٢٥٦ - كل ذات بعل ستثير،

هذا من أمثال أكتف بن صيفي، قال الشاعر:

أفاطم إنني هالك فتبيني ولا تجزعي كل النساء تثير

يقال: آمت المرأة. تثير أي صارت أيًا. وقوله: ستثير أي ستفارق بعلاها

فتبقى بلا زوج.

٢٥٧ - كلام كالعسل وفعل كالأسل؛

يضرب في اختلاف القول والفعل.

٢٥٨ - كل امرئ في بيته صبي؛

أي: يطرح الحشمة ويستعمل الفكاهة. يضرب في حسن المعاشرة، قيل: كان يزيد بن ثابت من أفكه الناس في أهله وأدمتهم إذا جلس مع الناس، وقال عمر رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً.

٢٥٩ - كل فتاة بأبيها معجبة؛

يضرب في عجب الرجل برهطه وعشيرته. وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدي.

٢٦٠ - «كن وسطاً وامش جانبا»؛

أي: توسط القوم وزايل أعمالهم. كما قيل: خالطوا الناس وزايلوهم.

٢٦١ - لولا الوثام لهلك الأنام؛

الوثام الموافقة يقال: واءمته مواءمة ووثامًا. وهي أن تفعل مثل ما يفعل، أي لولا موافقة الناس بعضهم بعضًا في الصحبة والمعاشرة لكانت الهلكة. هذا قول أبي عبيد وغيره من العلماء. وأما أبو عبيدة، فإنه يروي: لولا الوثام لهلك اللثام. وقال: الوثام، المباهاة. قال: إن اللثام ليسوا يأتون الجميل من الأمور على أنها أخلاقهم، وإنما يفعلونها مباهاة وتشبهًا بأهل الكرم؛ ولولا ذلك لهلكوا. ويروي لولا اللثام لهلك الأنام. من قولهم لاءمت بينهما، أي أصلجت، من اللأم وهو الإصلاح. ويروي: اللوام بمعنى الملاومة، من اللوم.

٢٦٢- لن يهلك امرؤ عرف قدره،

قال المفضل: إن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء. كتب إليهم: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقاء، فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع؛ وعليكم بالخييل فأكرموها فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها، فإن فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألbanها يتحف الكبير، ويغذى الصغير، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت؛ ولن يهلك امرؤ عرف قدره؛ والعدم عدم العقل لا عدم المال؛ ولرجل خير من ألف رجل؛ ومن عتب على الدهر طالت معتبته، ومن رضي بالقسم طابت معيشتة، وآفة الرأي الهوى، والعادة أملك، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى.

والدنيا دول فما كان لك أذاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد داء ليس له دواء، والشجاعة تعقب، ومن ير يومًا يره. قبل الرماء تملأ الكنائن. الندامة مع السفاهة. دعامة العقل الحلم. خير الأمور مغبة الصبر. بقاء المودة عدل التعاهد. من ينزر غبًا يزدد حبًا. التفرير مفتاح البؤس. من التواني والعجز نتجت الهلكة. لكل شيء ضراوة، فضر لسانك بالخير. عي الصمت أحسن من عي المنطق. الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت. كثير التنصح يهجم على كثير الظنة. من ألحف في المسألة أثقل. من سأل فوق قدره استحق الحرمان. الرفق يمن، والخرق شؤم. خير السخاء ما وافق الحاجة. خير العفو ما كان بعد القدرة. فهذه خمسة وثلاثون مثالًا في نظام واحد.

٢٦٣- لله دوه،

أي خيره وعطاؤه وما يؤخذ منه. هذا هو الأصل، ثم يقال لكل متعجب به.

٢٦٤- للباطل جولة، ثم يضمحل (للباطل جولة، وللحق دولة)

أي لا بقاء للباطل وإن جال جولة. ويضمحل ويذهب.

٢٦٥ - لما اشتد ساعده رمانى،

يضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه، قال الشاعر:

فيا عجباً لمن ربيت طفلاً القمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني
أعلمه الفتوة كل وقت فلما طر شاربه جفاني

٢٦٧ - اللقم تورث النقم،

يضرب في ذم الارتشاء. يعني نقم الله تعالى. ويجوز أن يريد: نعم الراشي، إذا لم يأت الأمر على مراده.

٢٦٨ - لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا،

أي، ما داموا يتفاوتون في الرتب، فيكون أحدهم آمراً والآخر مأموراً، فإذا صاروا في الرتب سواء لا يبقاد بعضهم لبعض فحيثذ هلكوا. والجالب للباء في «بخير» معنى الفعل وهو لن يزلوا متصلين ومتسمين بخير. وقال أبو عبيد: أحسب قولهم، فإذا تساوا هلكوا، لأن الغالب على الناس الشر، وإنما يكون الخير في النادر من الرجال لعزته، فإذا كان التساوي فإنها هو في السوء.

٢٦٩ - لا يضر السحاب نباح الكلاب،

يضرب لمن ينال من إنسان بما لا يضره.

٢٧٠ - لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً،

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: لا تكن في الإخاء مكثراً، ثم تكون فيه مدبراً فيعرف سرفك في الإكثار بجفائك في الإدبار. ومنه الحديث: أحب حبيبك هوئاً ما

عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوئاً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما. ومنه قول النمر بن تولب:

أحبب حبيبك حباً رويداً فليس يعولك أن تصرما
وابغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكما
وقريب منه بيت عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي
٢٧١. لا ترفع عصاك عن أهلك،

قال أبو عبيد: قد علم أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يرد ضربهم بالعصا، إنما هو الأدب. أراد: لا ترفع أدبك عنهم، وقيل: أراد، لا تغب ولا تبعد عنهم، من قولهم: انشقت عصاهم، إذا تباعدوا وتفرقوا. وهذا تأويل حسن.

٢٧٢. لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقاً،

يضرب لمن يكظم الغيظ. ونصب «رفيقاً» على الحال. وأراد بالريق ريق الغضب.

٢٧٣. مقتل الرجل بين فكيه،

المقتل، القتل وموضع القتل أيضاً. ويجوز أن يجعل للسان قتلاً مبالغة في وصفه بالإفضاء إليه. قال: إنما هي إقبال وإدبار. ويجوز أن يجعل موضع القتل. أي بسببه يحصل القتل. ويجوز أن يكون بمعنى القاتل، فالمصدر ينوب عن الفاعل، كأنه قال: قاتل الرجل بين فكيه. قال المفضل: أول من قال ذلك أكثم بن صيفي في وصية لبنيه، وكان جمعهم فقال: تباروا، فإن البر يبقى عليه العدد، وكفوا ألسنتكم، فإن مقتل الرجل بين فكيه. إن قول الحق لم يدع لي صديقاً. الصديق منجاة. لا ينفع التوقي مما هو واقع. في طلب المعالي يكون العناء.

الاقتصاد في السعي أبقي للجحام. من لم يأس على ما فاتته ودَّع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قَرَّت عينه. التقدم قبل التندم. أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند

ذنبه. لم يهلك من مالك ما وعظك. ويل لعالم أمره من جاهله. يتشابه الأمر إذا أقبل وإذا أدبر عرفه الكيس والأحق. البطر عند الرخاء حق، والعجز عند البلاء أمن. لا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير. لا تجبوا فيها لا تسألوا عنه، ولا تضحكوا ما لا يضحك منه. تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يقعق عنده. وقد أحسن من قال: رحم الله امرءاً أطلق ما بين كفيه، وأمسك ما بين فكيه.

ولله در أبي الفتح البستي حيث يقول في هذا المثل:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حي والسكوت جماد
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد
واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي فقال:

إذا كنت ذا علم وماراك جاهل فأعرض فصي ترك الجواب جواب
وإن لم تصب في القول فاسكت فإنما سكوتك عن غير الصواب صواب
٢٧٤ - ما أشبه الليلة بالبارحة،

أي: ما أشبه بعض القوم ببعض. يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة. وتمثل به الحسن عليه السلام في بعض كلامه للناس؛ وهو من بيت أوله:

كلهم أروغ من ثعلبة ما أشبه الليلة بالبارحة
وإنما خص البارحة لقربها منها، فكأنه قال: ما أشبه الليلة بالليلة وهو يضرب عند تشابه الشئين.

٢٧٥ - المزاحمة تذهب المهابة المزاح والمزاحمة المزح، والمزاح الممازحة، والمهابة الهيبية.

أي إذا عرف بها الرجل قلت هيئته. وهذا من كلام أكثم بن صيفي. ويروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: إياك والمزاح إنه يجر إلى القبيحة ويورث الضعينة.

قال أبو عبيد: وجاءنا عن بعض الخلفاء أنه عرض على رجل حلتين يختار إحداهما فقال الرجل: كليهما وتمراً، فغضب عليه وقال: أعندي يمزح، فلم يوله شيئاً.

٢٧٦ - ما ظنك بجارك؟ فقال، ظني بنفسي،

أي أن الرجل يظن بالناس ما يعلم من نفسه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

٢٧٧ - ما لك لا تنبح يا كلب الدوم. قد كنت نباخا فما لك اليوم،

يضرب لمن كبر وضعف. أصل المثل أن رجلاً كان له كلب، وكان له عير، فكان كلبه كلما جاءت نبح، فأبطأت العير فقال: ما لك لا تنبح يا كلب الدوم. أي ما للعير لا تأتي؟

٢٧٨ - أملك الناس لنفسه أكتهم سره،

يضرب في مدح كتمان السر.

٢٧٩ - ما سد فقرك مثل ذات يدك،

أي لا تتكل على غيرك فيما ينوبك.

٢٨٠ - من سره بنوه ساءته نفسه،

قائل هذا المثل ضرار بن عمرو الضبي، وكان ولده قد بلغوا ثلاثة عشر رجلاً، كلهم قد غزا ورأس، فرآهم يوماً معاً وأولادهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنه؛ فقال: من سره بنوه ساءته نفسه. فأرسلها مثلاً.

٢٨١ - من أشبه أباه فما ظلم،

أي لم يضع الشبه في غير موضعه، لأنه ليس لأحد أولى به منه بأن يشبهه. ويجوز أن يراد: فما ظلم الأب، أي لم يظلم حين وضع زرعه حيث أدى إليه الشبه. وقد وفد إليه ابنه الربيع بن البارع فقال: مرحباً بولده بل بولدي الظريف الربيع الوارد في الحريف.

كانك قد قابلت منه سجنجلاً فجاءك منه بالخيال المماثل
وما ظلم إذا أشبه أباه وإنما ظلمه أن لو كان أباه

٢٨٢ - من استرعى الذئب ظلم،

أي ظلم الغنم. ويجوز أن يراد، ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه. يضرب
لمن يولي غير الأمين. قالوا: إن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي.

٢٨٣ - المنية ولا الدنيا،

أي أختار المنية على العار. ويجوز الرفع، أي المنية أحب إلي ولا الدنيا. أي وليست
الدنيا مما أحب وأختار. قيل: المثل لأوس بن حارثة.

٢٨٤ - من لاحاك فقد عاداك،

اللحي واللحو القشر، أي من تعرض لقشر عرضك فقد نصب لك العداوة.
والمثل من قول أكثم بن صيفي.

٢٨٥ - من لا يند عن حوضه يهدم،

أي من لم يدفع عن نفسه يظلم ويهضم.

٢٨٦ - من طلب شيئاً وجد،

أول من قال ذلك عامر بن الظرب؛ وكان سيد قومه، فلما كبر وخشي عليه قومه أن
يموت اجتمعوا إليه وقالوا: إنك سيدنا وقائلنا وشریفنا فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً
بعدك، فقال: يا معشر عدوان، كلفتموني بغياً، إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من
نفسين إني لكم مثلي؟ افهموا ما أقول لكم، إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له،
وكان الباطل أولى به؛ وأن الحق لم يزل ينفر من الباطل.

ولم يزل الباطل ينفر من الحق. يا معشر عدوان، لا تشمتوا بالذلة، ولا تفرحوا
بالعزة، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغني، ومن يري يوماً يربه؛ وأعدوا لكل امرئ جوابه.

إن مع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامة؛ ولليد العليا العاقبة؛ والقود راحة لا لك ولا عليك؛ وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكرثة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئاً وجده، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه.

٢٨٧ - من غريل الناس تخلوه،

أي من فتش عن أمور الناس وأصولهم جعلوه نخالة.

٢٨٨ - النج من بعيد أهون من الهير من قريب،

أي لا تدن من الذي تخشى، ولكن احتل له من بعيد.

٢٨٩ - من أخر حاجته رجل فقد ضمنها، إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل

الصؤول، فكيف بالرجل الكريم،

قاله المغيرة بن شعبه رحمته الله.

٢٩٠ - السؤدد اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة، والشرف كف الأذى ويذل الندى،

والغنى قلّة التمني، والفقر شره النفس،

قاله أبي الدرداء رحمته الله.

٢٩١ - إن لك في مالك شريكين، الحدّثان والوارث، فإن قدرت أن لا تكون أخس

الشركاء حظاً فافعل،

قاله أبي ذر رحمته الله.

٢٩٢ - من يزرع خيلاً يوشك أن يحصد غبطة. ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة،

قاله عمر بن عبد العزيز.

٢٩٣ - ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت وغفلتهم عنه،

قاله الحسن البصري رحمته الله (١).

(١) «مجمع الأمثال» أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري / كان أديباً عارفاً «بالنحو واللغة» توفي بنيسابور سنة ٥١٨ هـ.

٢٩٤ - الرياح من السماح،

يريد أن المسامح أخرى أن يريح.

٢٩٥ - مكتوب في الحكمة: يا بني، لتكن كلمتك طيبة، ووجهك بسطاً، تكن

أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء،

قاله هشام ابن عروة عن أبيه.

٢٩٦ - الكذب لا حيلة له؛ والحسود لا راحة له؛ والبخيل لا مروءة له؛ والملول لا وفاء

له؛ ولا يسود سيء الأخلاق؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ويتجمل،

قاله الأحنف بن قيس.

٢٩٧ - السعيد من اعتظ بغيره،

يراد من رأى غيره فاتعظ سعد.

٢٩٨ - إن الله جعل أسعد عباده عنده وأرشدهم لديه وأحظاهم يوم القيامة، أبذلهم

لمعروف يداً، وأكثرهم على الإخوان فضلاً، وأحسنهم له على ذلك شكراً،

قاله الأحنف بن قيس.

٢٩٩ - العبد من لا عبد له،

أي: من لم يكن له عبد ولا كافٍ امتنهن نفسه.

٣٠٠ - ثوكويت على داء لم أكره،

أي: لو عوتبت على ذنب ما امتعشت.

٣٠١ - كمبتغي الصيد في عريسة الأسد،

يضرِب مثلاً للرجل يطلب الغنيمة في موضع الهلكة.

٣٠٢. جنبوا مجالسكم النساء والطعام، فإني أكره للرجل السري أن يكون وضاًفاً لبطنه وقد عرف ما يحور إليه، ولضربه وقد علم أين مجلسه؛

قاله الأحنف بن قيس.

٣٠٣. كأنما أفرغ عليه ذنوباً؛

يقصد إذا كلمه بكلمة عظيمة يسكته بها.

٣٠٤. لا تتخذن وزيراً إلا عالماً، ولا أميناً إلا بالجميل معروفًا، وبالمعروف موصوفًا؛ فإنهم شركاؤك في أمانتك، وأعوانك على أمورك؛ فإن صلحوا أصلحوا، وإن فسدوا أفسدوا؛ قول قيل لعمر بن عبد العزيز رحمته الله.

٣٠٥. إخوان الصديق خير مكاسب الدنيا، هم زينته في الرخاء، وعدة في البلاء، ومعونته على حسن المعاش والمعاد؛ قاله شيب بن شبة.

٣٠٦. الدنيا دار أولها عناء، وآخرها فناء؛ من صحَّ فيها أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فتن، حالها حساب، وحرامها عذاب؛ قاله علي بن أبي طالب.

٣٠٧. العقل خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير قائد؛ قاله الأحنف بن قيس.

٣٠٨. خير السخاء ما وافق الحاجة، ومن عرف قدره لم يهلك، ومن صبر ظفراً وأكرم أخلاق الرجال العضو؛

قاله أكثم بن صيفي ^(١).

(١) الأماي / أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هرون ابن عيسى بن محمد بن سليمان أبو علي القالي اللغوي ولد بقليقلا من ديار بكر سنة ٢٨٨ وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦ ست وخسين وثلاثمائة.

٣٠٩ - من أكثر أهجر،

قال أبو عبيد: يعني أن المكثّر ربما خرج إلى الهجر، وهو الكلام القبيح. وقال أكثم بن صيفي: المكثّر كحاطب الليل. قال أبو عبيد: وإنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لسبته العقرب في احتطابه ليلاً، قال: فكَذلك هذا المهذار ربما أصابه في إكثاره بعض ما يكره وقال أكثم أيضاً: الصمت يكسب أهله المحبة.

وقال غيره من الحكماء: الندم على السكوت خير من الندم على القول.

وقال الثالث: عبي صامت خير من عبي ناطق.

وقال بعض أشياخنا: كان ربيعة الرأي مكثّراً، فسمع أعرابي يوماً يتكلم، فلما كان عند انقضاء مجلسه سأله رجل: ما تعدون العبي عندكم بالبادية؟ فقال الأعرابي: ما هذا فيه منذ اليوم، يعني إكثار ربيعة. ويروى في الحديث عن لقمان الحكيم أنه قال: الصمت حكم وقيل فاعله. وقال علقمة بن علاثة الجعفري، وكان من حكماء العرب: أول العبي الاختلاط وأسوء القول الإفراط.

٣١٠ - قال أبو عبيدة: من أمثالهم في هذا، من حَفَنّا أوراقتنا فليقصده،

ويقول: من مدحنا فلا، يغفلون في ذلك، ولكن ليتكلم بالحق منه، وروي أن علي بن أبي طالب عليه السلام أنسى عليه رجلاً في وجهه فقال له علي: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. قال أبو عبيد: ترى معناه إنه اتهمه بأنه يصفه بخلاف ما في قلبه.

٣١١ - من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه،

قال: أبو عبيد وما يحقق هذا المثل حكم الله تبارك وتعالى في الشهادة إثمها مردودة من أهل الفسوق، ولعلهم قد شهدوا بحق. وقال بعض الحكماء: الصدق عز، والكذب خضوع. وقال آخر: لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لقد كان حقيقاً بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار. وحكى الكسائي عن لسان العرب: إن المرء ليكذب حتى يصدق فما يقبل منه.

٣١٢ - إن الكذوب قد يصدق،

قال أبو عبيدة: وهذا المثل قد يضرب أيضًا للرجل تكون الإساءة هي الغالبة عليه، ثم تكون منه الهنة من الإحسان. قال أبو عبيدة: ومثله قولهم: مع الخواطي سهم صائب

٣١٣ - الرجل يطيل الصمت ثم ينطق بالفضاهة والزلل،

قال أبو عبيدة: من أمثاله في هذا: سكت ألفًا ونطق خلفًا.

قال أبو عبيد: والخلف من القول هو السقط الرديء، كاخلف من الناس، وهذا المثل كقول الشاعر:

وكائن ترى من صامتٍ لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

وهذا البيت يروى عن الأحنف بن قيس، وذلك أنه كان يجالس رجل يطيل الصمت حتى أعجب به الأحنف ثم إنه تكلم، فقال للأحنف: يا أبا بحر أنقدر أن تمشي على شرف المسجد؟ فعندها تمثل الأحنف بهذا البيت.

٣١٤ - صدرك أوسع لسرك،

قال أبو عبيدة: من أمثاله في الإصغاء بكتمان السر، أي فلا تفشه إلى أحد. ومنه قول أكمش بن صيفي: لا تفش سرّك إلى أمة ولا تبلى على أكمة.

قال أبو عبيد: وهذا مثل قد ابتذله الناس، ومن تحصينهم للسر مقالة الرجل لأخيه في الأمر يسره إليه: اجعل هذا في وعاء غير سرب.

قال: وأصله في السقاء السائل، وهو السرب يقول: فلا تبدي سري كإبداء السقاء ماءه سائل. وقد قال بعض الحكماء: السر أمانة.

٣١٥ - قال الأصمعي: من أمثاله في مثل زب سامع يخبري ثم يسمع عذري،

يقول: إني لا أستطيع أن أعلنه لأنّ في الإعلان أمرًا أكرهه، ولست أقدر أن أوسع الناس عذرًا.

٢١٦ - زَيْبٌ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ،

قاله أكثم بن صيفي ومعناه إذا ظهر للناس من الشخص أمر أنكروه عليه، وهم لا يعرفون حجته وعذره، فهو يلام.

٢١٧ - كُلُّ أَحَدٍ أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ،

معناه: إن الشخص لا يقدر على إظهاره أمره كله وإبدائه ومنه قولهم: لعل له عذراً وأنت تلوم.

٢١٨ - اذْكُرِ الْغَائِبَ يَقْتَرِبُ،

قال أبو عبيدة: من أمثاله في الغائب يذكر فيرى، ومثله. اذكر الغائب تراه. وهذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير إنه ذكر المختار بن أبي عبيد يوماً، وسأل عنه والمختار يومئذ بمكة قبل أن يقدم العراق، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار، فقال ابن الزبير: اذكر غائباً تراه قال أبو عبيد: وهذا الذي جاء فيه الحديث إنه من أشرط الساعة، فهذا ما في الإنسان، يذكر فيرى وأما مثلهم في الإنسان يرى الشيء فيذكر به ما قد نسيه فقولهم: ذكرني فوك حمار أهلي.

وكان المفضل فيما يحكى عنه، يقول: كان أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين كانا ضلّا عنه، فرأى امرأة متنقبة فأعجبته حتى نسي الحمارين فتبعها، فلم يزل يطلب إليها حتى سفر له: فإذا هي فوهاء، فحين رأى أسنانها ذكر الحمارين، فقال: ذكرني فوك حمارا أهلي قال أبو الحسن، وأنشدني الزبير قول الشاعر في البرقع:

إذا بَارَكَ اللَّهُ فِي خَرْقَةٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْبَرْقِعِ

يُوَارِي الْمَلَحَ وَيَخْضِي الْقَبَاحَ فَهَذَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ

٢١٩ - رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَتْ،

قال أبو عبيد: ويحكى عن المفضل أنه كان يقول: هذا المثل قيل لرهم بنت الخزرج من كلب. وكانت امرأة سعد بن زيد مناة بن تميم. وكان لها ضرائر، فسابتها إحداهن

يومًا فرمتها رهم بعيب هو فيها، فقالت: ضربتها رمتني بدائها وانسلت، فذهبت مثلاً.
قال أبو عبيد: وللعمامة في هذا مثل مبتذل، وهو قولهم: غير بجير بجره، نسي بجير خبره.
ومنه البيت السائر في الناس للمتوكل الكنانى ثم الليثي:

لا تنهى عن خلق وتركب مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وقال الأصمعي: ومثله قولهم: محترس من مثله وهو حارس، وهو يضرب
للرجل يعيب الفاسق لفعله، وهو أخبث منه.
٢٢٠. إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا،

قال الأصمعي هو مثل يضرب بالرجل النجيد يلقي قرنه في البسالة والنجدة.
٢٢١. إِذَا تَوَلَّى عَقْدًا أَحْكِمَ،

هو مثل في نعت الرجل الحازم.
٢٢٢. أَلْقِ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ،

أصله الناقة إذا أرادوا إرسالها للرعي جعلوا جدليها على الغارب، ولا يترك ساقطاً
فيمنعها من المرعى يقول: فدع هذا يذهب حيث شاء إذ كره معاشرتك. قال أبو عبيد:
والعمامة تقول في مثل هذا المثل: لو كرهتني يدي ما صحبتني.
٢٢٣. يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ،

يضرب في الرجل يحمل نفسه على الشدائد إذا لم يجد ما يريد في العافية.
٢٢٤. إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلُبْ،

قال الأصمعي: إذا لم يدرك حاجتك بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالترفق وحسن
المدارة.

٢٢٥. مَنْ يَبِغْ فِي الدِّينِ يَصْلَفْ،

قال الأصمعي: يعني إنه لا يحظى عند الناس، ولا يرزق منهم المحبة، ولذلك قيل:
قد صلفت المرأة عند زوجها، إذا لم تكن لها حظوة عنده.

٢٢٦ - إنَّ خَيْرًا مِنَ الْخَيْرِ فَاعِلُهُ. وَإِنَّ شَرًّا مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ.

قال أبو عبيد: يضرب هذا في الحُص على الخير والانتفاء عن الشر. ويقال: إنَّ أصل هذا المثل للنعمان بن المنذر يقال له علقمة، قاله لأخيه عمرو مع مواعظ كثيرة وعظه بها، قال: وبعضهم يجعل الكلام لصخر بن عمرو بن الحارث بن شريد السلمي.

٢٢٧ - معاتبة الأخ خير من فقدده.

قال أبو عبيد: وهذا المثل يروى عن أبي الدرداء، فإن استعتب الأخ ولم يعتب فإنَّ مثلهم في هذا قولهم: لك العتبي بأن لا رضيت.

وهذا مثل مبتذل في الناس، وهو مثل محول عن موضعه، لأن أصل «العتبي» رجوع المستعتب إلى محبة صاحبه، وهذا على ضده، يقول: أعاتبك بخلاف رضاك، ومنه قول بشر بن أبي حازم الأسدي:

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النصار فاعتبوا بالصليم

أي أعتبناهم بالقتل. ومن أمثالهم في ترك العتاب قول الشاعر:

وليس عتاب الناس للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

وقال آخر:

فدع العتاب فرب شر هاج أوله العتاب

ويروى عن أوس بن حارثة: إنَّه كان فيا يقال لابنه مالك: يا مالك: العتاب قبل العقاب، والنية ولا الدنية.

٢٢٨ - بقی نعلیک، وابدل قدمیک،

قال أبو عبيد: أي احمل على نفسك في استبقاء مالك، لئلا يرى الناس به خلة فتهمون عليهم.

٢٢٩ . التمرة إلى التمرة تمر، والذود إلى الذود إبل،

قاله أحيحة بن الجلاح

قال أبو عبيد: وكان أصل هذا إنه دخل حائطاً له، فرأى ثمرة ساقطة، فتناولها، فعوتب في ذلك، فعندها قال هذه المقالة، وهو القائل:

استغن أو مت ولا يغرك ذو شنب من ابن عم ولا عم ولا خال
إني أقيم على الزوراء أعمرها إنَّ الحبيب إلى الإخوان ذو المال
ومنه البيت السائر في العالم:

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير على الفساد

٢٣٠ . من ذهب ماله هان على أهله،

يروى عن رجل من أهل العلم إنه مر به رجل من أهل الأموال، فتحرك له وأكرمه وأدناه، فقيل له بعد ذلك: أكنت لك إلى هذا حاجة؟ فقال: لا والله، ولكني رأيت المال مهيباً فهبته. أو قال: رأيت ذا المال مهيباً.

٢٣١ . حرقاء وجددت صوفاء،

قال الأصمعي: يضرب للأحق يصيب مالا فيضعه في غير موضعه.

٢٣٢ . كفى قوماً بصاحبهم خبيزاً،

قال الأصمعي: أي كل قوم أعلم بصاحبهم من غيرهم.

٢٣٣ . أعط القوس باريها،

قال أبو عبيد: أي استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق له. ومن هذا كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص «أن شاور عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد في حربك، ولا تستعن بها في غير ذلك، فإن كل قوم أعلم بصناعتهم».

٣٢٤ - الخيل أعلم بقرسانها،

قال أبو عبيدة: يعني أنها قد اختبرت ركابها، فهي تعرف الأكفل من أهل الفروسية قال: والذي يراد منه أن يقول: استعن بمن يعرف الأمر، ودع من لا يعرفه.

٣٢٥ - يا طبيب طب لنفسك،

قال الأصمعي: يقال: طب نفسك. قال الأحمر: وقد يقال في بعض هذا: خرقاء ذات نيقية.

يضرب للرجل الجاهل بالأمر، وهو مع جهله يدعي المعرفة، ويتأنق في الإدارة.

٣٢٦ - كفى بالشك جهلاً،

قال أبو عبيدة: معناه إذا كنت شاكاً في الحق أنه حق، فذلك جهل.

٣٢٧ - أرض من المركب بالتعليق،

قال الأصمعي: أي من الأمر بدون تمامه. وأصله في الركوب، يقال للرجل قد تعلق بعقبه يركبها، ويقول: فإن لم تقدر على الركوب التام، فتعلق بعقبه أو نحوها.

٣٢٨ - إن كان بي تشد أزرك فارخه،

قال الأصمعي: إن كنت تتكل على في حاجتك حرمتها.

٣٢٩ - رضيت من الغنيمة بالسلامة،

قال أبو عبيد: يضرب للرجل يسعى في طلب حاجته فيشرف منها على الهلكة حتى يرضى بأن يفلت سالمًا. ومنه قول الشاعر، وبعضهم يرويه لامرئ القيس بن حجر الكندي:

وقد طوفت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

٣٤٠ - ما قرعت عضاً على عضاً، إلا حزن لها قوم وسريها آخرون،

قال أبو عبيد: ومعناه أنه لا يحدث في الدنيا حدث فيجمع الناس على أمر واحد من سرور ولا حزن ولكنهم فيه مختلفون.

٣٤١ - إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم،

قال أبو عبيد: يقال: إن قتلته كان له من يتنقم له منك، وإن تركته قتلك.

٣٤٢ - ليس من العدل سرعة العدل،

قاله أكثم بن صيفي، قال أبو عبيد: إنه لا ينبغي للرجل يبلغه عن أخيه شيء أن يسرع إلى عذله حتى يعرف حجته وعذره.

٣٤٣ - هذه بتلك والبادئ أظلم،

قال أبو عبيد: هو الرجل يركب صاحبه بظلامه، فيكافئه الآخر بمثلها، ومنه قول الشاعر:

وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يآل همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وانفأ حمياً تجنبك المظالم

قال أبو عبيد: وهذا الشعر تمثل به الحجاج بن يوسف على المنبر.

٣٤٤ - مكره أخوك لا بطل،

قال أبو عبيد: أي ليس هذا بشجاعة مني، ولكن حُلْتُ عليه.

٣٤٥ - غثك خير لك من سمين غيرك،

قاله أكثم بن صيفي، قال أبو عبيد فاقنعه به. ولا تمدن عينيك إلى ما في أيدي الناس. ويقال: إن هذا المثل لمعن بن عرفة المذجي^(١).

(١) الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام.

٣٤٦ إذا كثرت همومك فامر،

ليس بحديث، وينبغي لمن كثرت همومه أن يشتغل بالعبادة لعله يزول همه وأعظم هذه العبادة فريضة الصلاة كما قال تعالى لحبيه المصطفى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [النجم: ٩٧، ٩٩].

٣٤٧- أمر الله على الرأس والعين،

ليس بحديث لكنه واجب الرضا به.

٣٤٨- خذ ما تيسر وأترك ما تعسر،

ليس بحديث، لكن معناه صحيح كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٣٤٩- خير التجارة لا ربح ولا خسارة،

ليس بحديث بل هو من كلام العوام^(١).

٣٥٠- دار الظالم خراب ولو بعد حين،

ليس بحديث ولم أفق عليه، ولكن يشهد له قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٢]، وقال كعب لأبي هريرة: في التوراة من يظلم يخرب بيته، فقال أبو هريرة وكذلك في كتاب الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٢).

٣٥١- الطريق ولو دارت والبكر ولو بارت،

ليس بحديث، قال في المقاصد معناه صحيح، ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا أَبْلُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وللثاني أحاديث كثيرة: منها في قصة جابر «هَلَا

(١) «كشف الحفار مزيل الالباس» للعجلوني (١/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري [٢٠٩٧]، ومسلم [٧١٥]، والترمذي [١١٠٠]، وابن ماجه [١٨٦٠]، وأبو داود

[٣٠٤٨]، والبغوي في شرح «السنة» (٩/ ١٥).

بكرًا^(١) وأورد السلفي في معجم السفر عن أبي القاسم الدمشقي قال: الطرق ولو دارت والمدن ولو جارت وقال: لا أعرفه أهو من كلامه أو كلام غيره، قال ابن الغرس: ويدور الشق الثاني على السنة الناس، بلفظ وبت الأجواد أي الأخيار ولو بارت ويدور على السنة الناس بلفظ: اتبع الطرق ولو دارت وخذ - أو تزوج - البكر ولو بارت وليس بحديث.

٢٥٢- قلب المؤمن دليله،

ليس بحديث.

٢٥٣- كل ممنوع حلوا، (الممنوع مرغوب)

ليس بحديث، ويدل على صحة معناه ما ابتلي به آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وفي «الإحياء» للغزالي لو منع الناس من فت البعر لفتوه وقال العراقي: لم أجده.

٢٥٤- لقمته في بطن الجائع أفضل من عمارة ألف جامع،

ليس بحديث^(٢).

٢٥٥- ما كل مرة تسلم الجرة،

ليس بحديث، ولكن وقع في شعر المبرد:

أقول للنفس وعاتبتهَا على التصابي مائتي مرة
يا نفس صبرًا عن ظلال الهوى ما كل يوم تسلم الجرة

٢٥٦- المساواة هي الظلم عدل،

ليس بحديث أصلاً، والمراد بالعدل اللغوي وهو مجرد المماثلة.

(١) أخرجه البخاري [٢٠٩٧]، ومسلم [٧١٥]، والترمذي [١١٠٠]، والدارمي [٢١٧١]، وابن ماجه [١٨٦٠]، أبو داود [٣٠٤٨]، والبخاري في «شرح السنة» (٩/ ١٥).
(٢) كشف الخفاء منزيل الإلباس (٢/ ١٤٥).

٢٥٧- يؤجر المرء على رغم أنفه،

ليس بحديث، وهو بمعنى حديث أبي هريرة سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عجب رينا عزوجل من قوم يقادون للجنة في السلاسل «وفي لفظ» بالسلاسل»^(١) ونحوه حديث أنس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُفَّتِ النِّجْنَةُ بِأَنْفِكَارِهِ، وَخُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٢).

٢٥٨- الهدية لا تهدي، أو لا تعطى ولا تباع أبداً،

هذا ليس بحديث، وليس معناه -أيضاً- بصحيح. والهدية من حق الإنسان إذا أهدى له هدية أن يهديها لمن شاء، أو يبيعها، أو يتصرف فيها.

٢٥٩ مد رجل يك على قدر فراشك،

هذا ليس بحديث، ولا يحمل على أنه حديث، لكن يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فمن الناس من يحتاج إلى بيت واسع، ويحتاج إلى نفقة كثيرة فهذا يسامح فيه، ومن الناس من صرفته على قدره.

٢٦٠- لا تكن حلوا فتبلع ولا مزاً فتلفظ،

ليس بحديث وإنما هو من حكم لقمان.

٢٦١- يوم صومكم يوم نحركم يوم رأس سنتكم،

قال الإمام أحمد: والزركشي، والسيوطي: لا أصل له، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: لَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِنْ «كُتُبِ الْإِسْلَامِ» وَلَا رَوَاهُ عَالِمٌ قَطًّا.

٢٦٢- «إذا جاء القضاء ذهب البصر»

هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري [٣٠١٠]، وأبو داود [٢٦٧٧]، والبيهقي في «شرح السنة» (١١/٧٦).

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٨٧]، مسلم [٧٢٣٢]، والترمذي [٢٥٥٩]، والبيهقي في «شرح السنة»

٣٦٣ - قيدوا النعم بالشكر

لا يعرف مرفوعاً لكن جاء عن عمر بن عبد العزيز: قيدوا نعم الله بالشكر لله - عز وجل - وشكر الله ترك معصيته.

٣٦٤ - اتقوا مواضع التهم

ليس بحديث وقال العراقي: لم أجد له أصلاً، ولكن يشهد لمعناه حديث النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراخ يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(١).



(١) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩]، وأبو داود [٣٣٢٩] وابن ماجه [٣٩٨٤]، والترمذي [١٢٠٥]، والبيهقي في «شرح السنة» (٨/ ١٢).

خَاتَمُهُ

هذا آخر ما قصدته من هذا الكتاب وقد مَنَّ الله الكريمُ فيه، بما هو أهلُّ له من الفوائد النفيسة والدقائق اللطيفة من أنواع العلوم ومهماتِها ومُستجاذباتِ الحقائق ومطلوباتِها. ومن تفسير آيات من القرآن العزيز وبيانِ المراد بها والأحاديث النبوية وإيضاح مقاصدها والله المحمودُ على ذلك، وغيره من نعمه التي لا تُحصى وله المِنَّة أن هداني لذلك ووفقني لجمعه ويَسَّرَه عليّ وأعاني عليه وَمَنَّ عليّ بإتمامه؛ فله الحمدُ والامتنانُ والفضلُ والطَّوُّلُ والشكرانُ.

وأنا راجٍ من فضل الله تعالى دعوة أخٍ صالح أنْتَفَعُ بها تقربني إلى الله الكريم وانتفاع مسلمٍ راغب في الخير ببعض ما فيه أكون مساعداً له على العمل، بمرضاة ربّنا وأستودعُ الله الكريمَ اللطيفَ الرحيمَ مني ومن والديّ وجميع أحبائنا وإخواننا، وَمَنْ أَحْسَنَ إلينا وسائر المسلمين: أدياننا وأماناتنا وخواتيم أعمالنا وجميع ما أنعم الله تعالى به علينا وأسأله سبحانه لنا أجمعين سلوكَ سبيل الرشاد والعصمة من أحوال أهل الزَّيغ والعناد، والدَّوامَ على ذلك وغيره من الخير في ازدياد وأنْصَرُغُ إليه سبحانه أن يرزقنا التوفيقَ في الأقوال والأفعال للصواب السير على آثار ذوي البصائر والألباب، إنه الكريم الواسع الوهاب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه متاب حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

والحمدُ لله ربِّ العالمين أَوْلاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلواته وسلامه الأطيبان الأتمان الأكملان على سيدنا محمد خير خلقه أجمعين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وعلى سائر النبيين وآل كلِّ سائر الصالحين.

وما ذاك مني بل من الله وحده بفتح وإمداد وفضل وأنعم
فإن أك فيها مخطئاً أو مغالطاً فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي
أتوب إلى الرحمن من كل خطئة واستغفر الرحمن لي ولإخوتي
وأسأله جل اسمه بصفاته وأسمائه الحسنى قبول كتابي

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)
وَلِلَّهِمُ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الضَّافَاتُ: ١٨٠-١٨٢].

جمع وترتيب

أبو عبد الرحمن/

نبيل بن أبي الحسن القيسي



قائمة المراجع

كتب التفسير:

- ١- جامع البيان في تأويل القرآن.
- ٢- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.
- ٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
- ٤- التحرير والتنوير: محمد الطاهر عاشور.
- ٥- أضواء البيان: الشنقيطي.
- ٦- أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري.
- ٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي.
- ٨- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي.
- ٩- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي.
- ١٠- التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي.

كتب متون الحديث:

- ١١- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي.
- ١٢- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.
- ١٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.
- ١٤- المسند: الإمام أحمد بن حنبل.
- ١٥- سنن النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.
- ١٦- سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.
- ١٧- سنن أبو داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي.
- ١٨- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني.

- ١٩- سنن الدارمي: عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي.
- ٢٠- مسند إسحاق ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه.
- ٢١- مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي.
- ٢٢- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.
- ٢٣- المنتخب من مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي.
- ٢٤- المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
- ٢٥- مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.
- ٢٦- المستدرک على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم.
- ٢٧- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.
- ٢٨- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.
- ٢٩- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.
- ٣٠- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي.
- ٣١- شعب الإيمان: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
- ٣٢- مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.
- ٣٣- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
- ٣٤- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي.
- ٣٥- مسند الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي.
- ٣٦- سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي.
- ٣٧- مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي.
- ٣٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.
- ٣٩- شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي.

كتب الأجزاء الحديثية والأدب،

- ٤٠- الأمثال: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الحافظ أبو محمد الرامهرمزي.
- ٤١- مجمع الأمثال: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري.
- ٤٢- جهرة الأمثال: أبي هلال العسكري.
- ٤٣- الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام.
- ٤٤- أمثال العرب: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي.

كتب شروح الحديث،

- ٤٥- فتح الباري لشرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٤٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج العلامة/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.
- ٤٧- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي: المباركفوري.

كتب التخریج،

- ٤٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
- ٤٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين المتقي الهند.
- ٥٠- المقاصد الحسنة: السخاوي.
- ٥١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: العجلوني
- تخریج أحاديث الإحياء: الحافظ العراقي.
- ٥٢- الجدل الحديث في بيان ما ليس بحديث: أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري.

كتب العلامة الألباني،

- ٥٣- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني.
- ٥٤- السلسلة الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني.
- ٥٥- الجامع الصغير: الحافظ السيوطي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
- ٥٦- إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني .

كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم،

٥٧- مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٨- اقتضاء الصراط المستقيم: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٩- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٠- منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦١- أمثال القرآن: ابن قيم الجوزية.

كتب الفتاوى،

٦٢- الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيتمي.

٦٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، وفتاوى الشيخ ابن باز المجموع الثمين

من فتاوى ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

كتب عامة،

٦٤- الاعتصام: الشاطبي.

٦٥- الأذكار: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.

٦٦- ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

٦٧- أحكام الجنائز: الألباني رحمه الله تعالى.

٦٨- فتح المعبود في الرد على ابن محمود: للشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى.

٦٩- معجم المناهي اللفظية: بكر أبو زيد رحمه الله تعالى.

٧٠- (٨٠) خطأ في العقيدة، (٤٠) خطأ للسان: وحيد عبد السلام بالي حفظه الله.



مَجْمُوعَاتُ الْكِتَابِ

المقدمة.....	٥
الباب الأول.....	١١
الفصل الأول - حفظ اللسان وخطورة الكلمة في الإسلام.....	١١
الفصل الثاني - المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمثال والحكم.....	١٨
الحكمة من ضرب الأمثال.....	٢٢
الفصل الثالث - أمثال قرآنية من كلام رب البرية.....	٢٤
الفصل الرابع - بعض أمثال العرب ومقارنتها مع أمثال القرآن الكريم وسنة النبي العظيم.....	٨٨
الباب الثاني - أمثلة نبوية من هدي خير البرية.....	١٠٩
الباب الثالث - أمثلة وحكم يومية تخالف العقيدة والأخلاق والمعاملات الإسلامية.....	١٣٥
الباب الرابع - أمثلة وحكم يومية تجري مجرى الأحاديث النبوية.....	١٦٩
خاتمة.....	٢٣٧
قائمة المراجع.....	٢٣٩
الفهرس.....	٢٤٣

بيوت يحبها الله ورسوله

جمع وترتيب

أبو عبد الرحمن/

نبيل بن أبي الحسن القيسي



الدار العالمية للنشر والتوزيع

الفيروسات الجديدة

H1-N1 / H5-N1

أنفلونزا الطيور - الخنازير

جمع وترتيب

نبيل بن أبي الحسن القيسي



الدار العالمية للتنسيق والتوزيع

للبيوت أسرار

جمع وترتيب
نبيل بن محمد محمود



الدار العالمية للنشر والتوزيع

المفاتيح الذهبية

فلاحي

احتواء المشكلات الزوجية

جمع وترتيب

نبيل بن محمد محمود



الدار العالمية للنشر والتوزيع